AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية وطنية ديمقراطية بهوية يسارية

لقاء العدد:
الشاعر محمود قرني

الأسرى: بين وباء الاحتلال وخطر كورونا

نقاشات/ كورونا ومستقبل العالم

مستعربون في بيروت: عملية الفجر

الهدف - فلسطين العدد 13 (1487) - نيسان/أبريل 2020

هل سينتهي عصر التوحش الرأسمالي
أم هو ذاهب إلى مستوى جديد؟

الافتتاحية

للأسرى الوفاء ..وجدارة الحرية

كل الحقيقة للجماهير

في السجن تضيق المساحة والمسافة والحلم والكلمات والأشياء المعتادة وحتى الحياة.. هذا هو السجن الذي أرادوه أن يعيش فينا، دون وعيهم أن الإنسان المناضل من أجل حريته وحرية شعبه؛ بمقدوره أن يحتفظ بإرادة الحرية واستقلال العقل حتى في الظروف القاسية من الضغط المادي والمعنوي، رافضًا أن يخضع إلى التشكل بحسب مشيئة الاحتلال وهدفه من زرع السجن في داخل من يُقيّد حريتهم في سجونه الإرهابية. وهذا بالضبط واقع الأسير الفلسطيني في سجون العدو الصهيوني، الذي جعل من الأسر والقيد وكل سياسات وأسلحة القمع والقهر؛ زوادة تعينه على تجذير انتمائه لشعبه وقضيته، والتمسك بقيم الحق والعدالة، وحافز للتعلم والتثقف والمعرفة؛ لذلك، لا نبالغ لو قلنا بأن السجون، والتي هي عبارة عن أكياس حجرية معتمة أو مقابر للاحياء كما أرادها الاحتلال، حوّلها الأسرى وعبر نضال طويل دءوب وشاق إلى «جامعات ومعاهد» مضيئة؛ بعشرات الآلاف ممن تخرجوا منها أكثر تجذرًا وانتماءً وثقافة ونضالاً وتمسكا بقيم الحرية والحق والعدالة الإنسانية.. إنهم أسرى فلسطين الموزعين على أكثر من 23 معتقلا يواجهون يوميًا منظومة القتل والقهر الصهيونية، بإرادتهم الحرة وأمعائهم الخاوية وكرامتهم والسير نحو تحقيق هدفهم في الانتصار على السجان وآلام المعاناة.

اليوم، يرزح ما يزيد عن خمسة آلاف أسير في سجون الاحتلال؛ بينهم من وصل عمره إلى الثمانين، ومن أمضى أكثر من 35 عامًا في القيد، ومرضى بأمراض مزمنة: سرطان، وأمراض الدم، والقلب، والكلى.. وبينهم أطفال قُصّر لم يتجاوزوا 13 عامًا، ونساء وأمهات مثكولات على أبنائهم وأسرّهم.. وبينهم من يرزح في العزل الانفرادي منذ اعتقاله ولم يرَ غير جدران زنزانته.. وبينهم وبينهم.. ليضاف إلى هذا القهر وصدى الأغلال والقيد والإهمال الطبي؛ انتشار جائحة كورونا الذي يجوب العالم حاصدًا أرواح الطلقاء ومن تتوفر لهم سبل الحياة وإمكانياتها كاملة، فما بالنا إذا ما وصل هذا الفايروس القاتل؛ ليغزو سجون موصدة أبوابها على المُكدسين فيها من البشر، دون أن تتوفر لهم أدنى مقومات القدرة على مواجهته، خاصة مع سياسة الإهمال الطبي المتعمدة من قبل إدارة مصلحة السجون الصهيونية ومخابراتها، والتي أدت مؤخرًا إلى استشهاد الأسير: نور جابر البرغوثي، في سجن النقب الصحراوي، والذي تُرك لما يقرب من ساعة وهو مغمىّ عليه، دون أن تحرك إدارة السجن ساكنًا، مما أدى إلى موته/استشهاده أو الأدق؛ اغتياله.

في ظل هذا الواقع الخطير الذي يحياه أكثر من خمسة آلاف أسير وأسيرة، حيث يُتركون ضحايا لسياسات القمع والقهر والعنصرية والحقد والاستهتار والإهمال المتعمد، دون أيّ التفات إلى القيم الإنسانية والقوانين والاتفاقيات الدولية التي تكفل لهم حقوقهم وكرامتهم وحياتهم؛ فإن استمرار إغماض ما يسمى «بالعالم الحر» عينيه عن هذه الفاجعة التي قد تصيب الأسرى في سجون الاحتلال، لا تعني سوى نفاقهم إلى حد التواطؤ والشراكة معه في جريمته التي تضاف إلى جرائم التهجير والتطهير والقتل والإرهاب التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني ولا يزال بحق شعبنا الفلسطيني، وغطاها وباركها هذا «العالم الحر» بالصمت أو العجز أو التغاضي أو بحق الفيتو في مجلس الأمن وإنقاذه من العقاب على جرائمه.

أمام هذه المحنة التي تجتاح البشرية، تبقى محنة آلاف الأسرى في داخل السجون أكثر صعوبة وتعقيدًا، في ظل تقييد حريتهم، وعدم قدرتهم في الدفاع عن أنفسهم في مواجهة هذا الفايروس القاتل، حيث يغزو دون أن يُرى بالعين؛ لذا فلنكن نحن قوى ومؤسسات وطنية وشعب وأمة عربية وأحرار هذا الكوكب؛ عين ولسان وأذن ويد، من ضحوا بحريتهم، وأفنوا زهرات شبابهم في القيد؛ من أجل حريتنا واستقلالنا وتقرير مصيرنا ومستقبل أجيالنا في فلسطين، وفي سياق نضال كل أحرار هذا العالم ضد التحالف القائم بين الصهيونية وربيبتها «إسرائيل» والاستعمار والإمبريالية؛ والموجه ضد الشعوب وحقها في الحرية والمساواة والرفاهية، ولعل في مآسي جائحة كورونا من دلائل ما يغني عن الكلام... فللاسرى منا حق الوفاء.. وجدارة الحرية.

في هذا العدد

شؤون فلسطينية..

عبد الناصر عوني فروانة: يوم الأسير الفلسطيني..... 6

تقرير: الأسرى معاناة مستمرة 8

عابد الزريعي: كورونا على الجبهة الفلسطينية..... 10

فتحي غراس: : الجوهر الأممي للقضية الفلسطينية 12

شؤون عربية..

موفق محادين: العرب واللاعبون الإقليميون..... 14

حسن خليل: اليوم التالي فليكن فرصة 16

شؤون العدو..

منذر مفلح: وباء الاحتلال أخطر من وباء كورونا 18

أحمد مصطفى جابر: مستعربون في بيروت.....20

شؤون دولية..

كريمة الحفناوي: كورونا وإعادة ترتيب العلاقات الدولية.....24

أبو علي حسن: كورونا تعمق أزمة النظام الرأسمالي 26

هاني حبيب: كورونا وترامب وصناعة الدواء..... 29

موسى جرادات: العولمة كفكرة طارئة..... 30

مهند عبد الحميد: النظام الدولي على بساط البحث..... 32

طلال عوكل: مؤشرات نحو الانحطاط..... 35

تيسير محيسن: عالم ما بعد كورونا..... 36

المشرف العام
كايد الغول

رئيس التحرير
د. وسام الفقعاوي

مدير التحرير
سامي يوسف

تحرير وتنفيذ
أحمد.م.جابر

يسمح النقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر .

عناوين بوابة الهدف

غزة- بجوار مستشفى الشفاء-
نهاية شارع الثورة
الهاتف
082836472
البريد الإلكتروني
info@hadfnews.ps

تصدر عن بوابة الهدف الإخبارية

سياسية عربية
على الطريق اليساري
AL-HADAF
الهدف
الهدف الرقمي - فلسطين العدد 12(1486) آذار/ مارس 2020

الغلاف
الفنانة إسراء الصمادي

المقالات المنشورة لا تتطابق مع وجهة نظر الهدف بالضرورة

صلاح زقوت: رؤية للعالم في مرحلة كورونا وما بعدها.....38
عليان عليان: انحطاط النظام الرأسمالي.....40
خاص بالهدف: عن النفط ولحمنا المحروق.....43
محمد أبو شريفة: كورونا والصراع الأمريكي الإيراني.....44
محمد صوان: النظام الليبرالي إلى أين؟.....46
حاتم استانبولي: الدولة شكلها ووظيفتها.....48
تقرير: الفقر يهدد نصف سكان العالم.....51
عرفات الحاج: الاستهلاك حتى الموت.....52
إسحق أبو الوليد: فنزويلا ماذا بقي من الثورة؟.....54
هشام عبد ربه: سباق التفاهة.....56

الهدف الثقافي..

حوار مع الشاعر محمود قرني: حاوره حسين البدري.....58
محمود قرني: عطسة القيامة في المترو/شعر.....63
رامي مراد: الليبرالية من وجهة نظر سمير أمين.....64
انتصار الدنان: تفاصيل صغيرة/نص.....65
مروان عبد العال: سيدي غانم/قصة.....66
إياد غازي الناصر: شجون فلسطيني/شعر.....68

كلـــــــــمة

مع تسارع جائحة فيروس كوفيد -19 وتوسعها، وتوغلها عميقا في المجتمعات والبنى السياسية والاقتصادية، تبرزعدة أنماط من التفسير، بعضها لايمكن منطقيا وعقلانيا وعلميا مناقشته رغم تأثيره المؤسف العميق على بعض المجتمعات التي تقارب الأمر كظاهرة فوقية لايمكن إيجاد تفسير بشري لها وكأن ما يجابهه العالم شبح قادم من أسطورة ميثولوجية قديمة، وبعضها الآخر الأهم يتخذ منحيين في النقاش، منحى علمي بحت، بدون مقاربة اجتماعية سياسية واقتصادية، يتعامل بالأرقام على الأغلب، وفرص اللقاح واحتمالات التفشي وغيرها، ومنحى آخر يحاول مع حسم المسألة العلمية، أن يبحث في الأثيرات المجالية للفيروس على كافة مناحي الحياة.

حتى في هذا المنحى نفسه، هناك اتجاه يحاول إبقاء النقاش على السطح، عبر تحريفية كبيرة تريد جعل الأمر تقنيا فحسب، دون السماح بالغوص في طبيعة النظام ونقده، وكأن هذا الاتجاه يتحمل الآن مسؤولية الدفاع عن النظام العالمي وحمايته من الانهيار وحتى النقد.

المنحى الآخر، يسعى لفهم أفضل ليس للفيروس فهذه مهمة علمية تجري في المختبرات، ولكن للنتائج والتأثيرات والأسباب التي جعلت الاستجابة تأخذ هذا الشكل في محاولة تجريد النظام العالمي المتوحش من ورقة التوت العلمية والأيدلوجية التي يختبئ خلفها.

تواصل الهدف التزامها بهذا المسعى، عبر مقالات كاشفة في مختلف المناحي المتعلقة بهذا النظام العالمي وبؤسه وقيمه المزيفة.

أيضا يصدر العدد في نهاية الأسبوع التضامني مع الأسري في 17 نيسان، وفي هذا الإطار تقريرين عن الأسرى و أوضاعهم في ظل كورونا إضافة غلى ملف فلسطيني غني. وكالعادة للثقافة والفكر الأدبي حصة كبيرة في الهدف عبر الحوار والنص الأدبي والمقالة والشعر.

يوم الأسير الفلسطيني:
بين وحشية السجن وخطر كورونا

عبد الناصر عوني فروانة/باحث في شؤون الأسرى –فلسطين

إن مقاومة الاحتلال شرفٌ تعتز به الشعوب، وتتباهى به الأمم، فما من شعب قاوم المُحتل إلا وانتصر. فالحق الذي لا يستند إلى قوة تحميه، فهو باطلٌ في عُرف السياسة والقانون. لقد أيقن الشعب الفلسطيني هذه الحقيقة منذ زمن بعيد، ومارس مقاومته المشروعة، كحق وواجب، وقدم على مدار سني الاحتلال أرقام خيالية من الأسرى والمعتقلين، حيث أن الاعتقالات الإسرائيلية لم تقتصر على المقاومين الفلسطينيين فقط، وإنما شملت الكل الفلسطيني؛ إذ يمكن القول: أنه لم تَعد هناك عائلة فلسطينية، إلا وقد ذاق أحد أفرادها مرارة السجن، بل هنالك عدداً كبيراً من الأسر الفلسطينية التي تعرضت بكامل أفرادها للاعتقال، واجتمعت سوية خلف القضبان. وما من فلسطيني مرّ بتجربة الاعتقال، صغيراً أو كبيراً، إلا وتعرّض إلى واحد من أحد أشكال التعذيب الجسدي أو النفسي.

ويُقدر عدد أولئك الذين اعتقلهم الاحتلال الإسرائيلي من الفلسطينيين بأكثر من (1,000,000) فلسطيني، منهم (17,000) من النساء، وأكثر من (50,000) من الأطفال، هذا هو الإحصاء العام، وعلى الرّغم من أهميّته، إلا أنّ ما يجب معرفته وإدراكه أن خلف هذه الأرقام كثيراً من الحكايات والقصص.

لقد شكّلت قضية الأسرى والمعتقلين عنواناً بارزاً ومعلماً أساسياً من معالم القضية الفلسطينية، باعتبار قطاع الأسرى واحداً من أهم قطاعات الحركة الوطنية الفلسطينية، وجزءاً أساسياً من نضال حركة التحرير الوطني الفلسطيني؛ لذا فقد أصبح للأسير الفلسطيني منزلة كبيرة وقيمة عظيمة في وجدان شعبه وكل أحرار العالم، لما يمثله من قيمة معنوية ونضالية. وفي العام 1974 وخلال دورته العادية، أقر المجلس الوطني الفلسطيني- باعتباره السلطة العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية- يوم السابع عشر من نيسان/أبريل، يوماً لنصرة الأسرى والمعتقلين وتأكيداً على حقهم بالعيش بحرية وسلام بين أهلهم وأبناء شعبهم، ووفاءً لمعاناتهم وتضحياتهم، وتكريماً لدماء من سقط منهم شهداء خلف القضبان. وللتوضيح، فإنه لم يثبت حتى كتابة هذه السطور، أن اختيار هذا اليوم، وإقراره، كان له علاقة بأي حدث تاريخي، وكما هو سائد لدى اعتقاد الكثيرين. وقد أقرت القمة العربية التي عُقدت في دمشق بتاريخ آذار/مارس عام 2008، اعتماد السابع عشر من نيسان من كل عام يوماً عربياً يتم إحياؤه في الدول العربية تضامناً مع الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ومنذ إقراره، والشعب الفلسطيني يحييه سنوياً، في فلسطين والشتات، بأشكال ووسائل عديدة، فيما لجأ هذا العام وفي هذه الظروف الاستثنائية وزمن «كورونا»، إلى التظاهرات والمؤتمرات الإلكترونية والحملات الإعلامية ووسائل السوشيال ميديا، نصرةً لهم، وتذكيراً بمعاناتهم، ودعماً لحريتهم، وتأكيداً على حضورهم الدائم ومركزية قضيتهم لدى الشعب الفلسطيني، ويشاركهم في ذلك كثير من الأشقاء العرب والأصدقاء والأحرار في عواصم ومدن عربية وعالمية كثيرة، ليغدو يوماً وطنياً وعربياً وعالمياً، تعزيزاً لمكانتهم القانونية ومشروعية كفاحهم، وعدالة قضيتهم التي حفرت عميقاً في وجدان ووعي الشعب الفلسطيني، وفي الذاكرة الجمعية لدى الفلسطينيين على اختلاف انتماءاتهم السياسية والحزبية وتوجهاتهم الفكرية والأيدلوجية.

تحل ذكرى «يوم الأسير الفلسطيني»

العودة إلى الفهرس

وما يزال قرابة (5000) أسير يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بينهم (180) طفلاً، و(41) أسيرة، و(430) معتقلاً إدارياً، دون تهمة أو محاكمة، و(6) نواب، و(13) صحافياً، ومئات من الأكاديميين والكفاءات العلمية والرياضيين والقيادات السياسية والمجتمعية، وعشرات كبار السن وأكبرهم سناً الأسير «فؤاد الشوبكي"، الذي يبلغ من العمر (81 عاما).

وتشير المعطيات الإحصائية إلى وجود قرابة (700) أسير يعانون من أمراض مختلفة، منهم (300) أسير يعانون من أمراض مزمنة وخطيرة، كالسرطان والقلب والفشل الكلوي والشلل، وهؤلاء بحاجة إلى رعاية طبية مناسبة وتدخل علاجي عاجل لإنقاذ حياتهم، كما وتشير إلى أن نحو (541) أسيراً يقضون أحكاماً بالسجن المؤبد «مدى الحياة» مرة واحدة أو عدة مرات.

وتمضي السنون وتنقضي الشهور والأيام، وتتراوح الأعداد بين جيل وجيل، وتتغير الوجوه وتتبدل الأسماء، ويقضي الأسرى أعمار وراء القضبان، وفي حضرة يوم الأسير الفلسطيني هذا العام، نقرأ أسماء نقشت عميقاً في أذهاننا وعقولنا لنحو (51) أسيراً مضى على اعتقالهم أكثر من عشرين سنة على التوالي. ونتألم أكثر حينما نجد من بينهم (14) أسيراً وقد هَرموا بعد أن أمضوا ثلاثين سنة وأكثر – وما زالوا- في سجون الاحتلال. فتأتي أمام ناظرنا صورا لقامات شامخة وراء الشمس، فنرى كريم وماهر يونس ومحمد الطوس ووليد دقة ورشدي وابراهيم أبو مخ وأحمد أبو جابر وسمير أبو نعمة ورائد السعدي وغيرهم. هذا بالإضافة إلى عشرات آخرين ممن تحرروا في صفقة وفاء الأحرار (شاليط)، وقد أعاد الاحتلال اعتقالهم، ولعل أبرزهم «نائل البرغوثي"، الذي أمضى ما مجموعه (40) سنة على فترتين. أرقام صادمة تُثير فينا كثير من الألم والوجع.

وفي حضرة الوفاء، نستحضر أرواح (222) أسيراً سقطوا شهداء بعد الاعتقال منذ العام 1967، بسبب الإهمال الطبي والتعذيب المميت والقتل العمد؛ فيحضرنا قاسم أبو عكر، وعبد القادر أبو الفحم، وخليل أبو خديجة، وعمر عوض الله، واسحق مراغة، وعمر القاسم، وإبراهيم الراعي، وأسعد الشوا، ومصطفى العكاوي، وخالد الشيخ علي، وعبد الصمد حريزات.. والقائمة تطول.. ونأمل أن يكون آخرهم الأسير سامي أبو دياك الذي استشهد بتاريخ 26 تشرين ثاني/ نوفمبر من العام المنصرم داخل السجون الإسرائيلية نتيجة الإهمال الطبي. هذا بالإضافة إلى مئات آخرين –لم يتم إحصاءهم- توفوا بعد خروجهم من السجن متأثرين بأمراض ورثوها من السجون فترة اعتقالهم، وآخرين كثر كان السجن قد تسبب لهم بإعاقات مستدامة، جسدية وعقلية أو حسية (بصرية وسمعية).

وتحل مناسبة «يوم الأسير» هذا العام في ظروف استثنائية، حيث وحشية السجن وخطر السجان و«كورونا»، في ظل تردي الأوضاع الصحية وتصاعد عمليات القمع والتنكيل من قبل السجان، والتخوف المشروع من خطر الإصابة بفيروس "كورونا"، والذي تفشى في المنطقة وتخطى جدران السجون وداهم الأقسام فأصاب عدداً من السجانين والسجانات والمحققين، دون أن تتخذ إدارة السّجون أيّ إجراءات لحماية الأسرى وضمان سلامتهم، ولم تقدّم لهم أدوات الوقاية والتّعقيم والتّنظيف، ودون تغيير يُذكر على كمية ونوعية الغذاء المقدم للأسرى، أو توفير احتياجات المرضى، بما يساعدهم في تقوية المناعة ومواجهة «الوباء». كما ولم تُتخذ أي خطوة للأمام لمعالجة الاكتظاظ وتقليل الاحتكاك والمخالطة وضمان التباعد الاجتماعي، مما فاقم من معاناتهم ورفع درجة الخشية والقلق لديهم وعليهم في ظلّ استمرار الاستهتار الإسرائيليّ بحياتهم وصحّتهم، وتوقف زيارات الأهل والمحامين وانعدام آليات التواصل البديلة بين الأسرى وعوائلهم، مما شكّل عبئاً إضافياً على الطرفين.

ولم تكتفِ إدارة السجون الإسرائيلية بعدم تقديم ما هو ضروري وإنساني في مثل هذه الظروف الخطرة، وإنما لجأت هذه الإدارة إلى مصادرة عشرات أصناف المواد الغذائية وأدوات النظافة والتعقيم من مقصف السجن، والتي كان يشتريها الأسرى على حسابهم الخاص، مما يؤكد على أنها تتعمد إيذاء الأسرى وغير مكترثة بما يصيبهم من ضرر، وما قد يولده من «كارثة» إذا حلّ فايروس «كورونا» بينهم.

إن الإعلان عن عدم وجود إصابات مؤكدة بين صفوف الأسرى، لا يعني أنهم يتمتعون بالحصانة من الإصابة؛ فالروايات التي تردنا كلها تأتينا من إدارة السجون الإسرائيلية التي نشكك بمصداقيتها ولا نثق بحديثها، ولدينا الكثير من التجارب التي تؤكد على أنها أخفت من قبل الملفاتٍ الطبية للعديد من الأسرى، وكثيراً ما تكتمت ولم تفصح عن طبيعة الأمراض التي عانى منها بعض المرضى الأسرى. فهذا وغيره، يستدعي منا جميعا الارتقاء بمستوى أدائنا، وبذل كثير من الجهد الإضافي، واللجوء إلى استخدام كافة الآليات الدولية وتوظيفها بما يكفل تفعيل أدوات المُساءلة والمحاسبة من جانب، ويضمن إنقاذ الأسرى من وحشية السجن وخطر «كورونا» من جانب آخر.

وفي السياق ذاته، فإننا نطالب المجتمع الدولي بمؤسساته المختلفة، وخاصة اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة الصحة العالمية، إلى تحمل مسؤولياتهم والتحرك العاجل لإرسال وفد طبي دولي محايد لزيارة السجون الإسرائيلية، وتوفير سبل وأدوات الحماية للأسرى، وكذلك الضغط على الاحتلال من أجل الافراج الفوري عن الأسرى المرضى وكبار السن والأطفال والسيدات، باعتبارهم الفئات الأكثر عرضة للإصابة بخطر «كورونا»، وإنقاذ حياتهم قبل فوات الأوان.

وبرغم الألم وشدة الوجع، يبقى الأمل؛ أمل أن نرى كل هؤلاء الأسرى والمعتقلين وقد كسر قيدهم وتحقق حُلمهم بالعودة أحراراً غلى بيوتهم، وقضاء ما تبقى لهم من العمر بين أحبتهم وأبناء شعبهم في رحاب الحرية.

الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال الإسرائيلي:
معاناة ومخاطر مستمرة

تقرير– خاص بالهدف

كشف تفشي وباء كورونا وانتشاره في مساحة واسعة من العالم وحجم الضحايا والإصابات الكبير، حجم المخاطر الواقعة على الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، خصوصاً بعد إجراءات الاحتلال المفاجئة بمصادرة 140 صنف من الحاجات الأساسية للاسرى من الكانتينا وخصوصاً مواد التعقيم والنظافة، وتزامن معها استمرار في سياسة الإهمال الطبي خصوصاً لعشرات الأسرى المرضى وكبار السن الذين يعانون من ظروف صحية صعبة، وعدم اتخاذ إجراءات السلامة والوقاية الاحترازية من المرض داخل السجون، ما يؤكد وجود نية صهيونية ممنهجة ومبيتة بتنفيذ سياسة إعدام بطيئة بحق الأسرى.

ويعاني الأسرى في سجون الاحتلال من أوضاع معيشية صعبة، وحملة استهداف متواصلة من قبل إدارة مصلحة سجون الاحتلال ومخابراته، اشتملت حرمانهم من أبسط شروط الحياة، وسحب كل الإنجازات التي حققتها الحركة الأسيرة خلال معارك نضالية سابقة خاضتها مع الاحتلال. وتعتبر سياسة الإهمال الطبي التي يمارسها الاحتلال، من أكثر جرائم الاحتلال خطورة وتهديداً لحياة الأسرى، وخصوصاً في ظل الأزمة الراهنة، فضلاً عن سياسة الاعتقال الإداري، والعزل الانفرادي، والمداهمات الليلية للأقسام من قبل وحدات القمع الإرهابية، والمنع من الزيارة، فضلاً عن تصاعد سياسة التعذيب للأسرى داخل زنازين التحقيق.

بلغ مجموع أعداد الأسرى في آخر إحصائية أكثر من 5000 أسير، منهم حوالي 540 أسير من ذوي المحكوميات العالية، و 425 معتقل إداري، وحوالي 200 طفل، و45g أسيرة.

وتوضيحا لما سبق، يمكن تلخيص أبرز عناوين الهجمة التي تشنها إدارة السجون خلال السنوات الأخيرة بالتالي:

أولا/ سياسة العزل الانفرادي حيث يتواجد عشرات الأسرى داخل زنازين العزل الانفرادي في ظل ظروف حياتية مشددة، وهذا ما يجعل عنوان العزل أحد أهم المطالب الهامة الراهنة لعموم الأسرى. مع الإشارة إلى أن الأسير المعزول تُمنع الزيارة لعائلته أيضا، مما يجعله في حالة انقطاع تام عن العالم الخارجي.

ثانيا الزيارات العائلية والتي يتم استهداف فيها عائلات الأسرى من أجل الضغط على أبنائهم، ومن ضمن الإجراءات التي يتعرضوا لها عدم إصدار تصاريح لعائلات الأسرى وتمزيق تصاريحهم على الحواجز، وهو إجراء أخير تصاعد خلال الأشهر الأخيرة وطال غالبية عائلات الأسرى، هذا إلى جانب قرار الصليب الأحمر بتقليص الزيارات من مرتين شهرين إلى واحدة، واستخدام سياسة منع الزيارات لإجراء عقابي ضد الأسرى، ومجمل هذه الإجراءات تعبّر عن سياسة تهدف إلى عزل الأسرى وقطع تواصلهم مع عائلاتهم ومحبيهم ومجتمعهم وتحويل الزيارات إلى فعل موسمي مرتبط بتصحيح أمني يصدر لأحد أبناء العائلات مرة واحدة.

ثالثا/ المداهمات الليلية للغرف والأقسام بحجة التفتيش، ونقل أقسام كاملة كما حدث هذا العام بسجن (نفحة ورامون وإيشل ومجدو)، بهدف خلق حالة من عدم الاستقرار لدى الأسرى، في ظل استمرار سياسة نقل الأسرى، فضلاً عن المداهمات الدائمة للغرف باستخدام وحدة القمع «الماتسادا» كما حدث في (نفحة وجلبوع) هذا العام.

رابعا/ سياسة الإهمال الطبي المتعمد وبالأخص ضد الأسرى المرضى المتواجدين فيما يُسمى عيادة سجن الرملة، والمعزولين فعليا عن باقي الأسرى يعانون من ظروف حياتية صعبة، بالإضافة إلى اهمال العلاج وإجراء العمليات وعدم السماح بأطباء مختصين من خارج جهاز إدارة السجون بمعالجة الأسرى، ورفض مطلب الأسرى بنقل المسؤولية عن الجهاز الطبي لوزارة الصحة، والتعامل مع هذا الملف على أساس الموازنة والتوفير، وازدياد عدد الأسرى الذين يعانون من أمراض مزمنة، وإصرار إدارة السجون على إبقاء أجهزة التشويش التي تحيط بالأقسام المتواجد لها الأسرى بحجة وجود هواتف خلوية وما تلحقه الموجات الصادرة من الأجهزة من ضرر صحي. وفي الآونة الأخيرة، وبعد تفشي مرض كورونا في العالم أجمع، يماطل الاحتلال في اتخاذ الإجراءات الاحترازية لحماية الأسرى من المرض، خاصة المرضى ما يعرض حياتهم للخطر.

خامسا: استمرار تركيب أجهزة التشويش وأضرارها الخطيرة على أوضاع الأسرى الصحية، فضلا عن رفض السماح للأسرى باستخدام الهاتف، حيث المطلب الدائم للأسرى هو تركيب هواتف عمومية تكون تحت مراقبة إدارة السجون للأسرى، حتى يتمكنوا من التواصل مع أبناء عائلاتهم، وبالأخص أن المسموح لهم بزيارة الأسير حالة إصدار تصريح له هو قريب درجة أولى فقط، ومنذ سنوات إدارة السجون تتحدث عن نظام تلفوني جديد تحت التجربة ويمكن مراقبته أكثر. وخلال الفترة الأخيرة كانت ردودهم واضحة أن هذا الموضوع يبحث على المستوى الحكومي، وبعد ذلك رفضته نهائياً، ورغم تحقق هذا الطلب في الإضراب الأخير إلا أنه لم ينجز حتى الآن.

سادسا/ البوسطات والعذاب اليومي الذي يتعرض له الأسرى أثناء النقل بين السجون، من وإلى المحاكم والمستشفيات، حيث يخوض الأسير رحلة من الجحيم لساعات طويلة، وترفض إدارة السجن تحسين البوسطة وتقييد مصالح هذا عدا عن الاعتداءات المتواصلة من وحدة النحشون على الأسرى الذي يجري نقلهم في هذه البوسطة.

سابعا/ عذابات الحياة اليومية للاسرى، حيث تطالهم جوانب عدة من الممارسات والإهمال سواء لظروف معيشتهم داخل الغرف، ما يستوجب توفير شروط صحية ملاءمة بالحد الأدنى لهم.

ثامنا/ الكانتينة والسرقة والاستغلال الذي يتعرض له الأسرى من خلال أسعار المواد الغذائية السياحية، وتحويل كل الأساسيات التي يحتاجها الأسير إلى مواد تتم شراؤها عبر الكانتينة من (أحذية ومواد تنظيف وغيرها ...)، بعد توقف إدارة السجون عن تحمّل مسؤولية توفير المواد الأساسية للأسرى

العودة إلى الفهرس

منذ عام 2004، وتسليم كانتينة السجون منذ سنوات لشركة تمويل خاصة، بمعنى جعل الأسير أيضاً مستغلاً عبر شركات الاقتصاد والسوق. وفي الأيام الأخيرة، قامت إدارة مصلحة السجون بمصادرة 140 صنف من الاحتياجات الأساسية من الكانتينا، وفي المقدمة منها مواد غذائية أساسية مثل اللحوم والأسماك والخضار والفواكه، فضلاً عن مواد التعقيم والتنظيف.

تاسعاً/ سياسة الاعتقال الإداري، والتي تستهدف مئات الأسرى، وهناك خطر أن يتم تحويل الأسرى إلى الاعتقال الإداري بعد انتهاء فترة محكوميتهم، كما حدث مع عشرات الأسرى بعد انتهاء مدة محكوميتهم، حيث أصبح الاعتقال الإداري أحد العناوين المتعلقة بالمواجهة.

عاشراً/ أوضاع الأسرى الأشبال وما يتعرضون له من تضييق وعقوبات وحملة تنقلات متواصلة تسارعت وتيرتها في الأيام الأخيرة.

الحادي عشر/ استمرار اعتقال عشرات الأسيرات في ظروف اعتقالية صعبة، وحرمان عدد منهن من الأمومة أو من التعليم، فضلاً عن تكريس سياسة الإهمال الطبي بحقهن وعدم توفير الرعاية الضحية اللازمة لهن، فضلاً عن جريمة تركيب كاميرات في أقسامهن، في اعتداء إجرامي ووقح على خصوصيتهن.

الثاني عشر/ استمرار العقوبات المفروضة عن جزء من الأسرى منذ العدوان على غزة عام 2014، وحرمانهم من الزيارات وتحديد محطات التلفاز.

الثالث عشر/ قطع السلطة الفلسطينية رواتب عدد من الأسرى من أبناء قطاع غزة، ألقى بظلاله السوداء على الأوضاع داخل السجون.

الرابع عشر/ في انتهاك واضح للقوانين الدولي، ما زال الاحتلال يواصل ملاحقته واعتقاله للنواب الفلسطينيين، حيث يعتقل العشرات منهم وفي مقدمتهم القادة أحمد سعدات ومروان البرغوثي وخالدة جرار.

الخامس عشر/ جرائم التعذيب في التحقيق، حيث تستخدم سلطات الاحتلال أساليب عدة في تعذيب المعتقلين الفلسطينيين نفسياً وجسدياً، كالهز العنيف، والشبح على الكرسي الصغير، وضع الكيس على الرأس، الموسيقى الصاخبة، بالإضافة إلى قلع الأظافر، وحرمان من النوم وزيارة المحامي، وغيرها. وقد تصاعدت جرائم التعذيب في الأشهر الأخيرة وخصوصاً بحق قيادات وكوادر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وتشير معطيات إلى أن 95% من المعتقلين يتعرضون للتعذيب، منذ لحظة الاعتقال، ويمتد ذلك في التحقيق، وحتى بعد نقلهم للمعتقلات العامة. ووفقاً لهذه المعطيات فإن 73 شهيداً ارتقوا في زنازين التحقيق منذ العام 1967 نتيجة للتعذيب الذي تعرضوا له خلال فترة التحقيق، من أصل 222 شهيداً سقطوا داخل سجون الاحتلال بذات الفترة. إن التعذيب المستمر في مراكز التحقيق وسجون الاحتلال يتم بشرعية من القضاء الإسرائيلي.

السادس عشر/ سياسة هدم بيوت الأسرى، حيث شرع الاحتلال الصهيوني بتنفيذ جريمة هدم البيوت كسياسة عقاب جماعي بحق أبناء شعبنا منذ احتلاله لفلسطين وتوسعت في بداية الاحتلال العسكري عام 1967، تزامناً مع أساليبه الإجرامية المتنوعة من قتل واعتقال وتهجير، وما زال يمارس هذه السياسة من أجل الضغط على أبناء شعبنا وفي محاولة منه لمنع تصاعد عمليات المقاومة، ظاناً أن إقدامه على هدم بيوت المقاومين سيكسر من إرادتهم وسيجهض مقاومتهم. وقد عمل برلمان العدو ومحاكم الاحتلال على الدوام على سن قوانين إجرامية عقابية بحق المناضلين ويقع على رأسها قرار هدم بيوت منفذي العمليات أو قادة المقاومة، ولم يقتصر الأمر على الهدم لمرة واحدة، بل في الكثير من الأحيان تم هدم المنزل مرة أخرى بعد إعادة بنائه، فضلاً عن إصدار محاكم الاحتلال بعض القرارات تحظر البناء النهائي، وصولاً لمصادرة جميع الممتلكات، والطرد والترحيل القسري للعائلات، وخصوصاً لأسر المناضلين في القدس، وسحب تصاريح العمل لكل من يحمل اسم عائلة المناضل.

تُمثل هذه السياسة انتهاك خطير للقانون الدولي وتحديداً للقانون الدولي الإنساني (اتفاقية جنيف الرابعة) والقانون الدولي العرفي، والتي تؤكد على ممارسة الكيان الصهيوني عقوبات جماعية ضد الفلسطينيين من خلال هذه السياسة، والتي تستوجب الملاحقة والمحاكمة وإحالة هذه الجرائم إلى محكمة الجنايات الدولية. وقد تصاعدت هذه السياسة منذ عام 2015، خاصة في القدس في الضفة، كما وينتهجها الاحتلال بشكل متواصل في قطاع غزة، حيث دمر الاحتلال في أكثر من عدوان على القطاع آلاف البيوت بشكل كلي أو جزئي، وأحياناً على ساكنيها.

إن مجمل ما ذُكر وغيره من إجراءات منظمة وسياسة ممنهجة تعتمدها إدارة السجون لاستهداف الأسيرات والأسرى داخل السجون وزاد الطين بلة إجراءات السلطة بحق الحركة الأسيرة أنتج واقعاً يتطلب التصدي له، لكن هذه المهمة على صعيد الأسرى ليست بالأمر الهين وتحتاج إلى جهد لتجاوز التعارضات ومواجهة واقع التكلس على مدار سنوات التي تعاني منها الحركة الأسيرة، وإن إعادة الاعتبار للقيم والمفاهيم النضالية بحاجة إلى إعادة اعتبار. ولكن المطلوب من أحرار العالم، وخاصة القوى اليسارية والتقدمية وفي ظل الأزمة العالمية الراهنة، هو مغادرة مربعات الانتظار، والتحرك بشكل واسع من أجل نصرة الأسرى الفلسطينيين باعتبارهم مناضلي من أجل الحرية، وأسرى حربٍ يجب أن يتم إطلاق سراحهم فوراً وفقاً للقوانين الشرعية، ويمكن تلخيص الجهود الدولية لإنهاء معاناة الأسرى، بالخطوات التالية:

1) يقع على عاتق هذه القوى التقدمية التحرك بشكل عاجل للتحقيق في الجرائم التي ترتكب بحق الأسرى والمسئولين عنها وملاحقاتهم قضائياً على المستوى الدولي، فهؤلاء المجرمون إضافة إلى ضباط المخابرات يصولون ويجولون في العالم دون ملاحقة إعلامية أو حملات تكشف جرائمهم، وبهذا الإطار فإن تكليف جهة مختصة بهذه المهمة حاجة ملحة ولا تحتاج بانتظار قرار المبادرة للتنفيذ فوراً.

2) التوجه إلى المؤسسات الدوّلية وإطلاق أوسع حملات اعلامية وتنظيم تحركات جادة على كافة الصعد، وهذا يساهم جدياً في تهيئة ظروف مناسبة وحماسة لدى الأسرى للاستمرار في معركتهم.

3) ضرورة الضغط من أجل إرسال لجنة تقصي حقائق دولية، للتحقيق في انتهاكات الاحتلال بحق الأسرى خصوصاً سياسة الإهمال الطبي، واعتقال الأطفال، وسياسة الاعتقال الإداري. والضغط على مصلحة السجون من أجل اتخاذ كل الإجراءات الاحترازية للوقاية من فيروس كورونا.

إن أسرى الحرية بحاجة إلى من يرفع الراية ويبادر ويعمل ويؤثر، فالقادم ضد الأسرى خطير وإذا لم يتم التحرك فلسطينياً وعربياً ودولياً من خلال العمل الضاغط الميداني من أجلهم، فإن معاناتهم ستتفاقم أكثر فأكثر.

كورونا على الجبهة الفلسطينية: حرب مختلفة

د. عابد الزريعي/مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء/تونس

بعد أن تجاوز وباء الكورونا الحدود الصينية، سادت فكرة مفادها أن العالم بات متحدًا في مواجهته بوصفه خطرًا يهدد الإنسانية جمعاء ويوحدها، ووجدت الفكرة سندها في خارطة الانتشار الجغرافي والاستهداف الاجتماعي، خاصة وأن الوباء لم يعد يفرق بين بلد وبلد، وشخص وآخر مهما كان دينه أو لونه أو بلده، فقيرًا كان أو غنيًا. لكن التدقيق في مستوى ردود الأفعال وآليات حماية الذات وخطوط التقاطع بين مختلف بلدان العالم ينفي هذه الأطروحة؛ الأمر الذي يتأكد من خلال رصد مجموعة من الوقائع الأولية ومن بينها، عدم تحرك العالم عندما كان الوباء يتجول في ووهان الصينية، بل رأى فيه البعض مدعاة للتندر والشماتة، وكذلك في محاولة أمريكيا بعد انتشار الوباء عالميًا، تسميته بالفيروس الصيني كوصمة عار تاريخية، قبل أن يتم لجمها والاتفاق على تسميته بكوفيد 19. ثم عودتها لشن ما يشبه الحرب الإعلامية على الصين في محاولة لتحميلها وزر جائحة الكورونا، وكذلك في انقسام العالم في الوعي بضرورة المواجهة الإنسانية الشاملة؛ فبينما هبت الصين وروسيا وكوبا لمد يد العون لدول منكوبة، قامت أمريكيا بتشديد الحصار ومنع وصول المساعدات على دول أخرى، وعملت على الاستفادة منه لتصفية حساباتها مع إيران وفنزويلا وسورية، وذلك بتشديد الحصار وفرض العقوبات. وقامت بوقف دفع حصتها في تمويل منظمة الصحة العالمية في وقت حساس وحرج، وكذلك في حالة المزاحمة بين الدول على إنتاج اللقاح، حيث لم نشهد حتى اللحظة تشكيل فريق أبحاث عالمي موحد، يعمل معًا لإنقاذ البشرية؛ الأمر الذي يؤكد أن الجميع يشن حربًا على الكورونا، ولكن كل من موقعه وتضاريس مصالحه وأهدافه السابقة واللاحقة. أما على الجبهة الفلسطينية، فلم يكن الأمر يستدعي انتظار تصريح سمير جعجع الداعي لفرض الحصار على المخيمات الفلسطينية في لبنان، بوصفها ـ حسب قناعاته ـ مصدرًا للوباء، ولا كاريكاتير جريدة الجمهورية اللبنانية التي جعلت من المقاومة الفلسطينية وباءً يتساوى مع الكورونا، حتى يكتشف أن الحرب على الكورونا تدور على جبهة مختلفة وذات خصوصية.

إن خصوصية الجبهة الفلسطينية في مواجهة الكورونا، تكاد تكون الوجه المقابل لخصوصية القضية الفلسطينية، وجبهة الشعب الفلسطيني المشتعلة دومًا في مواجهة الاحتلال الصهيوني، وتتبدى ملامح هذه الخصوصية في مواجهة الشعب الفلسطيني للوباء على جبهة متسعة تكاد تغطي الكرة الأرضية؛ بدءًا من أرض فلسطين التاريخية التي تتقاسمها ثلاثة مواقع جغرافية غير متصلة من الناحية الإدارية، بما يعنيه ذلك من خضوع كل مجموعة من الشعب الفلسطيني إلى آليات إدارية ومنظومات قانونية، وآليات ضبط تختلف عن بعضها البعض. فالمواجهة تبدأ من الشتات حيث يعيش جزء كبير من الشعب الفلسطيني خارج نطاق أية تغطية اجتماعية أو ضمان صحي، يسمح له بالاستفادة من الخدمات الطبية والمساعدات الاقتصادية التي تقدمها البلدان المضيفة لشعوبها في مواجهة الوباء، وتمتد إلى قطاع غزة الخاضع

العودة إلى الفهرس

لحصار طويل في الزمان والمجال من قبل العدو الصهيوني، بكل ما يترتب على ذلك من تأثير سلبي على إمكانية التزود بالمواد اللازمة لمواجهة الوباء؛ الأمر الذي يعزز قائمة المخاطر التي يتعرض لها الناس، في ظل الضائقة الاقتصادية وضعف البنية التحتية التي باتت واقعًا متجسدًا في القطاع، كنتيجة مباشرة للحصار المفروض من قبل الكيان الصهيوني. وتواصل امتدادها إلى الضفة الغربية، حيث تتواجد الإدارة المركزية للسلطة الفلسطينية كصيغة معلنة، بينما تبقى منطقة مباحة لجيش الاحتلال وللمستوطنين ليفعل بها ما يشاء، كما تشمل المناطق المحتلة عام 1948، حيث يخضع الناس للتمييز في المعاملة في كل ما يتعلق بإدارة الكيان الصهيوني للأزمة المترتبة على استفحال وانتشار الوباء.

وإذا كان الانتشار المفاجئ والسريع للوباء قد كشف عن نوع من الهشاشة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في مواجهة جوائح بهذا المستوى والتعقيد، كنتيجة لتشتته وعدم امتلاكه لشخصيته الدولية؛ بسبب الاحتلال الصهيوني، وليس لضعف وقدرات أبناءه الذين سقط منهم الكثير على خط الدفاع الأول ضد الوباء في بلدان مختلفة؛ إلا أن هذه الهشاشة تعبر عن نفسها بشكل أكثر وضوحًا وقسوة وتحديًا لدى فئتي الأسرى القابعين في سجون الاحتلال، والعمال الفلسطينيين العاملين في اقتصاده، سواء فيما وراء الخط الأخضر أو اقتصاد المستوطنات في الضفة الغربية. وفي مستوى هاتين الفئتين فقد كشف الاحتلال عن وجهه القبيح بدون تردد أو مواربة؛ الأمر الذي أكد للعالم بأن الشعب الفلسطيني وخلافًا لكل شعوب العالم يواجه الوباء الطبيعي بيد، ووباء الاحتلال باليد الأخرى.

وتبدأ هشاشة وضع الأسرى في مواجهة الوباء، من بيئة السجون الصهيونية ذاتها التي تصنف كبيئة مرضية بالمعنى الصحي، نتيجة لما تتميز به من ضيق واكتظاظ واحتكاك وعزل، وهي بيئة تمت هندستها من قبل إدارة السجون لاستنزاف قدرات الأسرى البدنية والنفسية، وقد وجد الاحتلال في انتشار الوباء وسيلة لتعميق عملية الاستنزاف التي يرى فيها أداة مناسبة للتحطيم المعنوي والجسدي للأسرى. وإذا كان العديد من بلدان العالم قد أقدم على اتخاذ قرارات الإفراج عن سجنائها أو وضع التدابير اللازمة، كشكل من أشكال مواجهة الوباء والحد من انتشاره، فإن الاحتلال الصهيوني قد مضى في الاتجاه المعاكس وواصل مسيرته السابقة في قمع الأسرى، وأضاف إليها تعزيز وتوفير إمكانيات انتشار الوباء بينهم بوسائل متعددة، وذلك بحرمانهم من مواد التنظيف والتعقيم، واستهدافهم عمدًا من قبل محققين وسجانين وأطباء صهاينة مصابين بالوباء، وهو الامر الذي رصده بيان الأورومتوسطي لحقوق الإنسان بتاريخ 2020/3/17، حيث ورد ومن غير مواربة: «أنّ المعتقلين الفلسطينيين يواجهون خطر الإصابة بالفيروس نتيجة الاحتكاك المباشر بالجنود الإسرائيليين، أو خلال عمليات التحقيق، إذ جرى الاشتباه بإصابة 4 معتقلين وعزلهم بعد التحقيق مع أحدهم في أحد السجون الإسرائيلية».

كما أن الاحتلال لم يدر الظهر لكل النداءات الدولية بضرورة تجنيب الأسرى وباء الكورونا، بل واصل عملية الاعتقال واقتحام المدن والاعتداء على السكان المدنيين، بطريقة تساعد على تفشي المرض بشكل أوسع. وفي هذا الصدد أشار تقرير المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان الصادر بتاريخ 2020/3/30 إلى: «سلوكيات مريبة لجنود إسرائيليين ومستوطنين، خلال عمليات الاقتحام، إذ قام بعضهم بالبصق تجاه السيارات المتوقفة وماكينات الصرف الآلية وأقفال المحال التجارية. وتم رصد 207 عملية اقتحام للمدن الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس الشرقية فقط، خلال الفترة الممتدة بين 6 مارس 2020 تاريخ إعلان الحكومة الفلسطينية حالة الطوارئ في الأراضي الفلسطينية، ضمن الإجراءات الوقائية لمواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد، وحتى30 /2020/3. أي أن الهدف من هذه الاقتحامات هو تبديد وإلغاء فاعلية إجراءات السلطة في مواجهة الكورونا.

إن إنقاذ الأسرى الفلسطينيين من المصير الذي يريد الاحتلال أن يخطه لهم، لا يمكن أن يتم بالدعاء والمناشدة، لذلك بات من الضروري والملح العمل على وضع الترتيبات النضالية اللازمة والضرورية لإنقاذهم، وذلك لا يتناقض بطبيعة الحال مع اللجوء إلى كل الأدوات القانونية المكفولة بحكم القانون الدولي، وبصفهم أسرى حرب ومناضلين من أجل الحرية. وفي هذا الجانب لا بد من طرح موضوع الأسرى الفلسطينيين بجرأة وبقوة امام العالم، الذي يقوم الآن بإخلاء السجون لمنع تفشي الوباء، والمطالبة بالإفراج أو إخضاع السجون لإدارة دولية تتحمل المسؤولية تجاههم.

أما بالنسبة للعمال الذين دفعتهم ظروفهم الاقتصادية والمعيشية والحياتية للعمل في المناطق المحتلة عام 1948، وفي المستوطنات المقامة في الضفة الغربية، بشروط تتصف بالإذلال وعدم توفر وسائل ومقومات الوقاية والحماية، وهم يشكلون ما نسبته 17.7 بالمائة من القوى العاملة، فقد قامت سلطات الاحتلال بترحيل الآلاف منهم إلى مدن الضفة الغربية من خلال الحواجز، وفتحات الجدار الفاصل بين «إسرائيل» والضفة الغربية، بعد أن ظهر على بعضهم حالات إعياء وارتفاع في درجات الحرارة، وقد جرت أغلب عمليات الترحيل، دون إجراء فحوص طبية، ودون أية ترتيبات مع السلطة؛ لضمان التعامل مع العمال العائدين وفحصهم للتأكد من عدم إصابتهم

بالفيروس، وهو سلوك ينطوي على ممارسة تمييز عنصري، وتحويلهم إلى قنابل موقوتة ناقلة للفيروس؛ لإحداث أكبر قدر ممكن من العدوى بين سكان الضفة الغربية، لا سيما في ظل ضعف إمكانيات السلطة الفلسطينية للقيام بعمليات حجز او فحص كلي لهم.

إن مشكلة العمال هي أحد تعبيرات الاضطهاد والاستغلال الاستعماري، الذي يحول الشعوب المستعمَرة إلى أدوات عمل رخيصة، قادرة على إنتاج فائض القيمة المالية لمصلحته دون تحمل أية مسؤولية اتجاههم، وفي الحالة الفلسطينية هم نتاج تقصير متراكم لم يمضِ في اتجاه بناء اقتصاد مقاوم للاحتلال، بل استراح البعض إلى جني القيمة المضافة بالمعنى الآخر واستغلال العمال بطريقته، ومن غير وعي أن الاحتلال يمكن أن يستخدمهم أداة ضغط لصالحة حتى من غير انتشار الأوبئة، ولذلك لا بد من التخطيط منذ اللحظة وفي خضم مواجهة الوباء؛ من أجل بناء قاعدة اقتصاد مقاوم قادر على الاستيعاب التدريجي لقوة العمل الفلسطينية على طريق سحبها من موضوع استغلال وأداة ضغط من قبل الاحتلال.

إن الشعب الفلسطيني يخوض معركة مركبة ضد الاحتلال وضد الفيروس معًا، وإذا ما قدر له أن ينتصر على الوباء فعليه الاستمرار في المعركة ضد الاحتلال، خلافًا لبلدان العالم التي إذا خرجت من الوباء فستلتفت فورًا إلى ترميم ما لحق باقتصادها من ضرر، ومن ثم تواصل نسق حياتها من جديد. ومثلما يستخلص العالم دروس إعادة بناء حياته اللاحقة من عبر مواجهته للوباء، من الضروري أن يتعلم الشعب الفلسطيني وقيادته السياسية دروسًا جديدة في مواجهة الاحتلال، من خلال عبر ودروس مواجهته لجائحة الكورونا. وإذا كانت اللحظة تستدعي خوض معركة الوباء بكل القوى الذاتية المتوفرة، يضاف إليها ما يمكن الحصول عليه من مساعدات ودعم يكفله القانون الدولي، فإنها تستدعي أيضًا وبذات المستوى الانتباه إلى سياسة الاحتلال ومشاريع التصفية المطروحة، حتى لا يكون الشفاء من وباء عابر ثمنًا للوقع في شرك وباء قد يكون مزمنًا.. إذا لم ننتبه.

الجوهر الأممي للقضية الفلسطينية

فتحي غراس–المنسق الوطني للحركة الديمقراطية الاجتماعية/الجزائر

فلسطين القلب النابض لمسألة التحرر في العالم؛ فلسطين عنوان مأساة تكشف عن وجه العالم القائم على حضارة وقودها الربح المنفلت من أي قيد، والجشع المغلف بقشرة أيديولوجية تدعي خدمة سعادة البشر، ولكنها في الحقيقة تقوم على هيمنة القليل من الناس على حياة الأكثرية الساحقة منهم؛ فلسطين ذروة تناقض يغذي الصراع من أجل تقدم الإنسانية ضد من يهددها؛ فلسطين اختصار لقصة وقوف المستضعف في وجه تعاضد الأقوياء من أجل اقتسام العالم حماية لمصالحهم الجامحة، والصهيونية هي المظهر الأكثر قبحًا لهذه الإرادة في اقتسام العالم بما يخدم مصالح وأطماع المتنفذين فيه.

إذن، يصبح الوعي بطبيعة علاقات القوة العالمية المغذية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، أي الارتباط العضوي بين الإمبريالية، أو بالأحرى الإمبرياليات المتعاضدة، الكبيرة منها والصغيرة ذات الطابع الإقليمي، والاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ضرورة حيوية لتوجيه المقاومة وإنجاحها وحمايتها من السقوط في فخ التصورات الضيقة التي ستحرمها من موارد النصر المنشود. إن الخطاب السائد والمفبرك في الدوائر الإعلامية والإستراتيجية لهذه القوى المتنفذة عالميًا، وبفضل أذنابها الإقليمية والمحلية خاصة، تخفي كل هذه الرهانات، بالتحريف والاختزال لعزل القضية الفلسطينية عن عمقها الاستراتيجي العالمي، وبالتالي زحزحتها عن قلب الصراع العالمي ووضعها على الهامش.

فلسطين بوصلة الشعوب المقاومة من أجل التغيير الديمقراطي تغيب من الصراع، فيضيع الاتجاه السليم نحو الهدف الديمقراطي؛ وفي نفس الوقت تتيه المقاومة الفلسطينية في دروب الخصوصية المدعاة للقضية التي يراد لها أن ترتبط بالخصوصية المفتعلة

العودة إلى الفهرس

«للشعب اليهودي" والخصوصية الموروثة عن النظرة الاستشراقية للمنطقة العربية، فتتحول مسألة التحرر الوطني تحت عناوين الديمقراطية والعدالة، ودحر الإمبريالية العمق الاستراتيجي للصهيونية، إلى صراع عربي إسلامي يهودي أورثته نصوص دينية وعهود خلت، سبقت عهد ابتكار مقولات الحرية والديمقراطية والعدالة وسيادة الشعوب على مصيرها، وليدة الحداثة. لقد أفرزت كل هذه الدعاية الأيديولوجية وعيًا مشوهًا عند البعض، يعمل على استبعاد القضية الفلسطينية من حقل الصراع من أجل الديمقراطية نظرًا لارتباطها حسب الفبركة الإعلامية الأيديولوجية السائدة، بمقولات ومواقع سياسية معادية للحل الديمقراطي. فمحاصرة القضية الفلسطينية بخطاب الخصوصية المفتعلة يطمح إلى حرمان المقاومة الفلسطينية من عمقها الاستراتيجي العالمي، وفي نفس الوقت حرمان النضال الديمقراطي من بوصلته الفلسطينية.

ما كان للكابوس الصهيوني أن يصبح أمرًا قائمًا على الأرض بعد التصفية العرقية الجغرافية التي طالت الشعب الفلسطيني، لولا توفر الشروط السياسية الملائمة عالميًا. إن الاتكاء المتواصل على الإمبرياليات المهيمنة عالميًا ومحليًا كان العامل المحدد في فرض الاستعمار الاستيطاني على فلسطين. هل كنا لنتصور دولة يهودية دون وجود قضية شرقية وهو العنوان المخفف لإرادة القوى الإمبريالية في اقتسام تركة الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الثانية؟

إن تحول الدولة الاستيطانية الصهيونية الوجه الحديث للأيديولوجيا الاستيطانية لأوروبا الرأسمالية وممارساتها التي تلت عهد الاكتشافات الكبرى، إلى موقع متقدم لهيمنة القوى المتنفذة عالميًا، وفي نفس الوقت إلى موضوع للتنافس بينها من أجل كسب تبعيتها، وبالتالي خدماتها في المنطقة الغنية بالطاقة والمهمة استراتيجيًا لتوسطها طرق التواصل العالمي، لدليل على أن طرد الفلسطينيين من أراضيهم واحتلالها مرتبط بطبيعة علاقات الهيمنة القائمة في عالمنا المعاصر، الذي تسبب بدوره في هضم حقوق أخرى لمستضعفين آخرين في بقية المعمورة.

إن القضية الفلسطينية مفتاح نقرأ به مستوى الهيمنة الإمبريالية في العالم، وبالخصوص هيمنة الإمبريالية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. لا بد من وضع القضية الفلسطينية استنادًا إلى كل هذا الواقع القمعي المعولم في مركز الوعي التحرري للشعوب؛ لأنها موضوعيًا وليدة لهذا القمع المعولم بمختلف صوره، ومسؤولية الحركة الوطنية الفلسطينية واليسارية منها على وجه الخصوص، لكبيرة من أجل رفع التحدي لفك الحصار الأيديولوجي الذي تعاني منه المقاومة.

لم تعد ولا يجب أن تبقى القضية الفلسطينية قضية العرب والمسلمين لوحدهم. لقد بيّن هذا التركيز الثقافوي بالرغم من أهميته، بأنه مع الوقت عاجز لوحده على مقاومة اغراءات التطبيع نتيجة عوامل عديدة، تتعلق أكثرها بالضغط الرهيب الذي مارسته ولا زالت تمارسه الإمبريالية بشكل مباشر، أو عن طريق أذرعها المحلية السياسية والأيديولوجية على شعوب المنطقة، للعمل على إدماج الكيان الصهيوني الاستيطاني في المنطقة وفك الارتباط مع المقاومة الوطنية الفلسطينية وعزلها أكثر؛ بل أسفر هذا الضغط المتواصل على شعوب ودول منطقتنا إلى انتقال العدوى إلى الداخل الفلسطيني، والذي ترجم بالانقسام الحاصل بين فتح وحماس.

يبدو في ظاهر الأمور أن الأزمة التي تمر بها الحركة الوطنية الفلسطينية وليدة خيارات خاطئة تبنتها هذه الأخيرة؛ إلا إنه في الحقيقة كل هذا الإنهاك، ينذر بأننا أمام نهاية مرحلة بتناقضاتها، أي بمكاسبها وإخفاقاتها، التي لم تضيع الشيء الأساسي، وهي القضية في حد ذاتها، رغم الظروف الصعبة والتجارب المأساوية التي مر ولا يزال يمر بها الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية.

إن تخبط الاستعمار وليد صمود الشعب. لقد راهنت الحكومات المتعاقبة للعدو الاستيطاني استدراج النخب الفلسطينية نحو فخ الصراعات الداخلية والاحتراب الداخلي لتفكيك اللحمة الوطنية، كما تفعل الإمبريالية في دولنا وفي دول عديدة ترفض الرضوخ لامتلاءاتها، حيث أن فشل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في دفن القضية، سيشكل الأرضية المستقبلية لمشروع مقاومة جامع يضع فلسطين، بمساهمة القوى الديمقراطية في العالم في محور قضايا التحرر للإنسانية.

فلسطين، كما كانت الجزائر وفيتنام سابقًا، وأفريقيا الجنوبية لاحقًا، إحدى منصات العالم نحو التحرر والتقدم فإن ضيعنا فلسطين فسنضيع أنفسنا. كل هذا سيضع على عاتق القوى التقدمية والديمقراطية في العالم مسؤولية الربط العضوي بين مسألة التقدم والتنمية والتحرر الداخلي وطبيعة العلاقات السائدة في العالم، الذي نعيش فيه.

فلسطين اختصار بيداغوجي لكل علاقات الهيمنة السائدة في العالم، لمن لم تسعفه الأمور لفهم تعقيدات العالم، والوقوف الفعلي مع المقاومة الفلسطينية شرط أساسي وضروري لدعم النضال الديمقراطي في العالم وفك الحصار على النضالات الداخلية. أنا كجزائري ابن وطنية ارتوت من نفس معين الوطنية الفلسطينية، لا يمكنني أن أتصور مستقبلاً للديمقراطية في الجزائر والعالمين اللذين تشكل فيهما مخيالي التحريري، وأعني هنا العالم العربي وأفريقيا؛ بمعزل عن إضعاف الإمبريالية، وبالقضاء على ذراعها الأكثر خطورة في هاتين المنطقتين؛ الصهيونية الاستيطانية. إن المقاومة الفلسطينية استنادًا إلى هذا الموقف قضية كل الوطنيين في أوطانهم.

يعيش الشعب الفلسطيني ويعيش التضامن بين الشعوب

العرب واللاعبون الإقليميون

د. موفق محادين /مفكر وكاتب سياسي – الأردن

كان الشرق الأوسط الكبير، بما في ذلك الأرض العربية وهضبه الأناضول والهضاب الإيرانية، مسرحًا لثلاث قوى تاريخية، تعاقبت عليه، هي العرب والإيرانيون والترك، بالاضافة للدخلاء والغزاة الأجانب؛ القدامى والرأسماليين.

ومن المؤسف أن العرب بعد مرحلتي محمد علي وعبد الناصر في مصر، ودخول الشام والعراق تحت الحصار والمؤامرات، فقدوا مكانتهم المحوريه المنبثقه من وطنهم التاريخي على مساحات واسعه من غرب آسيا وشمال إفريقيا.

لكن المشهد العربي المذكور، لم يفسح المجال تمامًا للغزاة الرأسماليين وأدواتهم من قوى التبعية والرجعية، فقد شهدت العقود الأخيرة انبعاثات جديده لشركاء العرب في الإقليم والتاريخ؛ الإيرانيون والأتراك، ولم يعد بوجودهما حكرًا على القوى الاستعمارية.

ولنا أن نقول أيضًا أن الكيان الاستيطاني العنصري الصهيوني، كاستطالة عضوية عسكرية عدوانية للإمبريالية البريطانيه ثم الأمريكية، صار جزءًا من الصراع على المنطقة.

فماذا عن هذا المشهد وموقع العرب فيه؟ وكيف يحددون تحالفاتهم في ضوء قانون التناقضات ومعادلاته الأساسية التناحرية والثانوية، كما في ضوء تعبيراته السياسية، العدو، الخصم، والصديق؟

العرب واللاعب التركي

بالإضافة إلى التغلغل المبكر للجند الترك في البلاط العباسي منذ المعتصم فصاعدًا، مرورًا بسيطرة السلاجقة الترك على مقاليد الحكم في بغداد، فقد ارتبطت علاقة الأتراك بالعرب بما يمكن تسميته بنظرية المركز – المحيط كما صاغها سمير أمين، وكذلك توينبي؛ فحسب هذه النظرية، فإن المحيط الأقل تطورًا غالبًا ما يحل محل المركز في ذروة أزماته، وكما تمكن العرب عندما كانوا محيطًا لامبراطورية في مجالها الحيوي الشرق أوسطي، انقلب الدور عليهم بعد ان صاروا مركزًا في دمشق وبغداد، وصار الأتراك البدو محيطًا لهم قبل أن يزيحوا العرب ويحتلوا مكانهم باسم الإسلام العثماني.

وفي الحقيقة لم تكن تلك المرة الوحيدة التي أظهرت أن لا مكان لزعامتين، عربية وتركية، في الوقت نفسه، فإما العرب وإما الترك، فقد أدى تحول طرق التجارة الشمالية إلى خسارة العرب لمركزهم، الذي انتقل إلى الترك بعد الدعم الكبير الذي تلقوه من المدن الإيطالية الصاعدة (جنوى والبندقية) التي لم تتورع أيضًا بفضل تركيبتها التجارية – الكاثوليكية؛ من انتظار سقوط القسطنطينية الارثوذكسية والتواطؤ مع الأتراك، مقابل تسهيلات طريق التجارة الشمالي.

وبالمجمل وفي الخلفية السابقة للعلاقات العربية –التركية فقد ظل التأثير التركي تأثيرًا سياسيًا – عسكريًا مقابل التأثير الثقافي الإغريقي – الساساني لإيران المغلوب من الترك في معركة كالديران شأنها شأن العرب في معركة مرج دابق 1576. إلى ذلك، وفيما يخص التأثيرات التركية اللاحقة على العرب وامتداداتها الراهنة، نلحظ قوة هذه التأثيرات في كل الخيارات السياسية التي قاربها العرب في الأزمنة الحديثة حتى يومنا هذا:

1- خيار الصراع من أجل الملكية الدستورية في البلدان الملكية، الذي بدأ في تركيا كما إيران، ووصل ذروته في مرحلة عبد الحميد الثاني الذي قاوم هذا الخيار، وكان أول تعبير عربي له في مصر منذ ثورة 1919 وحتى تموز 1952، وقد أخفق هذا الخيار تمامًا وها هو يعود في كل البلدان العربية الملكية؛ سواء التي تسلحت به (قريش مقابل الجيش)، أو تلك التي جاءت من خارج قريش مثل السعودية.

2- مقابل قريش كان خيار الجيش، الذي في بدأ تركيا بحركة الاتحاد والترقي، وما عرف بالانقلاب العثماني 1909، وتكرس عبر مصطفى كمال أتاتورك وإلغاء الخلافة نهائيًا 1923، وكان أول تعبير عربي لهذا الخيار هو محاولة انقلاب بكر صدقي في العراق في إطار الصراع بين الملك غازي ونوري السعيد، قبل أن يتواصل هذا الخيار في سوريا في سلسلة من الانقلابات العسكرية 1949 (الزعيم، الحناوي، والشيشكلي) بظلال فرنسية وأمريكية وبريطانية، ذات صلة بأكثر من موضوع، ومن ذلك أنابيب التابلاين.

3- وكانت حركة الضباط الأحرار ونجاحها بزعامة عبد الناصر في مصر في تموز 1952 التعبير الأبرز عن هذه الظاهرة، بل إن هناك من شبه عبد الناصر بمصطفى كمال على أكثر من صعيد. ولا تزال صورة العسكر في بلادنا تقارب عند الباحثين بالمنظور الكمالي.

4- لخيار الإسلامي بشقيه المحافظ والمعتدل وبتقاليد الميليشيات التكفيرية المسلحة أيضًا، فما نعرفه أن آخر سلاطين بني عثمان تلقوا دعمًا قويًا من القناصل الأجانب خلال الحرب العالمية الأولى، مقابل تحالف الألمان مع الاتحاديين الأتراك، ثم دعم موسكو البلشفية لأتاتورك، وهو ما أسس لعلاقات وثيقة بين (الحزب الديموقراطي) الذي هزم جماعة اينونو وأتاتورك بعد الحرب العالمية الثانية، وبين العواصم الأطلسية، وقام الحزب بزعامة عدنان مندريس الذي اتخذ من الإسلام غطاءً له بتبني مشروع حلف الأطلسي الجنوبي (حلف بغداد)، وسلم تركيا لرجال البنك الدولي، وضباط القاعدة العسكرية الأمريكية الوليدة (أنجرليك). وبين انقلاب وانقلاب أتاتوركي، كان ورثة الحزب الديموقراطي: أمثال أوزال ثم أردوغان يواصلون سياسة اللعب بالإسلام ضد خصومهم العلمانيين. ويساعدنا التمعن في هذه المحطات الإسلامية التي حكمت تركيا (مندريس، أوزال، واليوم أردوغان) على أن هذه الطبعة من إسلام الأطلسي تسللت إلى المشهد العربي بالاسم نفسه (النهضة)، كما عند جاسم بن سلطان في الدوحة، والغنوشي في تونس، وظلالها داخل جماعة الإخوان المسلمين هنا وهناك.

أما بشأن الجماعات أو الميليشيات التكفيرية المسلحة التي تأسست بتسهيلات تركية أردوغانية فدونها تاريخ، القريب منه، خلال محاولات حكومة مندريس المتأسلمة فرض حلف بغداد على سوريا ورفض رئيسها لذلك، وكان ابن البرجوازية الشامية، السنية ذي

العودة إلى الفهرس

الأصول التركية، شكري القوتلي؛ ومن مفارقات تلك السنوات في خمسينيات القرن الماضي استخدام الأزاك للتكتيك نفسه مع سوريا برئاسة الدكتور بشار الأسد؛ إذ قامت الأجهزة التركية قبل نصف قرن تقريبًا بتدريب جماعات إسلامية مسلحة، كما بتدبير انشقاق صغير في الجيش السوري في إدلب باسم الجيش الحر.

أما التاريخ البعيد فتمثل في تنافس المخابرات الأوروبية على إنشاء جماعات إسلاموية مسلحة خلال الحرب العالمية الأولى بأسماء: مثل جيش الخلافة، جيش محمد ومجموعة كردية صغيرة باسم نور الدين زنكي.

- بالإضافة للخيارات السابقة؛ الجيش وقريش، بما فيها الملكيات الدستورية، لم تغب ظلال تركية أخرى، هي الظلال الأتاتوركية عن بعض القوى والتيارات في الأوساط العلمانية والقومية. صحيح أن الوسط القومي العربي تحرك بتفاعل الشرط الموضوعي للنهضة القومية مع الثورة الألبانية القومية والتأثيرات الإيطالية، ورياح القومية الألمانية (اللغوية)، وخريجي التراث الفرنسي المحمول بخليط من الهوى الشرقي السان سيموني ومحفل الشرق الأعظم ومصالح الشركات؛ إلا أن ردة الفعل العربية على سياسات التتريك لعبت دورًا حاسمًا في كل ذلك، بل إن المثقفين العرب المترددين بين الحكم الذاتي واللامركزية العثمانية وتعبيرها (مجلس المبعوثان)؛ حسموا خيارهم لصالح الاستقلال القومي الناجز عن الاستعمار العثماني، وكان ملاحظا في الوقت نفسه أن ردة الفعل المذكورة عند بعض الأوساط القومية اكتست شيئًا ما من التجربة الأتاتوركية (دور الجيش، اللغة، رأسمالية الدولة عبر القطاع العام، علمانية بدرجة أقل).

العرب واللاعب الإيراني

بخلاف العلاقة العربية – التركية التي قامت على الاغتصاب السلجوقي للبلاط العباسي، ثم على الاستعمار العثماني للعرب في إطار نظرية المركز الحضاري والمحيط البدوي والاستحواذ الأخير على المركز، كما حدث مع الجرمان ضد روما؛ فإن العلاقة العربية – الإيرانية مرت بمرحلتين، قبل الإسلام وبعده: الأولى، عندما تقاسمت إيران واليونان ثم روما الشرق السوري العراقي ومصر الفرعونية، ولم يحدث الصراع بين مراكز وأطراف، بل بين مراكز حضرية، بينها حضارات الشرق العربي القديمة.

الثانية، عندما انطلقت موجات القبائل الإيلافية – الصحراوية تحت راية الإسلام، واقصت المراكز واحدًا بعد الآخر، وهو الإقصاء الذي أخذ بعدًا سياسيًا، فيما حافظت الثقافات الحضارية السابقة على مكانتها داخل السلطة الإسلامية نفسها. وكما أخذت هذه السلطة الكثير من الهللينية وفلسفة الإغريق، وخاصة في مرحلة المأمون، فإن الشعوب الإيرانية المغلوبة سياسيًا، واصلت حضورها ثقافيًا في محطتين كبيرتين متناقضتين:

- الأساليب الكسروية الساسانية، وخاصة عند ابي جعفر المنصور وبناء بغداد، وفق كتاب (الفكر اليوناني والثقافة العربية).

- المحطة الإسلامية؛ عبر عشرات العلماء والفلاسفة، وبضمنهم عدد معروف من النحويين وأرباب اللغة.

وبالمقابل، فإن فكرة ولاية الفقيه التي شكلت الإطار المرجعي للدولة الصفوية، وهي دولة تعود إلى عائلة تركية (صفي الدين الطوسي) فكرة عربية تراوح تنسيبها بين عدد من الفقهاء، أبرزهم علي الكركي (كرك البقاع اللبناني التي تعود جذورها كما أوساط شيعية واسعة في لبنان إلى قبائل عاملة اليمنية التي كانت تعيش في الأردن، ومنها أخذ جبل عامل اسمه).

وفي كل الأحوال لم تتمكن كل الدول المماثلة في إيران من لعب دور كبير في الشرق العربي بحضور السلطنة العثمانية القوي، بل إن معظم العائلات الإيرانية الحاكمة حتى سقوط الشاه؛ من الصفويين إلى القاجار تعود إلى جذور تركية تنتمي مذهبيًا إلى الشيعة، وفق تأويلات عربية لولاية الفقيه. أما الحضور السياسي الإيراني في المنطقة، فقد ترافق مع الأزمنة الحديثة وانحسار الاستعمار العثماني بعد قرون من الفساد والاستبداد. وفيما قامت جمهورية علمانية في تركيا بقيادة أتاتورك على بقايا السلطنة بدعم الأسطول الروسي بعد ثورة أكتوبر بقيادة لينين، فقد فشلت كل محاولات المكلية الدستورية في إيران وآلت السلطة إلى جنرال سابق في الجيش الروسي القيصري، والد شاه إيران الأخير، الذي وضع الخليج كله تحت سيطرته، وأقام علاقات وثيقة مع الأمريكان والعدو الصهيوني، وشكل مع السادات في مصر تحالفا عسكريًا امتد إلى إفريقيا هو (حلف السافاري). هكذا شكلت إيران الشاه مع العدو الصهيوني وتركيا في عهودها المختلفة ومنها تيار مندريس – أوزال – أردوغان المتأسلم، مثلثا إقليميًا ضد كل شعوب المنطقة، وخاصة العرب.

انطلاقًا من ذلك، لم تكن الثورة الإيرانية التي أطاحت بالشاه، عملاً محليًا قوض المصالح الأمريكية – الصهيونية في طهران وحسب، بل محطة حاسمة في خلخلة المثلث اللاقليمي المذكور برمته، وأيًا كانت الملاحظات التي تساق ضد إيران، من معسكر الأعداء أو الأصدقاء أو الخصوم، فإن السمة الأساسية لإيران بلا شاه، هي سمة التناقض مع المعسكر الإمبريالي – الصهيوني، مما يشكل إضافة عملية لرصيد المقاومين والوطنيين العرب (سوريا-المقاومة، واللبنانية بقيادة حزب الله، والمقاومة الفلسطينية، وحركة التحرر العربية).

العرب واللاعب الصهيوني

ابتداءً، فإن أخطر ما يواجه العرب مع اللاعب الصهيوني هو محاولات إضفاء شرعية تاريخية على احتلاله للجغرافيا.. ولا يجري ذلك بسوء نية دائمًا؛ فالاخطر هو ما يجري بحسن نية، وذلك عندما يحال الصراع مع يهود الكيان الحالي إلى قرون سابقة، وهو الأمر الذي يغفل المعطيات التالية:

1- أن غالبية اليهود الذين احتلوا فلسطين العربية، هم من اليهود الخزر الأتراك الذين أقاموا كيانًا في القرن الثامن حول بحر الخزر؛ مستفيدين من تحول طرق التجارة الدولية آنذاك، ثم تشتتوا بعد هزيمتهم على يد الأمراء الروس والهجمات المغولية، وذلك بحسب المؤرخ اليهودي، كوستلر. وبالتالي لا تربطهم أية علاقة بالعرب الذين تهودوا في شبه الجزيرة العربية واليمن ثم الهلال الخصيب، فهم يهود عرب، كما المسلمون والمسيحيون العرب.

2- أن الكيان الصهيوني الاستيطاني الذي اخترعته المتروبولات الرأسمالية الأوروبية شرق المتوسط، موضوع تناقض تناحري بهذه الصفة؛ من تجلياته الغنتاج المتبادل بينه وبين التبعية والطائفية والتخلف والتجزئة، وبالتالي وبالإضافة لعدم شرعيته التاريخية والجغرافية فوجوده يتناقض مع كل شعوب المنطقة وخاصة العرب، وليس مع الفلسطينيين وحدهم الذين كانوا الضحية الأولى له.

وأكثر من ذلك، اذا كانت الصناعة الإمبريالية لهذا الكيان قد استدعت في البداية تقسيم الهلال الخصيب وفق اتفاقية سايكس –بيكو، فإن محاولاته عبر سيناريوهات مؤتمر هرتزليا (2000-2018) لتجديد نفسه، تستدعي تفكيك الشرق برمته إلى كانتونات طائفية تتقاطع مع المشروع العثماني الأردوغاني لتقسيمها إلى ولايات عثمانية، وهو المشروع الذي أسقطه الجيش السوري والمقاومة.

"اليوم التالي": فليكن فرصة!

د. حسن خليل – عضو المكتب السياسي، مسؤول العلاقات السياسية في الحزب الشيوعي اللبناني

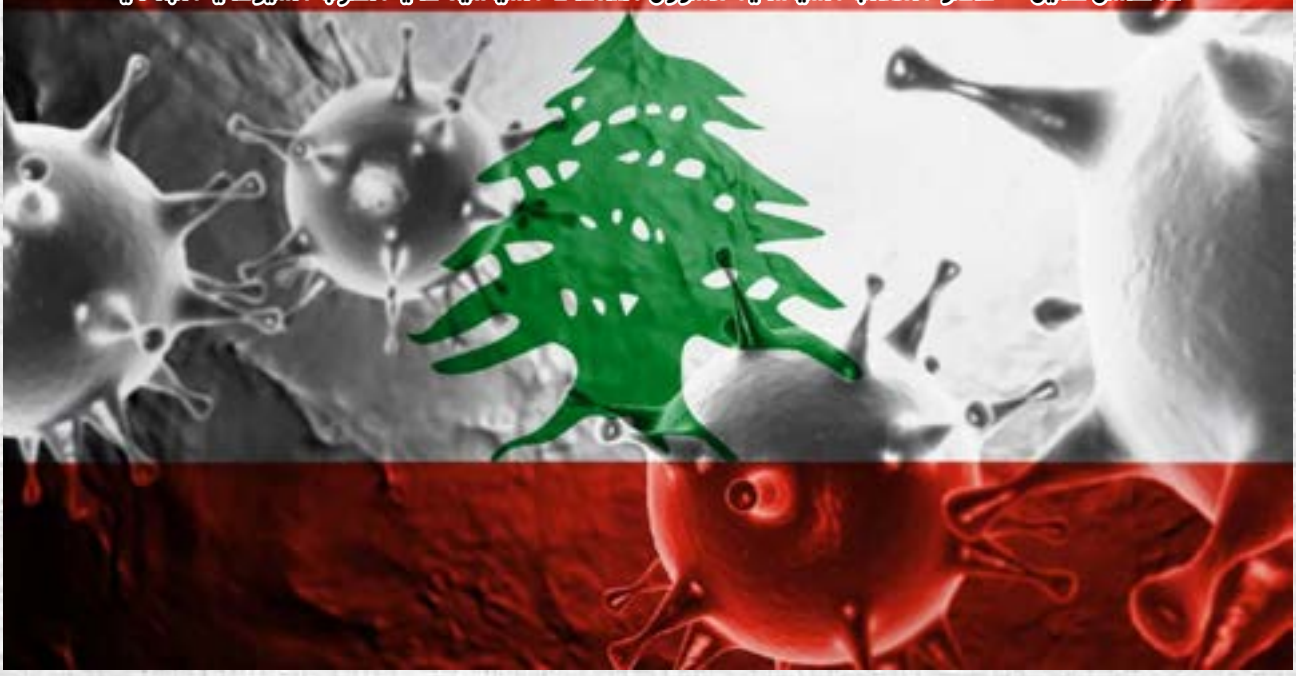

لم يكن ينقصنا في لبنان، المنخور في تركيبته السياسية حتى العظم، إلّا الكورونا. أكثر من ستة أشهر مضت والشعب اللبناني في الشارع يواجه مفاعيل السياسات المتبعة منذ سنوات، والتي أوصلت البلاد إلى الانهيار والمجاعة، بفضل نظام سياسي رُكب على عجل كي يؤمن مصالح «التمدن» القادم من الغرب. لم يكن ينقصنا ونحن نتعايش، بحكم الواقع، مع طغمة حاكمة ومستبدة، تنطق بلسان أسيادها الموزعين على أربع جهات الأرض، وفي مراكز النهب والسلب العالمية، من صناديق النقد إلى التجارة إلى أصحاب الرأسمال الفالت على فقراء العالم، والمتفلت من كل الضوابط والكوابح؛ ينفذون الأوامر وهم صاغرون لا تثنيهم أخلاق أو يردعهم ضمير، باعوهما في سوق الولاء المفتوح على الحصار والعقوبات والتحكم والتبعية والارتهان حدّ العمالة.

لم يكن ينقصنا إذن إلّا الكورونا، ونحن نعيش اليوم مفاعيل أزمات صحية – اجتماعية تجتاح لبنان وبلادنا العربية والعالم؛ وباء فضح أكثر مما أصاب، ولمّا تنته مفاعيله بعد، ومن المؤكد بأن نتائجه سيكون لها ما بعدها. فبالرغم من خطورته الصحية المباشرة على حياة المواطنين، إلّا أن خطره الأكبر هو **«اليوم التالي»** الذي سيليه؛ أزماتٍ اقتصادية واجتماعية ستجتاح عالماً مهجوساً بخدمة رأس المال وكيفية تأمين مصالحه، تحكمه منظومة سياسية-اقتصادية-عسكرية، ليس في سلم اهتماماتها حياة البشر ومعيشتهم وبيئتهم ومستقبلهم، بل الأهم هو السيطرة وبالحروب والاحتلال والقهر ولمّا يزل، وما جائحة الكورونا التي تجتاح عالمنا اليوم من أقصاه إلى أقصاه إلّا تأكيد المؤكد على ذلك؛ هي رأسمالية مأزومة تحاول القفز من فوق أزماتها بالهروب إلى الأمام، مطيحة بكل شيء.

فالمنظومة الحاكمة والمتحكمة في العالم، والتي نتجت من نتائج الحرب الباردة، قد وصلت في أزماتها المتلاحقة إلى القمة، بحيث لم يعد ينفع معها الترميم ولا التجميل، فقبح نهجها لا يصلحه استخدام كل مساحيق العالم؛ لقد استنفدت كل إمكانيات التجدد المفتعل وبواسطة سياسات القهر والحروب والحصار والعقوبات والإكراه. لقد تمادت في بلطجتها حدّ الفجور، بحيث لم تترك قضية أو مسألة أو بلد إلّا ودست أنفها القذر فيه، ولم تترك وسيلة أو سلوك لا-أخلاقي إلّا وكانت فاعلته؛ حروبها غطت مساحة العالم وسياسة الحصار والتجويع لشعوب المعمورة بائنة وجلية، هي رأسمالية أنتجت من الحروب والسلاح والهيمنة والبلطجة أكثر مما أنتجت من القمح والحفاظ على البيئة ومنع التلوث ورتق طبقة الأوزون.

فكيف لرأسمالية بلا أخلاق أن تعمل بأخلاق أو تنتجها، وها هي اليوم تقف عارية عاجزة، لا حول ولا قوة لها أمام شعوبها، مكابرة متكبرة تتجرأ على كيل الاتهامات يميناً ويساراً، لتغطية عجزها بغربال الكيدية والفوقية التافهة واختلاق الذرائع لستر عورتها البائنة، إلّا أن خيبتها وخيبت نظمها تفضحها وتذلها: **فهل مع المرابي ترامب وأقرانه وأشبابه وصبيانه سيكون العالم في مأمن أو الشعوب في هناء؟** لا أظن بأن ثمة صعوبة في الإجابة عن هذا الاستفهام، فمكتوب

العودة إلى الفهرس

ترامب يُقرأ من جونسون وماكرون ونتنياهو وغيرهم الكثير من أوركسترا سياسية أتت من خارج المنظومات المتعارف عليها تقليدياً أو من توارث؛ لقد جاءوا لتلبية مصالح منظومات عميقة في نظم سياسية-اقتصادية وعسكرية، جمع المال همّها وليس من سبيل ممنوع عليها ارتياده، والحروب والتجويع والقهر هي أساس دروبهم وعليها مضوا وهم متابعين.

نعم لقد وصل هذا النظام الحاكم والمتحكم في العالم إلى ذروة أزمته، وها هو يترنح أمام غرور فارغ أوهم فيه شعوب العالم ونظمها. قاتل بأموال الشعوب وسرق مستقبلها، حرمها الخبز والعلم والحرية لمصلحة تجارة السلاح والأبيض والأسود، وها هو يقف عارياً حتى من ورقة التين التي يبست بفضل سياساته البيئية التي صحّرت أكثرية الأراضي الزراعية، ومنعت المطر من الهطول بفضل احتباس حراري، له أب وأم وأسباب معروفة لا لبس فيها ولا التباس. نعم لقد سقط هذا النظام العالمي ووجب تدميره لمصلحة آخر أكثر إنسانية وعدالة، آخر ليس على أنقاض المنتهي بل بديل عنه، بديل من نوع نقيض، له إرث وقوى وتاريخ وأفكار ومبادئ... وما عليه إلّا أن يكون أكثر جرأة وإقدام.

إن بلداننا العربية والشرق أوسطية وشعوبها، لن تكون بمنأى عن التداعيات السلبية لهذا الوضع، لا بل، يمكن أن تكون من الأكثر تأثراً به، وذلك بسبب الأمراض المزمنة التي تعانيها منذ أكثر من قرن من الزمن.

لقد ابتليت هذه المنطقة، المترامية الأطراف والأبعاد، الممتدة من محاذاة الأطلسي غرباً إلى جوار السور العظيم شرقاً، بأمراض مزمنة ناتجة من سياسات وافدة مع غرب استعماري متجبر وقاتل، وبأخرى مستعصية مرتبطة بنظم سياسية وتركيبات هجينة، موروثة بهوية ضائعة بين قومية ملتبسة ووطنية متطرفة، لم تستطع خوض استحقاقات شعوبها في التنمية والحرية والعدالة والتحرر الوطني ولاحقا التحرير، وبناء الدول الوطنية المرتكزة على خيار سياسي واضح واقتصاد وطني منتج، وبأفق تحرري يلغي التبعية ويُبطل

مفاعيلها. من هنا يصبح لزاماً علينا كقوى تحرر وطني وشعبي أن نتقدم للمساهمة في رسم معالم القادم من الأيام وكيفية التصدي لمفاعيل نتائج الوباء المزدوج الذي نعاني منه.

لقد خذلت نظمنا السياسية الحاكمة منذ زمن بعيد شعوبها، فخسرنا الأرض وفقدنا الامكانات وفرّطنا بها لمصلحة قلة تحكمت فطغت وقمعت وأرهبت؛ قبلتها يممتها صوب الغرب ولمّا تزل. خياراتها دوماً كانت محصورة بين حدّين، العجز والتبعية، فرّطت بالثوابت، وأفرطت في الارتهان. لم تستطع وعلى مدى قرن من الزمن أن تزيل مفاعيل وعد طرأ على واقعنا من خلال إمبريالية وافدة على أنقاض سلطنة متداعية، فزُرع في أرضنا كموقع متقدم لمشروع استعماري عميق الأهداف ومستدام، أقام بيننا ولا يزال يتمتع ببعض حيوية أعطته إياها نظمنا الحاكمة الموروثة منها والمرّكبة، إلّا أن ثمة شعوباً قالت لا في وجه هذا السائد واستمرت تقاوم مخرز العدوان والعجز العربي الذي طال.

لقد جاءت كورونا لتمنح شعوبنا سبباً إضافياً لكشف عورات النظم السياسية الملحقة، ولتبين زيف ادعاء حماتها الدوليين ورعاتها.

لقد بقيت الولايات المتحدة الأميركية زهاء ثمانين عاماً تنهب وتنهب وتعبأ خزائنها بأموال البترول، المحرومة منها شعوبنا، وعند أي استحقاق سياسي كان التموضع الأميركي واضحاً ومنحازاً لعدو إسرائيلي غاشم، محتل وقاتل، والعرب يصفقون: **اليوم، ومع الكورونا، لقد بانت الصورة أوضح، والمسألة ليست بحاجة إلى من يفك شيفرتها، أما آن لشعوبنا أن تأخذ قرار التخلص من ذلك الجبروت وأدواته؟**

الجواب لا يجب أن يكون بالتمني بل بالفعل الواضح. لم يعد هذا النظام المتحكم صاحب سطوة، بل أصبحت دوله أشبه بدول الموز أو الدول الفاشلة. الإرهاب الممارس من قبلهم آن أوان انتهائه، والبديل الثوري حان أوان تحركه: لا فصل بين الأسباب والنتائج؛ ففعل التسلط والبلطجة والعدوان لا خيار يلجمه إلا الفعل النقيض له ومن الجهة المقابلة.

سيكون للكورونا نتائج اقتصادية مؤلمة على كل دول العالم، ودولنا وشعوبنا منهم؛ لذلك، استحقاق ربط التحرير بالتغيير دوماً مطلوب، والانحياز إلى فقراء شعبنا، والذين سيكثرون في هذه الفترة، هو منطقي ومطلوب لقوى ثورية تقدمية، دفعت في سبيل مبادئها وانحيازها إلى جانب المضطهدين أثماناً باهظة، فليكن هذا منصة لانطلاقة أكثر وضوحاً وفعالية.

كورونا وصفقة العصر

وباء الاحتلال أخطر من وباء كورونا

الأسير منذر مفلح–صحفي وكاتب – سجن ريمون– فلسطين المحتلة

يتصور البعض بأن اتفاق نتنياهو – غانتس على تشكيل حكومة في «إسرائيل»، هي «حكومة كورونا» من أجل مواجهة أخطار الوباء، وأن المفاوضات المآثونية الائتلافية التي استغرقت أسابيع طويلة لتشكيل حكومة بين الليكود، وأزرق أبيض «المعدل»، بعد انسحاب بعض أطرافه لانتهازية رئيسه «غانتس» كان هدفها مواجهة جائحة كورونا؛ التحركات على الأرض تعكس غير ذلك.

لقد كانت أحد أهم الأوراق التفاوضية تتعلق بضم المستوطنات وشرعنتها، ولقد كان الحديث عن ضم المستوطنات وشرعنتها يدور سابقاً في أوساط اليمين وخاصة «الليكود» و «البيت اليهودي» سابقاً، أما اليوم، فهو برنامج «وحدوي» لحكومة في «إسرائيل»، خاصة بعد أن أطلق ترامب شرارة صفقة القرن، كي تكون مؤشراً وهادياً للأحزاب الصهيونية وبرامجها السياسية والانتخابية والائتلافية، وثبت ذلك بإعلان تحديد موعد لضم أراضي الضفة، كجزء من الاتفاق على تشكيل الحكومة.

ونشير هنا إلى أن ما فجّر مفاوضات تشكيل الحكومة سابقاً «بحسب الإعلام الإسرائيلي»، فهو قضية «تعيين القضاة في إسرائيل»، وبهذا المعنى، لم يكن ولم تكن «الكورونا»، بأكثر من شماعة يتخذها انتهازيو الأحزاب الصهيونية، كي يعتلوا كراسي الحكم في دولة الاحتلال من أقصى اليمين إلى أقصى ما يُسمى اليسار، بحيث يشارك «عمير بيرتس» أو سيشارك في حكومة نتنياهو الائتلافية، والحديث يدور عن توزيع مناصب، وليس مواجهة خطر الكورونا؛ لأن التداعي لتشكيل حكومة طوارئ لمواجهة أزمة كورونا، يقتضي الابتعاد عن التقاسم وتحول رئيس الوزراء لوزير صحة ومجلس الوزراء لمندوبين صحيين، ولكن الذي يحدث هو غطاء من أجل دمج اليمين بما يُسمى يساراً في «إسرائيل» في حكومة واحدة، يكون شعارها السياسي تطبيق صفقة القرن، أو ما يهم «إسرائيل» في هذه الصفقة؛ ضم أكبر قدر ممكن من الأرض بأقل قدر من السكان.

إن اليمين المتسلح بوعود ترامب وصفقته والمنتصر بأيديولوجيته انتخابياً يسعى لتكريس فكره على دولة «إسرائيل» وعلى ما تبقى من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، بعيداً عن ما يسميه البعض «سلاماً»، واليسار الذي أدرك تماماً أنه انهزم وإلى الأبد، يسعى لتخفيف آثار هزيمته أو هكذا يبدو وخاصة في مضماري التشريع «الكنيست»، والقضاء «المحكمة العليا»، وهو ما أحدث تفجيراً في المفاوضات الائتلافية، فأين الكورونا من حكومة هذا الاحتلال ؟

إنها غطاء يستفيد منه الاحتلال لتمرير مخططاته على حساب شعبنا، ومستفيداً من الهامش الذي سببته كورونا بالتهليل في النظام الدولي، الذي لن يستعيد عافيته بعد كورونا، وعلى ذلك فإن الوقت الملائم لتطبيق صفقة القرن، هذه الأيام؛ «فإسرائيل» تسمح للسلطة وقواها بالانتشار على الحواجز ما بين الضفة و«إسرائيل»، وتسمح للأجهزة الأمنية بالانتشار في العيزرية وأبو ديس، وكفر عقب تحت مسميات مواجهة الكورونا، وتتوسع في ذات الوقت مستخدمة جيشها وعسكرييها لمصادرة الأراضي وشق الطرق الاستيطانية، وتوسيع البناء في المستوطنات، وترسيم الحدود للصفقة على الأرض في غياب أي اهتمام أو متابعة من أي طرف، وتجعل من سياسة الضم والتوسع وشرعنة المستوطنات برنامجاً ائتلافياً لحكومة وحدة تحت غطاء الكورونا.

إن خطورة الكورونا في أنها عدو أعمى يضرب حيث لا يمكن التوقع، وبهذا، فالوباء عدو أحمق لا يمكن التنبؤ بخطواته، أما العدو الحقيقي الذي يجعل من الوباء جزءاً من استراتيجيته لتطبيق وتحقيق أهداف أمنية وسياسية وعسكرية، فهو العدو الحقيقي الأخطر ؛ الاحتلال.

لقد سمحت لنا الظروف بالتواصل مع بعض أهلنا في القدس الذين أكدوا أن «إسرائيل» سعت ومن خلال أمريكا، ولا زالت تسعى من خلال تثبيت إعلان القدس عاصمة موحدة لدولة «إسرائيل»، في حين أنه في ظل الكورونا، أعيد تقسيمها، حيث منعت قوات الاحتلال الحركة ما بين شرقي وغربي القدس، يترافق ذلك مع السماح للقوى الأمنية الفلسطينية بالدخول لمناطق مثل العيزرية وأبو ديس وكفر عقب وغيرها تحت حجة الكورونا، وتتغول في السيطرة والاستيطان والتوسع، وتتوج ذلك ببرنامج سياسي، يشمّر عن خطواتها في قادم الأيام بعد انجلاء الكورونا؛ فهل تعي السلطة

العودة إلى الفهرس

الفلسطينية والآخرين هذه الحقائق؟ أم أن هذه الحقائق غائبة أو غير ذات أهمية في واقع الكورونا؟ بمعنى أن العداء مع الاحتلال وُضع جانباً، أم أننا سنفيق بعد اليوم التالي للكورونا على صفقة القرن وقد طُبقت على الأرض؟ وهل تعني كل السياسات الإعلامية والمؤتمرات التي تمُجد صباح مساء بدور السلطة والمؤسسة الأمنية ودور الرئاسة وحركة فتح في مواجهة كورونا؛ الأمر الذي وصل حد أن يخرج المتحدث باسم الأجهزة الأمنية «عدنان الضميري» للحديث عن الكورونا ودور الأجهزة الأمنية في مواجهته؟

هذه مجموعة من علامات الاستفهام، نضعها برسم الإجابة لمن يمتلكون حرية الفكر في زمن الانتصارات الكورونية.

لماذا؟

الإجابة هي خطيرة؛ فالعالم يسعى اليوم للانتقال للمرحلة الثانية، وهي التي تعني التكيّف مع الكورونا، وليس مواجهته. لقد حاول « ترامب» وامريكا، تجاهل الوباء ولاحقاً التكيّف معه، من خلال محاولاته الإعلامية والمتكررة وضع حد لهذا الوباء، وقد حدد موعد قبل عيد الفصح في أمريكا، واليوم يضع نهاية عيد الفصح أو نهاية هذا الشهر على أكثر تقدير، وكذلك تفعل الدول الأوروبية، والصين و»إسرائيل».

ما هو الرابط ما بين مواجهة كورونا أو التلاؤم والتكيّف معه؟ وبين وباء الاحتلال وسياساته؟

إن مقدرة وإمكانيات وظروف كل دولة في مواجهة كورونا، ولاحقاً التكيّف مع الوباء مختلفة ومتفاوتة، وطبيعة هذا الوباء «كورونا»، هي تماماً كالاحتلال إما البقاء وإما الفناء؛ والبقاء بهذا الصراع للأقوى، بحسب كلاً من مالتوس وداروين، وبهذا المعنى لا يمكن (للدولة) وتحديداً الدول الرأسمالية ونظام السوق الحر، والنيوليبرالي، البقاء في حالة من الجمود، وفرض حظر التجول على مدن وعواصم العالم، مما يفرض تعطيل الماكينة الإنتاجية الرأسمالية، وهو ما يفرض على الحكومات قسراً؛ إعادة فتح العواصم والمدن وسحب الجيش، وإعادة العملية الإنتاجية الرأسمالية، لإعادة ضخ الأموال في الأسواق والبنوك والموازنات والرسائل، مما يعني التكيّف مع الوباء، وليس فقط مواجهته. ولأن قدرات الدول مختلفة، فهناك دول ستنهار، وهنالك دول ستصمد بحسب هذه الإمكانيات والقدرات، وبسبب من ذلك ستكون هنالك دول رائدة وقائدة تفرض سياساتها وهنالك دول تابعة، وهو ما يعني إعادة تموضع جيوسياسي على المستوى العالمي؛ تكون فيه الدول القوية، والقوة هنا تعني: التصنيع والمال والسيطرة، وهو ما تمثله الصين حالياً في الوضع الراهن، وتسعى له دول العالم كافة مثل روسيا وأمريكا.

لقد أعلنت معظم دول العالم بما فيها إيطاليا، إسبانيا، وغيرها من العودة التدريجية للأوضاع الطبيعية، حتى نهاية هذا الشهر على أكثر تقدير، وهو ما تسعى له « إسرائيل» أيضاً.

ماذا يعني ذلك بالنسبة لصفقة القرن؟

إن السلطة الفلسطينية هي حكم ذاتي هش، ومجتمع ضعيف وفقير يخضع للاحتلال، وتسعى السلطة صباح مساء لشرعنة ذاتها أو سياساتها أو قياداتها، من خلال إظهار ذاتها في مواجهة حرب الكورونا؛ ولأن هذا الكورونا يستهدف البشر فقط، فإنه يتواءم مع صفقة القرن وسياسة الاحتلال، من حيث جغرافيته، حيث يتركز ويتموضع الأمن والسلطة نتيجة للكورونا، وعدم قدرة هذه السلطة على التكيّف مع الكورونا، بل ستبقى تراوح كما غيرها من المجتمعات الفقيرة في مرحلة المواجهة، وبعكس دولة الاحتلال التي تسعى للتكيّف كمرحلة ثانية، مما يعني عودة دولة الإحتلال لرفع شعار صفقة القرن سياسياً وهو ما لم يغب عن سياساتها ولو لثواني. ولأن الصدف شاءت أن تكون جغرافية الكورونا، تماماً هي جغرافية الصفقة، وتمركز أجهزة السلطة في هذه الجغرافية، وانتشار جيش الاحتلال خارج جغرافية صفقة القرن، والذي يترجم بالسيطرة الفلسطينية على المراكز السكانية لمجابهة الكورونا، وسيطرة جيش الاحتلال على الضفة والمناطق C و b، فلقد لوحظ عودة جيش الاحتلال لمعسكرات ومواقع متتالية وتدريبات في مواقع في الضفة الغربية، لم يستفد منها جيش الاحتلال منذ حرب الخليج 1991. وهذا يعني فرض جغرافية (الكورونا – صفقة القرن)، مترافقاً مع شرعنة الشعارات والبرامج السياسية الصهيونية المنادية بالضم والشرعنة والاستيطان والسيطرة على مساحات واسعة من الضفة الغربية التي ثبتت في المفاوضات الائتلافية لحكومة الاحتلال «الكوورنية»؛ فالخطر المحدق بالشعب الفلسطيني كان ولا يزال، وسيبقى هو الاحتلال، وما الكورونا إلا غمامة آخر الشتاء المنقضي ليس إلا.

الدائرة العربية في البالماخ

مستعربون في بيروت: عملية الفجر

أحمد مصطفى جابر–كاتب – مسؤول شؤون العدو في الهدف

بدأ ظهور وحدات المستعربين «بالعبرية مستعرفيم: מסתערבים» منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وفي البداية نشأ المصطلح من «التدخل הסתערבות» وهو مصدر مستمد من المعنى العربي «التدخل» والذي يعبر عن موقف يعيش فيه غير العرب ويتصرفون كعرب في كل شيء.
والمستعرب (المتدخل) يجب أن يكون ذو مظهر شرقي، ويتم اختياره للقيام بهذه المهمة والمطلوب منه أن يقيم لفترة طويلة في بيئة عربية ، فهو مجهز بغطاء مناسب – المهنة وتاريخ الحياة - ومطلوب أن يظهر كعربي في الثوب والسلوك والإقامة والعمل واللهو، ويتبنى ممارسات العرب في شرب القهوة ، والطعام ، والسكن ، والاستيقاظ ، والانفصال - حول الطقوس والسلوكيات المصاحبة لها –وهو في هذا كممثل يؤدي دوره على المسرح لكن لمدة 24 ساعة في اليوم، وقد أشارت الدراسات إن هذا كان يشكل خطرا عقليا على المستعربين ومعاناة عصبية وأحيانا إلى حد الجنون، دون أن نعثر على مثل هذه الحالات في أرشيف البالماح، المصدر الأساسي لتنظيم المستعربين.

عمل أعضاء هذه الوحدات ضمن عصابات صهيونية، وقد كُتب الكثير عن وحدات المستعربين الصهاينة، وتكاد أسماؤها تكون معروفة لدى كل فلسطيني في الأراضي المحتلة، وأكثر من ذلك، كُتب عن تاريخ هذه الوحدات منذ تأسيس الدولة الصهيونية، وعلى مراحل، كشف جهاز الشاباك الصهيوني، عن نشاطات هذه الوحدات وأعمالها فترة الخمسينيات في القرى والبلدات العربية إبان الحكم العسكري الذي فرضته دولة «إسرائيل» الناشئة على الفلسطينيين الذين بقوا في ديارهم إثر النكبة.

رغم ذلك، فإن الأعمال العربية الأصلية حول هذا الموضوع تكاد تكون نادرة، وتعتمد أساسا على الأرشيفات الصهيونية والتسريبات التي تنتج عن وقوع فضائح أحيانًا، كما قصة أولاد المستعربين في الخمسينيات والجدل الذي دار حول تهويدهم من عدمه؛ كونهم ولدوا لأمهات فلسطينيات مسلمات.

والمقالات والدراسات جميعها تقريبًا تناولت فترة ما بعد تأسيس الكيان الصهيوني، ونحن نعلم أن الجهد التجسسي والتخريبي الصهيوني يمتد عميقًا في تاريخ الاستيطان والييشوف اليهودي في فلسطين المحتلة في العهد الانتدابي.

فقد أدركت المنظمات الصهيونية المختلفة أهمية الدور الذي يمكن أن يناط بعملاء لهم خصوصية مهمة في عمليات التخريب والتجسس، ونعني بالخصوصية إمكانية اندماجهم بسهولة في المحيط المستهدف، وبالتالي من المعروف أنه في البداية كان الاعتماد الأساسي على اليهود الشرقيين المستقدمين من الدول العربية، كونهم يتمتعون بملامح عربية، ويتقنون اللغة العربية وخبراء في البيئة والمجتمعات العربية. وقد اتبعت هذه الأساليب لدى منظمات الحركة الصهيونية «هاغاناة»

العودة إلى الفهرس

و«إيتسل» و«ليحي»، وأرسلت جواسيسها المستعربين إلى عواصم عربية ومدن عديدة، وساهموا استخباريًا وتخريبيًا، ومن المعروف ربما دورهم البارز في عمليات استجلاب اليهود من العراق وسوريا ولبنان أيضًا، وغيرها.

كان هناك لدى العدو الصهيوني العديد من وحدات التدخل الخفي منها ما هو معروف ومنها ما لا يعرف ربما، على سبيل المثال، هناك وحدة «سيرت ريمون» التي أنشأها أرييل شارون في قطاع غزة، وكان استنساخا للوحدة 101 التي قادها سابقًا، وعملت «ريمون» بشكل متقطع بين عام 1970 و2005. وأيضًا «وحدة شكيد» المستندة إلى جنود من البدو، لذلك ربما لا يكون دقيقًا وصفها بأنها وحدة مستعربين، وقد تأسست في البداية لمنع تسلل المقاومين والعمليات الانتقامية من ناحية سيناء والأردن، لذلك قررت القيادة الجنوبية إقامة وحدة شكيد التي كانت تحت قيادة تسفيكا عوفر (حل محله بعد عدة شهور ديفيد بن حور)، لكن يعد المؤسس الروحي لوحدة شكيد: «عاموس يركوني»، وهو نفسه عبد المجيد خضر عبد الله المزاريب من قرية بيت زرزير الذي تجند في الجيش الصهيوني عام 1948، بعد علاقات وطيدة للغاية مع عناصر منظمة «الهاغاناه» في كيبوتس نهلال ومع موشيه دايان".

هناك أيضا «دوفدوفان - الكرز» التي خرجت من رحم «ريمون» متبعة تقاليدها، وعملت في الضفة الغربية، رغم مشاركتها في العدوان على غزة، وتأسست عام 1986 على يد إيهود باراك، وكانت تحت قيادة شعبة (يهودا والسامرة)، ولكن بدءًا من 2015 أصبحت جزءًا من لواء «عوز» الذي دمج الوحدات الخاصة. ونضيف أيضًا وحدة «شمشون» التي تأسست عام 1988، وكذلك «اليمام» وهي وحدة من حرس الحدود وإن كانت في الأساس وحدة استيلاء وهجوم عسكرية خاصة إلا أنها تحوي قسمًا للمستعربين.

الدائرة العربية في البالماخ (الفجر)

رسميًا، تفيد الأرشيفات الصهيونية، أن أول وحدة للمستعربين أسستها منظمة «البالماخ» وحملت اسم «الدائرة العربية» وقامت بعملياتها في الداخل الفلسطيني، وكذلك في الدول العربية

يعقوب كوهين في دمشق–1949

المجاورة بين عامي (1943-1950)، قبل أن يجري حلها لأسباب تتعلق بانتهاء مهامها من جهة في حينه، وإقامة الكيان لتشكيلات تجسس رسمية جديدة. حيث تفيد السجلات أنها أصبحت عام 1948 كوحدة ضمن فيلق الاستخبارت في الجيش الرسمي تحت اسم M18 وتم تفكيكها عام 1950 ويشار إلى أنها آخر وحدة بالماح تم تفكيكها وانضم العديد من أفرادها إلى أجهزة المخابرات الرسمية "بعد تأسيس الدولة".

وكان أول من عمل على تأسيس هذه الدائرة يروحام كوهين صاحب كتاب «في وضح النهار وظلام الليل» الصادر في تل أبيب عام 1969، وهو الضابط الذي كان فيما بعد قد تفاوض مع جمال عبد الناصر أثناء حصاره في الفلوجة، ولا شك أن ما قاله حول هذه المفاوضات يحمل الكثير من الذاتية اليهودية المعتادة، وأسيء تفسيره عمدًا من خصوم عبد الناصر، خصوصًا أن ما يتم تداوله هو ما يزعمه كوهين نفسه عن اللقاء، ولكن هذا ليس موضوعنا هنا.

كان يروحام كوهين هذا من أسرة يمنية يهودية، متقنًا للغة العربية، وذا خبرة عسكرية ثرية في عمليات البالماخ، والأهم إنه كان يتقن اللهجة الفلسطينية، وربما هذا ما جعله مفاوض الجانب الصهيوني مع عبد الناصر منتدبًا من يجال آلون.

بالعودة إلى المستعربين، فقد كان يروحام كوهين رئيس الدائرة السورية في البالماخ، وقد شكل وحدته عام 1943 من يهود شرقيين عرب، جعلهم ينتحلون صفات مختلفة، تسمح بأن يعيشوا مددًا طويلة في البلدان العربية دون أن يتم كشفهم. وجاء التأسيس بعد حل الدائرة السورية إثر توقف التعاون مع بريطانية في ذلك الحين.

يعتبر يغئال آلون، الذي كان قائدًا للقسم السوري ولاحقًا قائد البلماح، مبتكرًا لمفهوم «التدخل» ومسؤولا عن تطويره في هذا القسم، بينما كان «الدليل المهني» للدائرة، والذي كان مسؤولا عن توجيه العملاء، وإرسالهم إلى النشاط واستجوابهم عند عودتهم، هو شمعون سوميخ (سمان)، الذي كانت مساهمته حاسمة في تصميم وصياغة وإنجاز القسم. وقد سقط ستة من أعضاء «إدارة الفجر» أثناء نشاطهم الخارجي، ومكان دفن بعضهم .غير معروف حتى يومنا هذا كانت إدارة الفجر تابعة عضويًا للسرية 7 والكتيبة الرابعة، ولكن في الواقع كان عناصرها تابعين تم تنسيق للبالماح، مباشرة و أنشطة الدائرة والموافقة عليها، وأحيانًا بإحكام وبشكل فضفاض في بعض الأحيان، مع (خدمة أخبار الهاغاناه) والشعبة العربية من الإدارة .السياسية في الوكالة اليهودية

من المؤسف أنه لا يوجد معلومات إضافية حول هذا التاريخ وتفاصيل تأسيس هذه الوحدة وهويات شخوصها، ولكن، كما ذكرنا تطالعنا الصحافة الصهيونية بين حين وآخر بمزيد من النبش في الأرشيفات لتظهر المزيد من القصص التي تضيء على تلك الأنشطة وتكشف جانبًا من أسرارها؛ من ضمن هذه الكشوف، ما نشره موقع مكور ريشون الصهيوني اليميني، حول «عملية الفجر» ومهمة عدد من عملاء وحدة المستعربين الذين اندسوا بين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، بل وخاضوا طريق اللجوء معهم.

البداية:

صدر مؤخرا كتاب صهيوني اسمه «سري - أسطورة إسرائيلية"؛ "يتتبع تاريخ القسم العربي» في البالماخ، ومؤلف الكتاب الذي يتتبع هذا الموضوع هو

ماتي فريدمان الصحفي الذي يكتب في وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز وواشنطن بوست.

رغم أننا نعلم أن الوحدة «الدائرة العربية» تأسست رسميًا من قبل البالماخ عام 1943، يشير المؤلف إلى أن الوحدة بدأت فعليًا عام 1941، في خضم الحرب العالمية الثانية، بعد أن غزا الألمان فرنسا، كان يخشى أن يأتوا إلى «إسرائيل» من الشمال، حيث أصبحت سوريا ولبنان الآن تحت سيطرة حكومة فيشي الموالية للنازية، وأدرك البريطانيون، الذين كانوا يحاولون يائسين تجنيد جواسيس للعمل عبر خطوط العدو، أن اللغة في فلسطين تتركز على عدد قليل جدًا من الأشخاص الذين يمكن أن يشبهوا شعوبًا مختلفة: في الكيبوتز كانوا بولنديين، مجريين، أرجنتينيين والمزيد.

من أجل سد الثغرة، وتحسبًا للاجتياح الألماني كان هناك «الدائرة الألمانية»، التي تهدف إلى اتخاذ إجراءات في حالة سقوط البلاد بيد النازيين. في عام 1943، كلف يقال ألون يروحام كوهين، أحد أعضاء الإدارة، بإنشاء «قسم عربي» في البالماخ لجمع كان القصد المعلومات الاستخبارية. من الوكلاء الجدد استبدال المخبرين العرب الذين عملوا من أجل المال؛ تنقل كوهين في جميع أنحاء البلاد بحثًا عن مرشحين مناسبين، أعضاء في الطوائف الشرقية عازمين على إثبات أنفسهم للبالماخ الأشكنازي، في الغالب، وكانوا يفتقرون إلى الحد الأدنى من التأهيل المناسب ودربهم الذي أصبح على مر -شمعون سومخ السنين جاسوسًا، وعلم إيلي كوهين أيضًا أسرار مهنته - كان دليلهم إلى وعلمهم الثقافة العربية والإسلامية، مدرب آخر كيفية تفكيك وتجميع الأسلحة، ولقنهم مدرب ثالث ويشير الكاتب أن مبادئ التخريب. الميزانية كانت شبه معدومة وكانوا مدفوعين ببدلا من المال بإثبات صلاحيتهم اليهودية.

ويقول فريدمان: «بدأت الإدارة العمل دون الحاجة إلى كاميرا، وعندما أُرسلوا لإطلاق النار على مواقع عسكرية في سوريا، اقترضوا من شخص لديه كاميرا Minoxباهظة الثمن. قال لهم القادة، مازحين، ولكن بجدية: ليس سيئًا إذا لم تعد من العملية، ولكن يجب أن تعود الكاميرا". وكان سامخ (الشرقي) هو العقل المدبر للقسم، ولكن فوقه كان هناك أشكنازي كما هو الحال دومًا.

في المرحلة الأولى، تم إرسال العملاء السريين إلى مدن مختلطة في فلسطين، وبشكل رئيسي إلى حيفا، كمدينة ميناء تجذب مواطنين من دول مختلفة، كان من السهل لعب لعبة تبادل الهوية والانتقال من جانب إلى آخر. يتذكر فريدمان قائلا: «نحن نتحدث عن حقبة ما قبل الدولة وفي تلك المرحلة، لم يكن من الواضح من سيحكم المدينة عندما يغادر البريطانيون. وتحدثت القيادة اليهودية عن الأهمية الكبيرة لحيفا: فبدونها نحن كانتون، ومعها نحن دولة لديها ميناء للعالم الخارجي".

ويروي الكاتب قصة إحدى العمليات في 28 شباط/ فبراير 1948 حيث تم إرسال يعقوب كوهين وإسحاق شوشان إلى حيفا. متنكرين في زي عمال التحميل في الميناء، حيث ورد للبالماح أن سيارة موجودة في شارع الناصرة معدة للتفجير في هدار الكرمل، تم إرسال يعقوب كوهين وإسحاق شوشان للتجول في الحارة التحتا ومرا عن عمد عبر نقاط التفتيش العربية عدة مرات حتى يعرفهما الحراس، واكتشفا أخيرًا أن السيارة المفخخة كانت في مرآب أبو شام متنكرة في سيارة الصليب الأحمر .دخل جاكوبا كوهين المرآب بسيارة محطمة مفخخة، وقدم نفسه كعربي من نابلس وطالب بإصلاح سيارته،رفض الحاضرون وطلبوا منه انتظار المدير، بدأ المستعرب يصرخ: «كيف تجرؤ على التحدث هكذا لمقاتل عربي جاء من نابلس؟ سوف أتأكد من محاسبتك"! عندما رأى عدم انتباه من الميكانيكيين قام بتفعيل آلية التفجير المؤقت وغادر إلى سيارة إسحاق، التي كانت تنتظر في الخارج، بعد وقت قصير من الابتعاد، انفجرت السيارة التي تركوها في المرآب، تلتها السيارة التي كانت معدة للتفجير، وقتل حوالي ثلاثين شخصًا وأصيب سبعون آخرون.

محاولة اغتيال

عملية أخرى أقل نجاحًا، كانت محاولة اغتيال أحد القادة العرب في حيفا، العلامة المجاهد محمد نمر الخطيب، وهو عالم من قادة الإخوان المسلمين في فلسطين وكان من أتباع المفتي أمين الحسيني، وأسس جمعية الاعتصام، ومؤلف كتاب «من أثر النكبة»، وكانت محاولة اغتياله في 19 فبراير عام 1948 ضمن ما أسماه عملية زرزير، حيث العدو الصهيوني نصب له كمين من عربتين للبالماخ وتم إطلاق 32 رصاصة على سيارته (يزعم البالماخ أنه تم إطلاق مئات الرصاصات) شمال حيفا، وذلك مُحملا دمشق أثناء عودتُه من بالأسلحة، وَأصيب بإحدى الرصاصات وثلاثة في كتفه الأيسر، رئتِه في مما أدى لبقائه خارج فلسطين طوال فترة الحرب، وَأسفرَ ذلك الهجوم عن مَقتل أحد الرُكاب وَإصابة آخر، وقد توفي الشيخ الخطيب عام 2010.

بعد احتلال حيفا وجدت البالماخ الفرصة مواتية لإرسال العملاء إلى لبنان «كلاجئين» وتشغيلهم عن بعد، هكذا قطع العملاء شوطا طويلا إلى بيروت، وعاشوا هناك لمدة عامين تحت قصص التغطية وحاولوا على وجه الخصوص استخراج المعلومات من الأفراد العسكريين والحكوميين، وتم نقل كل معلومة مهمة إلى المستويات العسكرية والسياسية في الكيان، من بين أمور أرسلوا خريطة لأهداف محتملة في لبنان، وتشمل أفعالهم إعداد خطة لاغتيال رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلاح ، الذي كان يعتبر متطرفا للغاية في موقفه من "دولة إسرائيل".

مستعربون في بيروت

تعود قصة «غزوة بيروت» القصيرة -إن صح التعبير، إلى الحياة عبر هذا لكتاب ويقول المؤلف أن الأهمية التاريخية لعمله تكمن في ما اتضح أنه: ماضي أحد أجهزة الاستخبارات الأكثر رعبًا في العالم، «بداية متواضعة للتقليد الطويل والخصيب»، على حد تعبير المؤرخين بيني موريس وإيان بلاك: «رابط مباشر بين البدايات الصغيرة والهواة لعمل المخابرات البحرية، والجهود الأكثر شمولا، والمهنية التي بذلت بعد عام 1948».

يركز فريدمان في كتابه على فترة حرجة للكيان الصهيوني استمرت 20 شهرًا من كانون ثاني/يناير 1948- آب/

أغسطس 1949، وتدور أحداثها بين مدينتين تبعدان عن بعضهما البعض 130 كيلو مترًا، هما حيفا الفلسطينية وبيروت اللبنانية.

في كتابه، الذي يركز على أربع شخصيات من حوالي 25 عميلًا عملوا للدائرة العربية على مر السنين، اعتمد فريدمان على المقابلات مع اسحق شوشان (الوحيد من المجموعة الباقي على قيد الحياة) وآخرين وعلى ملفات من أرشيف جيش العدو الصهيوني، بما في ذلك الملفات التي ألغي تصنيفها السري لأول ووثائق مرة بناء على طلب الكاتب؛ من محفوظات تاريخ الدفاع وحركة الكيبوتس، وشهادات مسجلة لم ينشرها أشخاص حضروا الأحداث ولكن ماتوا سابقًا، ومقالتان تاريخيتان شهدتا عملية الفجر وموضوع «الدائرة العربية»: غلاف بالماخ السري، من قبل المؤرخ زفيكا درور، تم نشره في عام 1986 من قبل وزارة الحرب وهو تاريخ رسمي أكثر، والثانية القصة التاريخية للقسم العربي في البالماخ وكتبت من قبل الجاسوس جمال كوهين، في نهاية حياته، ونشرت في عام 2001.

كحال جميع اليهود الشرقيين في حينه، عاش مرشحوا الدائرة العربية في البالماخ على هامش المجتمع الذي سعت الصهيونية لبنائه، مجتمع يحتفي بالأشكناز الأوربيين ويهمل ويحتقر الشرقيين، بل والنظر إليهم أحيانًا كجزء منشق عن مجتمع العدو، أي المجتمع العربي، وتلك طبعًا قصة طويلة، ولكن الصهيونية لم تعدم طريقة لاستخدامهم، كفائض بشري يعوض العدد لدى الأشكناز، من إسكانهم في القرى العربية الحدودية المهجرة لملء الفراغ، وصولًا إلى تجنيدهم في أعمال التجسس. وهكذا، وصل ممثل البالماخ إلى هؤلاء الأشخاص ليعرض عليهم إخراجهم مما هم فيه من عوز ومهانة، ليصبحوا سلاحًا لـ«إسرائيل»، وتلك قصة طالما رأيناها.

كان من هؤلاء حبقوق كوهين وشقيقه جملئيل [توفي عام 2002 و كان أحد كبار عملاء الموساد وعمل في دول عربية وفي أوربا وهومؤلف كتاب «السرية الأولى – قصة الشعبة العربية في بالماخ."]

و واسحاق شوشان، ولا نعرف الكثير بعد عن أصلهما وفصلهما، سوى أن اسحاق جاء عام 1942 إلى حيفا وهو مراهق قادمًا من حلب شمال سورية، بينما ولد حبقوق وشقيقه في اليمن. و نشأ الرابع يعقوب كوهين في أزقة القدس و التقوا في القسم العربي من البلماخ، حيث أصبحوا عبد الكريم ويوسف وإبراهيم وجميل، وكانوا أول من يتخفى، ورحلوا إلى لبنان في حافلات منفصلة للاجئين محاولين تبرير نزوحهم في حافلة مليئة بالرجال المسنين والنساء والأطفال، وليس الشباب الفلسطينيين الذين بقوا للقتال في حيفا في أغلبهم كما هو معروف، كان هؤلاء اللاجئين فارين من حيفا التي سقطت بيد الهاغاناة؛ المهم أنهم وجدوا مبررًا للجنود اللبنانيين يبرر تخليهم عن باقي الشباب الذين بقوا للقتال منضمين إلى المقاومة الفلسطينية ولجيش الإنقاذ، حتى وصلوا إلى بيروت.

يشير التقرير أن هؤلاء الجواسيس انقطعوا عن الأخبار بسبب عدم وجود وسيلة اتصال معهم وظنوا لفترة من الوقت أن فلسطين وقعت كلها بيد العرب، دون أن يعلموا بأن دولة الكيان قد أنشئت بالفعل، وبعد الحصول على معدات الاتصال، اكتشفوا أن «دولة إسرائيل» كانت على قيد الحياة وأن وضعها جيد في الحرب، وتم إخفاء هوائي الجهاز كمنشأة غسيل على السطح، وبالتالي، في مبنى في قلب بيروت، وتم وضع البنية التحتية الأولية لأنشطة المؤسسة التجسسية المستقبلية.

ويقول فريدمان في كتابه: إن هؤلاء الأشخاص تم تجاهلهم عندما فقدوا شروط إقامتهم في لبنان عام 1950، ولم يحتفل بهم أحد لأنهم لم يناسبوا أسطورة البالماخ بمحتواها الأشكنازي، حيث أن «دولة إسرائيل» تريد أن تكون أوروبية، وتدور القصة الصهيونية حول هرتزل في فيينا، المحرقة، الاشتراكية، الكيبوتز، وفي مثل هذه القصة لا وجود ليهود من حلب أو اليمن أو بغداد أو دمشق؛ فالصهيوني كما نعلم لا يتحدث العربية بل اليديشية، مع الإنكليزية أو الألمانية والفرنسية ولغات أوربية واليهود العرب لا يرتبطون حتمًا، ارتباطًا وثيقًا بالرواية الصهيونية.

طبعًا، يسعى الكتاب في جانب منه لإظهار مظلومية اليهود الشرقيين في الدولة الصهيونية، وكيف تم إهمالهم، بينما كما يلاحظ، سعوا لكي يكونوا «يهودًا جيدين» وفعلوا ما بوسعهم ليقاربوا الأسطورة الأشكنازية.

يخت هتلر

كانت أبرز عمليات المجموعة تفجير سفينة اغريس، وهي سفينة عسكرية ألمانية كانت تلقب بـ «يخت هتلر»، وكانت تستخدم من قبل الزعيم النازي وبعض زملائه في الرحلات البحرية، خلال الحرب العالمية الثانية، خدمت السفينة في البحرية الألمانية، وبعد ذلك تم إخراجها من المعدات العسكرية وبيعها إلى كيان خاص أرسلها إلى الشرق الأوسط، في أيلول/سبتمبر 1948، قلق الصهاينة من أن يتم تجديدها واستخدامها ونقلها إلى الجيش المصري، حيث راقبها العملاء في بيروت وكلف ايلا ريكا بمهمة تخريب السفينة بمساعدة ألغام مغناطيسية مفخخة، وارتحل مع مجموعة صغيرة بسفينة من حيفا وغادروها قبالة شاطئ بيروت حيث كانت بانتظارهم مجموعة المستعربين المتخفية، وتم ربط لغمين مغناطيسيين بالسفينة اغريس لينفجرا بعد أسبوعين ونصف فقط، في 17 أيلول/ سبتمبر وكان الضرر الذي لحق بها كبيرًا، وتم بيعها كخردة، فيما بعد قبض على اثنين من المستعربين هما عزرا وداود، ولم نتوصل إلى هويتهما الكاملة، ويقال بحسب إحدى التقارير أنهما تم شنقهما، ولكن لم نتوصل إلى ما حدث لهما.

حول تفكيك الوحدة العربية، لا يوجد الكثير من المعلومات، مع العلم أن البالماخ نفسها تم حلها عام 1948 واستمرت الإدارة العربية في العمل باسم مختلف حتى عام 1950، ولكن عندما تم تنظيم الاستخبارات العسكرية وجد أن تدريب الوحدة لم يكن جيدًا وأن عملاء بيروت لم يكونوا قادرين على الاقتراب من الهيئات الحاكمة في لبنان، ولم يكن لديهم مصادر عميقة، واستأجروا كشكًا في بيروت ومن هناك جلبوا معلوماتهم حيث قال القادة إن «الدولة بحاجة إلى أفراد استخبارات محترفين».

فيروس كورونا وإعادة ترتيب العلاقات الدولية

د. كريمة الحفناوي –عضو السكرتاريا المركزية للحزب الاشتراكي المصري /مصر

يحدثنا التاريخ عن أحداث جلل وفارقة تغير مجرى الدول والعلاقات منها الأوبئة والثورات الكبرى من أيام ثورة العبيد وحتى الآن، هذا غير الأزمات الاقتصادية الطاحنة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى والثانية، بجانب التطور فى علاقات الإنتاج والاكتشافات العلمية والثورات الصناعية الكبرى التى نعيشها متمثلة فى عصر الذكاء الاصطناعى والتواصل بين كل البشر فى جميع أنحاء الكرة الأرضية؛ عبر شبكة الإنترنت، بل والتفاعل بين كل ثقافات العالم من خلال مواقع التواصل الاجتماعى (الفيس بوك وتويتر وغيرها)، مما جعل العالم الآن قرية واحدة؛ تتأثر معًا بأى حدث يقع فى أحد أنحائها. ومن هذه الأحداث ستكون محنة فيروس كورونا فى بدايات 2020 من القرن الواحد والعشرين، إحدى الكوارث التى سيتغير بالتأكيد مجرى التاريخ بعدها عما كان قبلها فى ترتيب العلاقات بين الدول وبعضها وداخل الدولة الواحدة، مع صعود أقطاب أخرى تؤثر فى المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية. ويجتهد الكثير من الكتّاب والمفكرين فى رصد واستقراء ما سيحدث بعد مواجهة محنة الفيروس.

لقد كشفت محنة فيروس كورونا عن هشاشة النظام العالمى السائد منذ نهاية الحرب الباردة فى التسعينات من القرن الماضى، وأنه لا بد من تشكل نظام عالمى جديد لمواجهة التحديات التى تواجه وتهدد البشرية على المستوى الصحى والاقتصادى والاجتماعى، حيث أصيب الاقتصاد العالمى مع امتداد أزمة الفيروس بالشلل شبه التام؛ نتيجة للإجراءات الاحترازية التى اتخذتها الدول وأدت إلى توقف حركة الطيران والسفر وتراجع الحركة التجارية وانهيار قطاعات السياحة وانخفاض أسعار النفط وفقدان 25 مليون من العاملين لوظائفهم، مع زيادة معدل البطالة وازدياد معدل الفقر وفقًا لتحذير منظمة العمل الدولية، كما تحذر كافة المنظمات الدولية من حدوث نقص فى الغذاء، وتحذر منظمة العمل الدولية من أن 2 مليار شخص حول العالم مهددين بالتشرد والجوع؛ نتيجة فقد وظائفهم فى الاقتصاد غير الرسمى. وكشفت أيضًا جائحة الفيروس الوجه القبيح للسياسات النيوليبرالية للرأسمالية المتوحشة والمعسكرة، والتى استمرت عقب الأزمة المالية العالمية 2008 فى انتهاج التقشف وتقليص الإنفاق على الخدمات وعلى رأسها الرعاية الصحية، والتى كانت من نتيجتها هشاشة وضعف المنظومة الصحية، بل وفشلها فى عدد من الدول فى مواجهة فيروس كورونا.

ولننتقل لمأساة أشد نتجت أيضًا عن سياسات الدول الكبرى فى إطار استنزاف ثروات ونفط الدول النامية، وفى القلب منها المنطقة العربية، وهى مأساة اللاجئين والنازحين نتيجة للصراعات والحروب والعدوان من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، من جهة والكيان الصهيونى من جهة ثانية، بجانب الأحلاف التى تكونت لخدمة مصالح الرأسمالية المتوحشة، وساعدت فى تأجيج الصراعات والحروب، وكانت النتيجة ملايين من الأطفال والنساء وكبار السن فى مخيمات اللاجئين السوريين واليمنيين والفلسطينيين، وكل النازحين والعالقين المكدسين فى ظروف معيشية صعبة لا يملكون ما يأكلونه أو يخفف من آلامهم بما في ذلك عدم توفر الرعاية الصحية.

واستطاعت بعض الدول التى تنتهج سياسات تقوم على التعاون والمنفعة المتبادلة والمصلحة المشتركة أن تواجه الكارثة بشكل أفضل؛ عن طريق التعاون بين الحكومة والشعب، مثال ذلك الصين التى استطاعت فى وقت قصير تحجيم انتشار الوباء وسخرّت كل إمكانيتها الصحية والعلمية والبحثية وأرسلت مساعدات طبية، كما روسيا وكوبا ومصر؛ من أجل إنقاذ البشر ودعم الدول الأكثر تضررًا من هجوم الفيروس.

سباق التسلح والإنفاق العسكرى

فى نفس الوقت الذى عجزت فيه النظم الصحية للدول الرأسمالية الكبرى عن مواجهة عدو غير مرئى؛ شرس ويفتك بالإنسان نتيجة لتقليص ميزانية الصحة والخدمات، تصدمنا الاحصائيات الخاصة بالإنفاق العسكرى لتلك الدول الكبرى،

العودة إلى الفهرس

فنجد فى الولايات المتحدة الأمريكية حجم الإنفاق العسكرى سنويًا 750 مليار دولار، وميزانية حلف الأطلنطى تريليون دولار، أما حجم الإنفاق العسكرى للإتحاد الأوروبى (29 دولة) يبلغ 650 مليار دولار. هل يمكن أن تستمر هذه السياسات بعد محنة فيروس كورونا؟ أم سيتم إعادة النظر فى أولويات الإنفاق وتكون الأولوية هى الإنفاق على الصحة والرعاية الطبية والبحث العلمى والحفاظ على البيئة من أجل حق الإنسان فى الحياة، لا سباق التسلح من أجل تدمير الحياة؟

القرصنة والبلطجة الأمريكية

لنرى معًا كيف تصرف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إزاء محنة فيروس كورونا. لقد تصرف بعقلية التاجر وكيف يحقق مزيدًا من المكاسب السياسية والاقتصادية، ولكن انقلب السحر على الساحر، حيث تبوأت أمريكا المركز الأول بين دول العالم من حيث عدد الموتى والإصابات، وعجزت وفشلت إمكانياتها الصحية عن مواجهة الفيروس. ففى بداية الكارثة تصرف التاجر ترامب من منطلق أن «الأرباح قبل الإنسان»، وتأخر كثيرًا فى فرض قرارات العزل والحجر وإغلاق أماكن التجمعات؛ لأن ذلك سيسبب خسارة اقتصادية، وكان من نتيجة ذلك انتشار الفيروس فى معظم الولايات الأمريكية. ولم يكتف بذلك، بل رفض الاستجابة لاستغاثةَ قبطان حاملة الطائرات الأمريكية روزفلت فى المحيط الهادى (والذى أعلن إصابة عدد من الضباط والجنود بفيروس كورونا، مما يهدد 000 من الجنود والضباط موجودون على ظهر حاملة الطائرات وطلب المساعدة الفورية)؛ رفض ترامب الاستجابة لإنقاذ أرواح جنوده وأقال القبطان! زد على ذلك البلطجة والقرصنة الأمريكية بالاستيلاء على شحنات من الأجهزة والمعدات الطبية المرسلة لأسبانيا وإيطاليا بعرض زيادة السعر لثلاثة أضعاف ضاربًا عرض الحائط بالقيم الإنسانية والتعاون بين الدول فى مواجهة كارثة فيروس كورونا. كما رفض ترامب فى مثل هذه الظروف الضغوط التى مارستها عليه دول أوروبية والصين وروسيا؛ من أجل تخفيف العقوبات المفروضة على إيران لوصول احتياجاتها من الأجهزة الطبية، مع رفع عقوبة تجميد 70 مليار دولار لإيران، حتى يمكن تلبية احتياجاتها الطبية فى ظروف هجمة الفيروس.

وزد على ذلك موقف ترامب المنافى للشرعية الدولية من دولة فنزويلا، حيث تآمر للإطاحة بالرئيس المنتخب الشرعى نيكولاس مادورو باتهامه هو وعدد من قيادات البلاد بالاتجار بالمخدرات وتهديد الأمن القومى الأمريكى، واتخذت غير ذلك من الإجراءات، وذلك لإسقاطه والإطاحة به.

الاتحاد الأوروبى: الفردية والأنانية

تضررت الدول الأوروبية من اجتياح فيروس كورونا لبلدانها، وكانت أكثر الدول تضررًا من حيث عدد الإصابات والوفيات إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا، وكان من الطبيعى أن تتواصل دول الاتحاد الأوروبى (29 دولة) مع بعضها البعض وتتعاون من أجل مواجهة محنة أو جائحة كورونا، ولكن كشفت المحنة فى بدايتها عن ملامح الوجه القبيح للرأسمالية الكبرى التى تحمل الأنانية والفردية ومحاولة الانكفاء على الذات لحل الأزمة، مع عدم التعاون مع بقية الدول التى وقع عليها الضرر الأكبر ومنها إيطاليا التى ملأ صراخها العالم؛ مطالبة للأجهزة الطبية والمعدات وجاءها الرد والعون من أقصى الشرق من الصين، ومن دول أخرى منها كوبا وروسيا ومصر. وفى محاولة أخرى لإنقاذ الاتحاد الأوروبى والعمل معًا طرح رئيس الحكومة الإيطالية فكرة طرح سندات كورونا (سندات أوروبية للإنعاش والنهوض) لتمويل الجهود الاستثنائية التى يفترض أن تبذلها أوروبا لإعادة بناء دولها اقتصاديًا واجتماعيًا، ولكن لا حياة لمن تنادى، وقوبل اقتراح إيطاليا بالصمت الرهيب، وقول رئيس صربيا لشعبه والعالم: «إن الاتحاد الأوروبى وهم كبير»، بعد أن وجه نداء استغاثة للاتحاد الأوروبي، دون رد، فكان الجواب من الصين!

تعاملت المفوضية الأوربية ببطء شديد فى اتخاذ القرارات الواجبة لمواجهة الفيروس، وأخذت تحسب الحسابات بمنطق الربح والخسارة؛ لدرجة أن بعض البلدان لم تتخذ قرارًا بمنع التجمعات وإغلاق المدارس والجامعات، إلا متأخرًا، مما تسبب فى خسائر بشرية كبيرة، واتضح للكثير من شعوب دول أوروبا؛ أن المفوضية تخدم مصالح الدول الرأسمالية الكبرى داخلها على حساب بقية الدول داخل الاتحاد الأوروبى.

مستقبل العلاقات بين الدول

مما سبق تبرز على الساحة تساؤلات كثيرة منها مستقبل العلاقات بين الدول، وبعضها أى بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين عدد من حلفائها التى تخلت عنهم وقت المحنة، وأيضًا العلاقة بين دول الاتحاد الأوروبى، وهل سيبقى الاتحاد الأوروبى متماسكًا أم ستخرج دول عديدة منه فتسبب تفككه؟

وبالنسبة للسياسات النيو ليبرالية التى ثبت تبنيها لسياسات اقتصادية واجتماعية زادت من اتساع الفجوة الطبقية لدى الشعوب بين الأغنياء والفقراء، وقلصت الإنفاق على خدمات التعليم والبحث العلمى والصحة لصالح زيادة الإنفاق العسكرى، فكانت النتيجة العجز فى مواجهة أزمة فيروس كورونا وفقدان حياة عشرات الآلاف من البشر، بل والتسبب فى أزمة اقتصادية ستبلغ مداها فى الشهور القادمة؛ فهل ستستمر هذه السياسات دون تغيير لتحقيق العدالة والمساواة والحياة الكريمة للمواطنين وتحقيق الحريات السياسية المرتبطة بالحريات الاجتماعية؟

تساؤلات كثيرة سيجاب عليها فى المستقبل القريب، لكن من المؤكد الأكيد أن الحال لن يبقى كما هو، وأن العالم سيتغير بعد محنة كورونا، حيث لن يستمر القطب الواحد للرأسمالية المتوحشة المعسكرة فى الهيمنة والسيطرة وفرض مصالحه بالقوة والهيمنة على العالم، وستبزغ أقطاب أخرى على رأسها الصين لنشر سياسات جديدة؛ تعتمد على المنفعة المتبادلة والتشارك والتعاون مع الحفاظ على سيادة الدول. وستكافح الشعوب من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير حقها فى الحياة والمعيشة الكريمة، وستجبر حكومات دولها على توفير ميزانيات كافية للصحة والتعليم والبحث العلمى والسكن الصحى والغذاء وتوفير فرص العمل، وستراجع بعض الدول سياساتها الاقتصادية لتعود إلى الاعتماد على الإنتاج الزراعى والصناعى للاكتفاء الذاتى أولًا، ثم زيادته من أجل التصدير والتبادل التجارى.

العالم بعد محنة فيروس كورونا لن يكون كما كان قبل المحنة، ولكن لن يكون هذا سهلاً، وستستمر الصراعات من أجل محاولة الرأسمالية المتوحشة لمزيد من توطيد دعائم حكمها والدفاع عن سياستها ومصالحها؛ الأمل دائمًا فى الشعوب الحرة التى تكافح من أجل عالم أفضل تسوده الحرية والإخاء والمساواة والمواطنة والعدل والعدالة والسلام.

الكورونا تعري وتعمق أزمة النظام الرأسمالي

أبو علي حسن–عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/سوريا

جائحة كورونا «كوفيد 19» ربما هي أكبر مصباح متوهّج الضوء، يضيء على بؤس النظام الرأسمالي العالمي المبشّر دوماً للبشرية بالرفاه والتقدم، والعدالة الإنسانية، وفي المقلب الآخر كشفت الجائحة عن عمق البؤس الذي تعانية الفئات الاجتماعية الفقيرة، والبروليتاريا العالمية التي لا زالت ترزح تحت نير الاستغلال والقهر الرأسمالي. لقد عرّت الكورونا جوهر الرأسمالية المتفوقة صناعياً وتكنولوجياً واقتصادياً، وأزاحت عنها تلك المساحيق التي طالما أصبغت وجهها بها، عبر ألف معطر ومطهّر ومجمّل ومنظر، فبانت ندوبها المقزّزة، والتآليل المقيحة، وكشفت عن أنانيتها التي تقطر دماً من أجساد البائسين الفقراء.

سقطت تلك الأيقونات الوهمية المعلقة على صدر الرأسمالية، سقطت حقوق الإنسان ومجتمع الرفاه، والديمقراطية المقننه للقلة المتحكمة، سقطت قدسية الحرية الفردية، وسقطت تلك المساحيق أمام امتحان الكورونا القاتل، ها هي الرأسمالية بكل جبروتها وقوّتها وثرواتها فوق الخيالية، تعجز عن مطاردة هذا القاتل المنفلت، وتستغيث طالبة النجدة من بعضها. لقد انكشفت قدرّتها المحدودة على توفير أبسط المستلزمات الإنسانية الطبيّة لمواجهة هذا الوباء الذي يجتاح العالم ويتخطى حدود القوميات والدول، باحثاً عن ضحاياه، دون أن يلقى قوّة ذلك الجبروت الرأسمالي العلمي والتكنولوجي، هذا الجبروت الذي كان حاضراً دوماً في إشعال الحروب، وقتل الشعوب وابتداع أحدث الأسلحة في قتلها ونهب خيرات بلادها.

إن العالم اليوم يعيش أزمة فريدة في وصفها، استثنائية في تبعاتها وتأثيراتها، شاملة في ضحاياها وجغرافيتها، ليس بسبب ظهور وباء الكورونا فحسب، إنما بسبب ذلك الإخفاق الكبير الذي واجه الرأسمالية المتوحّشة في محاربتها لهذا الوباء...

إننا نتحدّث عن مظهر عالمي «أزموي» ليس له مثيل في التاريخ، الكرة الأرضية تلبس قناع الوقاية، والعالم يحتجب عن فضائه، والشعوب تنزوي في منازلها، تفقد هوايتها في السير على الطرقات، والتنزّه في الحدائق، وممارسة الرياضة في الهواء الطلق، تفقد هوايتها في التمتّع بالمسرح والسينما والفن، تتوقّف تظاهراتها واحتجاجاتها في الشوارع ضد أنظمتها وعسفها. مدن خالية من الإنسان، مدن أشباح قد يظن البعض أن الإنسان لم يطأها من قبل، كيف فقدت الشعوب لذّة الحياة الاجتماعية؟ كيف ابتعدت عن ضوء شمسها، وأقفل فاهها حتى لا تستنشق أوكسجين الحياة والحرّية؟ تلك هي الأزمة الاجتماعية، أهي فيلم سينمائي من الخيال العلمي، أم هي حرب جنودها من كوكب آخر؟ أم هي بروفة لأزمات تالية ومتلاحقة من صنع البشر؟

تلك هي الأزمة على حقيقتها، بانوراما سوداء في زمن الكورونا، كيف بدأت الأزمة؟ وكيف توسّعت

العودة إلى الفهرس

دائرتها وتحولت إلى أزمة عميقة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية وثقافية قلّ نظيرها على مدى قرون من الزمن؟ وهل يمكن فصل أزمة كورونا بالمعنى الضيّق عن أزمة الرأسمالية والسياسة الدولية؟

الرأسمالية متهمة ولم تثبت براءتها من غير المنطقي ومن غير العلمية في شيء أن يتم الفصل بين الأزمتين، فهما أزمتان متفاعلتان متداخلتان في السبب والنتيجة، فلا يمكن فهم ما يجري اليوم على مستوى الكرة الأرضية من التدابير الاحترازية والإجراءات العملية في مواجهة الوباء سريع الانتشار، والتبعات الاقتصادية والاجتماعية، دون التعمّق في الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أوصلت العالم إلى هذا النفق المظلم والمرعب.. لا يمكن اختزال كل الاسئلة الصعبة في سؤال نمطي يتداوله عامة الناس، من يقف وراء فايروس كورونا؟ بيد أن السؤال الصعب يتمحور حول: هل قامت الرأسمالية ممثلة بدولها ومؤسساتها الفائقة الحداثة والتطور والتكنولوجيا بما يكفي لمواجهة هذا الفايروس؟ ما هو السر وراء تلكّؤ دول الغرب الرأسمالي في مواجهة الفايروس مبكراً؟ ولماذا لجأت الرأسمالية إلى العلاج السهل والطبيعي للإقلات من الفايروس غير الطبيعي عبر دعوة الناس إلى الاختباء في المنازل، كي يرحل الفايروس القاتل طوعاً؟!!!

من غير المستبعد علمياً، وبالقياس تاريخياً، أن تكون الدول الرأسمالية بما لديها من تقدم علمي وتكنولوجي وراء انتشار الفايروس، قصداً أو بغير قصد... فمن حيث القدرة العلمية، فالرأسمالية قادرة على صناعة وإنتاج فايروسات وجراثيم وأمراض وأوبئة، ونقلها من مكان إلى مكان، وتخزينها في قنابل تطلق عبر الطائرات والصواريخ والمدافع، ومن حيث التجارب التاريخية لم تتوانَ جيوش العالم في حروبها في استخدام الأوبئة ونقلها إلى العدوّ، فقد استخدمت القوات البريطانية السلاح البيولوجي عام 1763 لأجل القضاء على القبائل الهندية، عبر إرسال الأغطية والمناديل الملوّثة بالجدري إلى رؤساء القبائل، والقوات اليابانية استخدمت القنابل التي تحتوي على البراغيث الناقلة للطاعون ضد القوات الصينية عام 1940، والجمرة الخبيثة فلتت من عقالها عام 1979 من المركز البيولوجي العسكري في «سفيردولفسدك» «تشيرنوبل» في روسيا، وقبلها الجمرة الخبيثة استخدمت في حرب فيتنام من قبل الولايات المتحدة، وماذا عن غاز السارين الذى استخدمته جماعة متطرفة عام 1995 في مترو الانفاق بطوكيو، حتى الدول الأقل تقدماً أصبح لديها مخزون من الأسلحة الجرثومية والبيولوجية والكيميائية.

وعلى ضوء ذلك، فإن فرضية أن الفايروس إنتاج المختبرات البيولوجية، ليست فرضية مستحيلة أو عدمية، ونظرية المؤامرة ليست تهمه فهي واقع ملموس في السياسة والاقتصاد، وهي جزء من أسلحة الجيوش، ومراكز الاستخبارات العالمية، وإلا لماذا تُؤسس أجهزة المخابرات العامة في العالم، والمؤسسات الأمنية، وزرع الجواسيس؟! إنها الحرب بكل مكوناتها، وعليه، فالرأسمالية إن كانت بأمريكا أو الغرب أو روسيا أو الصين، ليست بريئة من إنتاج سلاح بيولوجي في مواجهة بعضها، والانتصار على بعضها، في يوم من الأيام، وما الفرق بين استخدام القنبلة الذرّية في هيروشيما أو ناجازاكي، وبين استخدام الفايروس القاتل، والوقائع التاريخية لا زالت تثبت أن السلاح الكيماوي يستخدم في أكثر من منطقة من العالم، لا سيما في العراق.

والشيء الطبيعي أن ينبري البعض للسؤال، ولكن: لماذا يستخدم السلاح البيولوجي ضد الدول الرأسمالية ذاتها؟ إذا وضعنا القصد وراء ظهورنا، فإن عدم القصد ينبني على أن إنتاج الفايروس شيء وعدم السيطرة عليه شيء آخر، أي أن احتمال انفلات الفايروس من بيئته «المختبرات» أمر وارد تماماً، كما انفلات الجمرة الخبيثة من مركزها في تشيرنوبل عام 1979 في روسيا.

إن نظرية المؤامرة لا تطلقها الشعوب المتضررة أو المضطهدة، إنما تتناقلها الدول الرأسمالية ذاتها، فهناك من يتهم الولايات المتحدة، والأخيرة تتهم الصين وتسميه الفايروس الصيني، وهناك خبراء سياسة واقتصاد وعلوم يتهمون جهات غربيه، واتهامات تطال مختبرات فرنسية في أفغانستان... ولا تتوقف الاتهامات.

وبالمقابل لا يمكن أن ننفي بالمطلق عن ظهور الفايروس بشكل طبيعي، ما دامت المرجعيات الصحية والبيولوجية لم تثبت العكس حتى اليوم، فما زال التخبط سيد الموقف.

لكن إخفاق الدول الرأسمالية في محاصرة الوباء الكوروني، أمر لا يمكن المرور عليه بدون البحث عن الأسباب والأهداف، مما يدفع المرء للتساؤل: لماذا سياسيو الرأسمالية نادوا بنظرية مناعة القطيع؟ قبل أن يستفحل الفايروس في بلدانهم؟ وهي نظرية مالتوس للحل من الأزمات الاقتصادية عبر تقليص عدد السكان ليتوافق مع الموارد الإنتاجية، باعتبار أن السكان يتزايدون بمتوالية هندسية، في حين أن الموارد تزداد بمتوالية حسابية، إنه تراث رأسمالي نظري وفلسفي واقتصادي لإدارة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.. وعليه فقد بشّروا بموت مئات الآلاف، وطالبوا بتوديع الأحباب، وقالوا أننا في حرب حقيقية، وأنزلوا الجيوش إلى الميدان...!! ولماذا حملت أمريكا وبعض الغرب المسؤولية للصين في ظهور هذا الفايروس، إلى الحد أن أمريكا طالبت في مجلس الأمن أن يتطرّق البيان إلى اسم الفايروس الصيني؟!! ولماذا تم إشاعة الخفاش الصيني المسؤول عن إنتاج الفايروس، في الوقت الذي يأكل بعض الصينيين الخفّاش من آلاف السنين؟

قيم الرأسمالية خارج القيم الإنسانية

هل كانت الرأسمالية ممثلة بدولها المختلفة، بما فيها رأسمالية الصين وروسيا، عاجزة عن إنتاج وتوفير الوسائل والإمكانيات والمعدّات الصحية اللازمة لمواجهة الفايروس، وهي التي تتمتع بأعلى مستويات التقدّم العلمي والتكنولوجي والبيولوجي؟ أم أنها كرأسمالية

متوحّشة لم تكن معنية بالأساس بتطوير المنظومات الصحّية لأجل حماية الإنسان, ومحاربة الأوبئة والكوارث الطبيعية والصناعية ؟
في الواقع، إنها كانت معنية بالبحث عن كل أشكال الإنتاج العلمي, والإبداع التكنولوجي لتحقيق أكبر ربح ممكن لفئة قليلة من المجتمع ليس لها وظيفة إلا مراكمة الأرباح, وإعادة إنتاجها في مشاريع صناعية وتجارية وتكنولوجية, تدرّ أرباحاً جديدة عبر نهب الشعوب وخيراتها, وعبر تحويل الإنسان ذاته إلى سلعة يباع ويشترى في السوق كما كل السلع المعروضة للبيع.. ألم يصل سعر لاعب كرة القدم في بعض المنتديات إلى ملايين الدولارات ؟ ألم تشترى الكفاءات العلمية من بلدانها ووضعها تروساً في خدمة ماكينة الرأسمالية ؟ لقد تركّزت ثروة الأمم كافّة في أيدي قلة من الرأسمالية تمثّل 1% من سكّان الكوكب، حيث حوّلت هذه الفئة القليلة سكّان الكرة الأرضية في خدمتها، وإلى قوى استهلاكية في أسواق متعدّدة الوظائف، وحيث تحوّل الاقتصاد الفعلي إلى اقتصاد افتراضي، واقتصاد معرفي، واقتصاد تكنولوجي متخصص في الإنتاج الالكتروني الذي يدرّ أرباحاً تفوق خيال الإنسان، كل ذلك على حساب إنتاج الموارد الأساسية لحياة الإنسان في بلدان المعمورة, وعلى حساب الخدمات الصحية, وتحسين شروط حياة الإنسان.
إن كارثة النيوليبرالية الاقتصادية, عملت على تدمير القيم الإنسانية لدى الكثير من الدول, لقد دمّرت أحلام الناس في الحرية للجميع, والطعام للجميع, والتعليم للجميع, والصحة للجميع... إن زمن الكورونا هو امتداد لزمن الكوليرا القريب والبعيد, ومثال هاييتي لا يزال ماثلاً، حين طالت 5% من سكان الشعب الهاييتي, وأخفق الغرب وأخفقت الأمم المتحدة في حل مشكلة الكوليرا في هاييتي, بل ساومت ورفضت تحمّل المسؤولية عن موت الآلاف من الشعب الهاييتي.
منذ عقود والرأسمالية تعيد الاعتبار لشعار «دعه يعمل...دعه يمر»؛ كمبدأ اقتصادي يمنع كل أشكال الرقابة الحكومية والقانونية في قطاع الاقتصاد الخاص وشركاته، على اعتبار أن قوى العرض والطلب في السوق تسمح بتنظيم وتصحيح أي خلل في الأسعار والأجور والعمّال بشكل تلقائي...!! هذا المبدأ الذي تتبنّاه قوى الرأسمالية النيوليبرالية والترامبية اليوم, فاقم من أزمة الرأسمالية وسمح للقلّة القليلة أن تتملّك الثروات الخيالية التي تجاوزت كثيراً موازنات الدولة ذاتها, الأمر الذي أوجد نظام المصاهرة بين الرأسمالية وأقطاب ومؤسسات الدولة, وأتاح لهما أن يمتلكا كل شيء,وترك الأغلبية الساحقة من السكان عرضة لأزمات دورية تأكل ثرواتها وأجورها ومدخراتها المتواضعة, وإفقارها لصالح تلك الفئة القليلة المتحكّمة.

أمريكا ورأسمالية الكوارث

وفي هذا السياق، هل يصدق العقل البشري أن أعظم دولة رأسمالية «الولايات المتحدة» قد أخفقت في تقديم الخدمات الصحية الضرورية لمصابي الفايروس، وعجزت عن توفير أبسط المعدّات الطبية في الوقت المناسب, كالأقنعة الواقية, وأجهزة التنفس, والأسرّة, والمعدّات الطبية اللازمة لمواجهة الوباء، وعدم وجود مستشفيات كافية لاستقبال مرضى كورونا ؟!! في الواقع, الرأسمالية عبر نظامها الصحّي المتطور تقنياً وتكنولوجياً, وحداثة أجهزته ومعدّاته الطبية, ومدى تمتّعه بالتطور والتميز تكنولوجياً, لقادرة أن تواجه هذا الوباء منذ بدايته, غير أنها تعاملت مع الفايروس باستخفاف شديد ولا مبالاة تحت وهم أن هذا الفايروس «صيني المأوى....!!»، ولم تعط أي أهمية لتداعيات هذا الوباء ارتباطاً بخوفها من انهيار قطاعاتها الاقتصادية أو توقفها عن العمل، وحين تخطى الفايروس الأسوار الحديدية لدول الرأسمالية الغربية وأمريكا, حصلت الصدمة بأن الفايروس أصبح له مكاناً آخر غير مأواه الصين..!! ووقعت الكارثة وتخبطت الزعامات الرأسمالية في تصريحاتها وتوقعاتها ووسائل محاربة الفايروس. إن الرأسمالية أم الاختراعات ومحفزة دوماً على البراءات العلمية بما فيها العلم البيولوجي... فلماذا أخفقت ؟ ولماذا تلكّأت, وتزلزل كيانها ؟
غير أن محرّك عقل الرأسمالية هو عامل الربح ومراكمة رأس المال في المقام الأول والأخير, وما الإنسان إلا ترس في الماكينة الصناعية والإنتاجية الرأسمالية, وهي قادرة على توفير أفضل وأحدث الأجهزة الطبية وأقنعة الوقاية, كما تفعل حين توفّر لجنودها كل أسباب الحماية من الغازات الكيماوية والبارود وهي تحارب الشعوب وتنهب الخيرات، لكنّها ليست معنية بخدمة الإنسان الذي لا يعمل, ومنهم كبار السن الذين انتهت صلاحيتهم في الإنتاج ومجالات العمل, وليست معنية بنظام صحي عام وتطويره, إنما معنية بخصخصة القطاع الصحي ليصبح له وظيفة جني الأرباح عبر تسليع الإنسان وفق قاعدة إدفع أكثر... تحصل على مزايا وخدمات أفضل..!!
إن النظام الصحي الرأسمالي ليس متخلفاً علمياً, إنما هو نظام مبني ومؤسس على نظام السوق, حيث هناك فرق بين مستوى الخدمات التي تقدّم, وبين طبيعة النظام اللاعدالي, فالخدمات مرهونة بمن يدفع أكثر كي يحصل على مزايا أفضل, في حين أن بنية النظام الصحي الرأسمالي لا يوفر الخدمات الصحية المتطورة والشاملة لكافة شرائح المجتمع, ويفتقد إلى الشمولية في الخدمات والعدالة والمساواة الاجتماعية, فهناك نسبة 80% من الأمريكيين يرون أن نظامهم الصحي لا يلبي حاجتهم العلاجية, وأنه يحتاج إلى تغيير شامل في بنيته وأهدافه وأنظمته... وهناك من التقارير التي تتحدث عن أن عدد الأمريكيين الذين هم خارج التأمين الصحّي يتجاوز 24 مليون أمريكي...!! وأن هناك 28 مليون أمريكي فقدوا حقّهم في التغطية التأمينية الصحية وفق برنامج «أوباماكير» الصادر في عهد

العودة إلى الفهرس

الرئيس أوباما بشأن الرعاية الصحية للجميع، حيث قام الرئيس ترامب بتدمير البرنامج، وتقليص الخدمات الصحية من خلاله..!!

إن أزمة الكورونا سوف تترك ندوباً غير قليلة في المجتمع الأمريكي، ستتحول إلى أوضاع اجتماعية واقتصادية تفاقم من أزمة الرأسمالية، فالمعطيات الأولية تتحدّث عن أن 80 مليون من الأمريكيين سيواجهون صعوبة عالية في معيشتهم وحياتهم، وأنّ 60مليون عامل سيعانون من الأزمة جراء تعاطيهم رواتب لا تزيد عن 500$ شهريا..!! لن يكون هناك أية حماية للفئات الفقيرة، فالرأسمالية معنية برفاهية القلة، صانعة الابتكار ومالكة قوى ووسائل الإنتاج، ولا تتأخر الرأسمالية في تدمير الكرة الأرضية لأجل مصالحها، فهي مسؤولة عن تلوّث الطبيعة، وتغير المناخ، وعن ارتفاع منسوب الغازات المسببة للاحتباس الحراري، وارتفاع درجة حرارة الأرض، ومسؤولة عن حرائق الغابات واختلاف توقيت هطول الأمطار وشدّتها، ومسؤولة عن انهيار الجليد في القطب الجنوبي، وعن انقراض الكثير من أنواع الحيوانات، ومسؤولة عن التدخّل في شؤون الدول الفقيرة عبر ما يسمى بالتنمية «التنمية العشوائية» التي تستهدف نهب خيراتها ومواردها الطبيعية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولة مباشرة عن الكوارث التي تجتاح العالم بما فيها ما تسمى بالكوارث الطبيعية، فالعلاقة بين كوارث الطبيعة «غضب الطبيعة» والنشاط الرأسمالي هي علاقة طردية، فكلما تدخل الإنسان في «قانون الطبيعة» كلما تحركت قوى الطبيعة لتفرض قانونها الجديد، عبر موجات الكوارث والزلازل والحرائق... الخ، وما خروج أمريكا من اتفاقية «كيتو» للمناخ مع مجيء ترامب، إلا اعترافا وإصرارا على دور أمريكي كارثي للأرض والإنسان... والرأسمالية هي صانعة المعجزات، لكنها صانعة الدمار والخراب؛ بفعل عقيدتها في تأليه الربح وسطوة رأس المال.

في زمن الكورونا:

لماذا يروج ترامب لصناعة الدواء الأمريكية؟

هاني حبيب– كاتب صحفي / فلسطين

منذ أكثر من عشرين عاماً انتشر مرض الإيدز حول العالم وكانت القارة الأفريقية أكثر تعرضا له، ونجحت شركات صناعة الأدوية في التوصّل إلى عقار يُخفف ويُشفي من هذا الداء، مع ذلك فإن نسبة الوفيات في القارة الإفريقية من هذا المرض لم تشهد تحسنا، وذلك بالنظر إلى ارتفاع أسعاره نتيجة لاحتكار شركات الأدوية المصنعة، الذي تسبب بموت أعداد متزايدة من الأفارقة يومياً، الأمر الذي أدّى إلى أن تتجاوز دولة جنوب إفريقيا حقوق الملكية الدولية لهذا الدواء وأنتجت بالفعل نسخا بديلة، مما وفر الأدوية بأسعار مخفضة، ونتج عن ذلك تراجع أسعار الدواء على مستوى العالم، ليس فقط بالنسبة إلى مرضى الإيدز، بل وأيضا تراجع أسعار الأدوية الخاصة بالملاريا والتهاب الكبد الوبائي وبعض أنواع السرطانات.

وفي العام 2003 تفشى مرض السارس وأصاب أكثر من 8000 ووفاة أكثر من 740 مريضاً، خاصة في الصين وجنوب شرق آسيا. شركات الأدوية التي أنتجت عقار «زادكستين» باعت إلى الصين بأكثر من 15 مليون دولار أمريكي، ثمنا للأدوية الخاصة بعلاج مرض السارس.

الشركات المنتجة للمطهرات اليدوية، سجّلت ارتفاعاً متزايداً من الأرباح مع انتشار أمراض السارس وإنفلونزا الطيور وإنفلونزا الخنازير، وعلى سبيل المثال، ربحت شركة جونسون آند جونسون 42 مليون دولار من إجمالي سوق المطهرات التي تبلغ أكثر من 90 مليون دولار سنوياً.

معظم النباتات والأعشاب الطبية التي تستخرج منها معظم هذه الأدوية موجودة في دول العالم الثالث، وخاصة في إفريقيا، إلا أن اتفاقيات "الجات" للتجارة العالمية المتعلقة بالملكية الفكرية، تعتبر الجهة التي تكشف هذه النباتات وتقوم بتصنيع الأدوية منها صاحبة الحق الحصري بالملكية الفكرية، علما أن معظم هذه الاكتشافات تتم عبر بعثات للباحثين في علوم الصيدلة إلى مختلف مناطق دول العالم الثالث، وخاصة في إفريقيا؛ بهدف دراسة التداول الشعبي المتوارث من قبل سكان هذه المناطق عبر التاريخ، بحيث تقوم شركات الأدوية بالاستفادة من هذا التراث المُجرّب لكي تقوم بصناعة الأدوية، وعندها يعود الدواء المُصنّع إلى هذه المناطق عبر شركات الأدوية بأسعار غالية للغاية، مع احتفاظ هذه الشركات بحق الملكية الفكرية!

تأتي الولايات المتحدة في المرتبة الثالثة بين مصدّري الأدوية في العالم بنحو 50 مليار دولار سنوياً، وألمانيا 82 مليار سنوياً، وسويسرا بأكثر من 71 مليار سنوياً، وعلى سبيل المثال فإن شركة "فيزار" الأمريكية جنت عام 2018 أرباحاً قدرها 15 مليون دولار، تعود خمسة ملايين دولار منها لعقار "يركا" وحده.

في زمن الكورونا تجهد الولايات المتحدة عبر رئيسها لتحتل المركز الأول في صناعة عقارات ولقاحات لهذا الوباء، على حساب شركات الأدوية في ألمانيا وسويسرا، وظهور ترامب بشكل شبه يومي على شاشات التلفزيون للحديث عن عقارات ولقاحات لهذا الداء، هو جزء من عملية الترويج الاستباقي بهدف احتكار الأدوية واللقاحات ذات الهوية الأمريكية، وقد كشف أليكس لوسون المدير التنفيذي لأعمال الضمان الاجتماعي أنّ شركة جلعاد ساينس الأمريكية اليهودية ومقرها نيويورك، والتي كان دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الأسبق رئيساً لمجلس إدارتها، كانت قد طلبت من إدارة الغذاء والدواء الأمريكية مؤخرا ما يسمى حالة اليتيم، وهي حالة تتعلق بحقوق ملكية فكرية احتكارية، تحت مبرر أن هذا الدواء لمرض نادر، وهذا يعني منح الشركة المُصنّعة لدواء أو عقار لفيروس كورونا الاحتكار التلقائي لسنوات إضافية بعد السنوات الخمس الأولى لتداول هذا العقار... هل هذا يُفسر جولات ترامب التلفزيونية شبه اليومية للادوية واللقاحات الأمريكية استغلالا لجائحة الكورونا؟!

خارج النص

العولمة كفكرة طارئة!

موسى جرادات –كاتب فلسطيني / تركيا

منذ تسعينيات القرن الماضي انشغل العالم بالحديث عن «العولمة» باعتبارها مفهوم جامع للاخوة الإنسانية، والوجهة المركزية للبشرية جمعاء، هذا الحديث تزامن مع فورة التكنولوجيا الحديثة وخاصة الاتصالات التي قربت المسافات وفق مقولات العولمة. لربما كان هذا الانشغال مصحوبًا أيضًا بانهيار أيديولوجيات كبرى، كانت حتى وقت قريب حاجز صد أمام تغول الرأسمالية الليبرالية، مما وفر لها سرعة فائقة في تثبيت مقولاتها السياسية والاقتصادية بوسائل عسكرية، حيث شهدنا تدمير العراق بعد حصاره لسنوات واحتلال أفغانستان ونشر عشرات القواعد العسكرية الأمريكية في عشرات البلدان حول العالم.

هذا التثبيت كان له الدور الحاسم بإسقاط هذا المفهوم كواقع معاش لا يمكن التهرب منه، في المقابل عملت الحكومات في العالم الثالث على التأقلم مع متطلبات العولمة، على الصعيد الأمني والعسكري والاقتصادي بغلاف ثقافي، اشتغلت عليه النخبة الثقافية في بلادنا، عبر سلسلة من التأويلات التي تناسب السلطة في تلك البلاد.

ونحن اليوم على بعد ثلاثين عامًا من تلك المقولات نفتح أعيننا لنشاهد مدى الخراب الذي لحق بنا حكومات وشعوب، خراب طال كل مكوناتنا وأبنيتنا الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، والأخطر سلب السيادة الوطنية لمعظم البلدان وتحولها إلى أداة طيّعة في خدمة السيد الأمريكي، وبذلك انتفت كل إمكانية للتحلل من أسر الغول الأمريكي؛ فكل المحاولات التي عبرت عنها قوى التغيير في العام العربي في السنوات العشر الأخيرة، انصبت في خدمة السيد الأمريكي وزادت من مدى الكارثة التي حلت بنا؛ فالحوكمة والتجارة الحرة والجندر، والتنمية المستدامة، حولت الحكومات والشعوب إلى مجرد أدوات اختبار على طاولة الغرب، ارتسمت نتائجها اليوم بانهيارات اقتصادية واضحة، تسببت في زيادة الإفقار والاستدانة والاستبداد، وبذلك خسرت الدولة الوطنية كل منجزاتها التي حققتها في سنوات الاستقلال الأولى، وبتنا أمام مشهد تاريخي استثنائي يشبه إلى حد بعيد ما جرى في نهاية الحرب العالمية الأولى.

وإذا كنا اليوم أمام المحطة الأخيرة من أفول العولمة وانكشافها الفعلي والحقيقي؛ إلا أن التسرع في الحكم على نهايتها، وبناء تصور فكري قادر على استيعاب مدرجاتها وتأثيراتها البنيوية على مختلف الأصعدة سيقود حتمًا إلى الوقوع في الفخ مرة أخرى، فيكفي معرفة المنتصر في هذه الجولة لندرك مدى السياسات الاستراتيجية التي يحضرها هذا المنتصر للجميع.

العودة إلى الفهرس

فالولايات المتحدة اليوم ما تزال تتربع على عرش السيطرة العالمية دون منازع، وأغلب الظن إن الصين تسعى لتثبيت أقدامها فقط، ولا تطرح نفسها كبديل أممي، في المقابل فإن خيارات الشعوب المغلوبة تنحصر في أيديها، ولا يمكن لها التخلص من حالة الأسر بالبحث عن سيد جديد إمبريالي الوجهة والتوجه.

فلا يوجد مخلص ولا خلاص دون بناء تصورات محلية قادرة على صناعة أقدار تلك الشعوب، فلا حلول وسط مع النيوليبرالية وأدواتها دون مواجهتها، مواجهة فعلية. فالعولمة في المحصلة النهائية فكرة صنعتها أدوات السيطرة الغربية، وعممتها على الجميع برسائل متنوعة، لينة وقاسية، وليست مسارًا حتميًا للشعوب في بناء نهضتها والتخلص من أسر الاستتباع، بعيدًا عن المثقف الدّلال وضجيجه في سوق الأفكار، وبحثه عن خلاصه الفردي، ومتعته في جلد أمته، في مسار سادي لا يتوقف.

ولا بد من تعيين أرضية هذه المثقف الذي يسكن كل مؤسسات المجتمع المدني ويتعايش من خيراتها ويرتبط ارتباطًا عضويًا بالممول الغربي ويسوق لروايته وقيمه وسياساته، فهذا النوع من المثقفين التي امتلأت الساحات بهم اليوم هو امتداد أصلي وفعلي للغازي الأجنبي، ومؤسساته هي قواعد احتلال حتى لو غلف عمله بنفحات إنسانية، فهو امتداد لهذه الحملة وسر قوته تأتي من خلالها، ولا شرعية له إلا من السيد الغربي. فحملات التبشير المعولم بمفاهيم إنسانية كبرى، والتي تأتي بعد كل هزيمة نتلقاها، هي جزء أساسي من مسار الغزو الغربي لبلادنا منذ قرون.

فلسطين في العولمة

إن التقاء هذا المسار المعولم في لحظته المعتمة، قد فتح الباب أمام انكشاف كل الأقنعة، فالغرب اليوم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، يتخلى عن لغته الدبلوماسية المعهودة، منذ عقود طويلة؛ فالرئيس الأمريكي وعبر خطابه السياسي المعلن، يضع النقاط على الحروف، دون تزييف أو تسويف أو مهادنة، وكل مقولاته ليست زلة لسان، أو رئيس عديم المعرفة، بل على العكس من ذلك، حيث نرى أن منطوق هذا الخطاب منسجم مع الأيديولوجيا الغربية، في فهمها للسلطة وممارساتها العملية؛ إنها رؤية متكاملة تضع العالم ضمن فسطاطين، منهم داخل الأسوار وهم من يستحقون الحياة، ومنهم خارجها وهم البرابرة، الذين يستوجب إخضاعهم بكل السبل. ففلسطين ضمن الرؤية الغربية والتي هي خارج الأسوار، لا تحتمل الحلول الوسط، خاصة إذا كان المحتل جزء أصيل من الثقافة الغربية، وعليه لا بد من الانحياز المطلق له، وكل أشكال اليمين الشعبوي في الغرب عمومًا يميل إلى بناء سياسات تصادمية مع الآخر، باعتباره منقوص الإنسانية، ولا يستحق الحياة، في المقابل ينهض الفلسطيني كل صباح على وقع هذا الخطاب الذي أصابه في مقتل، محاولا فهم ما يجري حوله، مستندًا إلى تراثه النضالي الذي امتد لعقود، معولا على الشعوب المغلوبة وبقاياه الحية؛ فالمغلوب ما زال حيًا لا يموت وقادرًا على الاستمرار والتأقلم مع كل الظروف. فمسار العولمة وصداها اليوم وتأثيرها على القضية الفلسطينية باعتبارها أم القضايا للشعوب المغلوبة، وهي نقطة الارتكاز في بناء رؤية جامعة تقوم على مبدأ عولمة المواجهة، فنضالات الشعوب تصب جميعها في بوتقة واحدة، وأي خسارة للغرب هو مكسب للقضية وأهلها.

إننا أمام تعدد أزمنة وتداخلها في بعضها البعض، فعولمة القضية يعني عولمة القيم الإنسانية، وعولمة الغرب تقوم أساسًا على نفي القيم وإخضاعها لرغبة السوق الجامحة، والتي لا ترى بالكائن البشري سوى مادة الاستملاك، وعلينا الاختيار بينهما.

منذ ثلاثة عقود دشنت العولمة عبر بوابة مدريد، وها هيي اليوم تريد أن تفترسنا على الثغور بعد دمرت الحواضر، وأشعلت نارها في كل مكان، مستندة إلى وعي تلمودي يعتاش على الموت، فيما نحن نعتاش على الحياة والأمل.

النظام الدولي على بساط البحث

مهند عبد الحميد – باحث وكاتب سياسي/ فلسطين

نخبة فكرية ثقافية كانت تحذر من انتقال النظام الرأسمالي إلى التوحش الاقتصادي والسياسي والعسكري، وما يترتب على ذلك من كوارث للسواد الأعظم من شعوب ودول العالم. تحولات خطيرة تفاقمت مع صعود الترامبية كظاهرة عالمية رجعية استقطبت أنظمة وأحزاب وأتباع وقواعد شعبية، جرى تضليلها بخطاب شعبوي مليء بالأكاذيب والوعود، ولا يخلو من تقديم الفتات. في خضم هذا الاستقطاب دخل فيروس كوفيد 19 كورونا على الخط؛ ليقلب السحر على الساحر، ويكشف المستور للسواد الذي لا يعرف، وذلك بالتناسب مع انتشار جائحة كورونا وتهديدها للبشرية في كل القارات بتفاوت ما بين بلد وآخر.

تشير خارطة انتشار مرض كورونا حتى يوم 17 نيسان/أبريل إلى كم متصاعد من الإصابات، فقد بلغ مجموع الاصابات المؤكدة في كل أنحاء العالم حتى كتابة المقال: 2.205.597، ومجموع الوفيات 154,220، ويلاحظ أن مركز الوباء انتقل من الصين التي سجلت 4,958 وفاة، إلى الولايات المتحدة التي قفزت إلى 36,987 حالة وفاة، يليها إيطاليا التي سجلت 22,745 حالة وفاة، ثم إسبانيا: 20.002 وفاة، وفرنسا 18,681 وفاة والمملكة المتحدة 14. 576 وفاة.

ثمة علاقة بين مركز الوباء والدول التي تسيطر على قراراتها بشكل وبآخر الشركات الاحتكارية العملاقة في الغرب. جائحة كورونا أدخلت العالم في أزمة حادة وعميقة، تنبئ بكوارث لا حدود لها، وخاصة في حالة انتشاره في البلدان الفقيرة. يجوز القول أن مئات آلاف وربما ملايين البشر ما تزال حياتهم مهددة، إذا لم يتم السيطرة على الفيروس، وإذا لم يُكتشف الطعم المضاد له.

إفلاس اللبراليين الجدد أخلاقيًا

خَذَلَ النظام الدولي الذي تحتكره أمريكا شعوب العالم، عندما انحاز لصالح أسواق المال والشركات والبنوك وأصحاب رؤوس الأموال، على حساب حياة الشعوب في بلدان المركز الرأسمالي النيوليبرالي، وفي البلدان التابعة وفي العالم. بسبب هذا الانحياز، تلكأت الحكومات في الاعتراف بوجود فيروس خطير، وفي اتخاذ الإجراءات اللازمة، وذلك من أجل استمرار النهب والربح، واستمرار معادلة «الأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرًا».. إنه دَيْدن «اقتصاد السوق الرأسمالي» السائد في العالم منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. بعد الانتشار المريع للفيروس، وبعد استحالة التجاهل، قلل رؤساء في المركز الرأسمالي من خطورة المرض، وتعاملوا معه كمرض خاص بالصين، وإنه لن ينتقل إلى بلدان أخرى، وفي حالة انتقاله فإنهم سيعالجوه ويسيطروا عليه ببساطة؛ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قال: «إن الفيروس سيختفي من تلقاء نفسه خلال بضعة أشهر»! والرئيس البرازيلي بولسونارو قال: "إن الوباء أسطورة أكثر من أي شيء آخر». وبعد ذلك بدؤوا يعترفون بخطر فيروس كورونا فقدموا خطابًا مذعورًا يفتقد إلى أي ذرة من الإنسانية، وذلك حين تنبئوا بموت مئات الآلاف. رئيس الحكومة البريطانية بوريس جونسون بَشّرَ الناس بأنهم سيفقدون أحبائهم من كبار السن! الشيء نفسه ردده وزراء إيطاليا وهولندا والسويد، وكان جون دان باتريك حاكم ولاية تكساس أكثر وقاحة عندما قال: عليهم الموت -يقصد المسنين- لحماية الاقتصاد! وكأنهم سلموا بموت المسنين وتنكروا لحقهم في الحياة بصيغة عنصرية وحشية.

هكذا، لم يكن اهتمام الحكومات بالحفاظ على حياة الناس، كبار السن وملايين العمال الذين فرضَ عليهم الاستمرار بالعمل واستخدام وسائل المواصلات الجماعية، دون الالتفات للتباعد الجسدي داخل المصانع، في الوقت الذي طالبوا فيه الناس الالتزام بالحجر والتباعد.

كانوا يعرفون وتجاهلوا!

يقول المفكر الامريكي ناعوم تشومسكي: إن الوباء كان متوقعًا قبل وقت طويل، لكن قوانين السوق الليبرالية الجديدة حالت دون القيام بالإجراءات والاستعدادات اللازمة؛ لأن الشركات العملاقة لا تربح في منع الوباء ومن حدوث كارثة. ويضيف تشومسكي: حذر العلماء قبل سنوات، وتحديدًا بعد ظهور وباء «سارس «عام 2003 من حدوث جائحة. كان هناك فرصة لتطوير لقاح وعقاقير

العودة إلى الفهرس

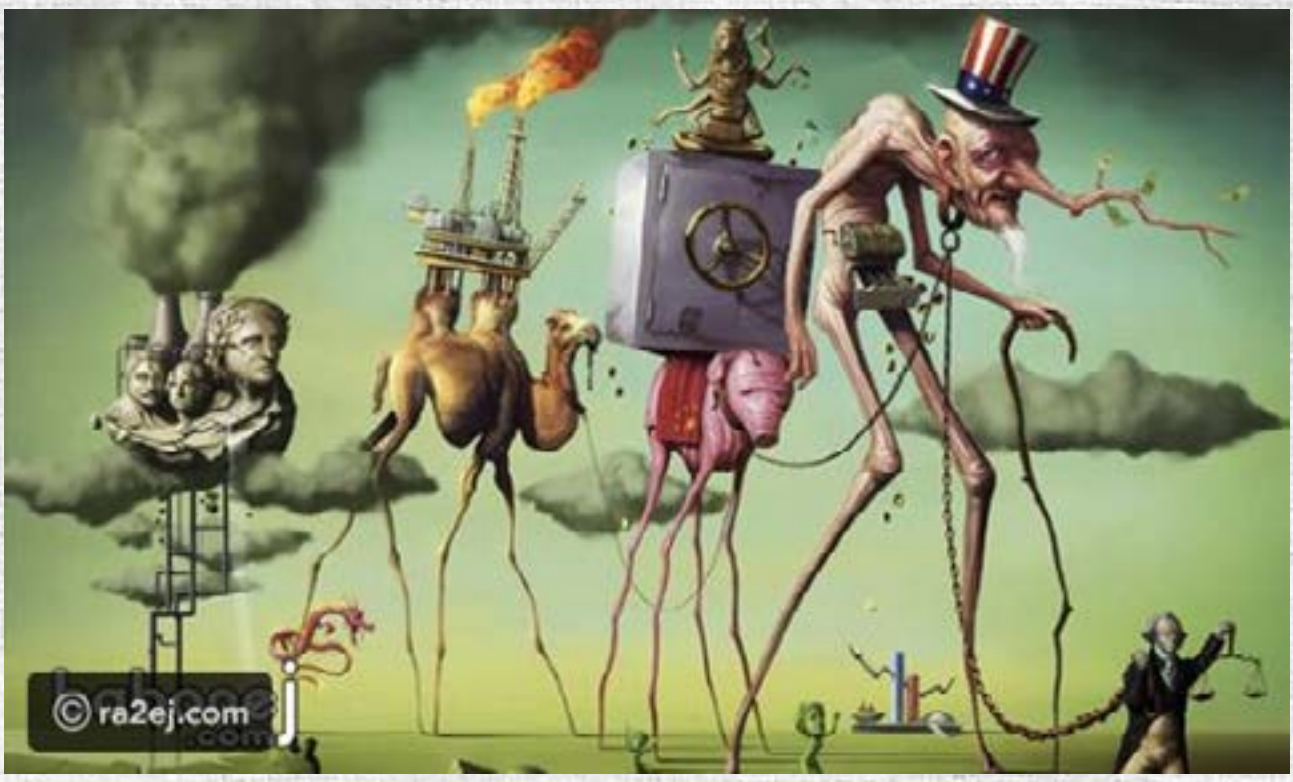

وطرق علاج ومبادرات وقائية، لكن ذلك لم يحدث. وكانت وزارة الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكية قد تنبأت بالمشكلة، وتعاقدت مع إحدى الشركات الصغيرة لإنتاج أجهزة تنفس صناعي غير مكلفة وسهلة الاستخدام، لكن سرعان ما قامت شركة كبرى بشراء الشركة الصغيرة مستفيدة من قوانين السوق، وقامت بإلغاء العقد المبرم مع وزارة الصحة، ولم تقدم بديلا لذلك. كان هذا يعني تسليم عملية صنع القرار كاملة إلى الشركات التي لا يعنيها المصلحة العامة ولا تخضع للرقابة ولا يعنيها غير الربح، هذا يكشف وحشية النيوليبرالية.

مؤسس مايكروسوفت بيل غيتس هو أحدث من توقعوا قدوم وباء خلال العشر سنوات التالية يشبه جائحة الإنفلونزا الإسبانية عام 1918، وأكدا في العام 2015 أن على الحكومات الاستعداد له وكأنه حرب. وفي مناقشة أخرى بشأن الأوبئة استضافتها جمعية ماساتشوستس الطبية عام 201، قال غيتس: إنه متشائم على غير العادة؛ لأن العالم لا يستفيد مما حدث في تاريخه، وأن التاريخ يؤكد أن مرضًا جديدًا قاتلا سينشأ وينتشر في العالم.

وكشفت صحيفة «واشنطن بوست"، أن المخابرات الأميركية نبهت في شهري كانون ثاني/يناير وشباط/فبراير الماضيين، بشكل سري، من تحول فيروس كورونا (كوفيد 19) إلى وباء عالمي، لكن الرئيس دونالد ترامب، استهان بذلك التحذير. وأضافت الصحيفة أن ترامب والمشرعين الأميركيين قللوا من شأن تحذير المخابرات، وأخفقوا في اتخاذ إجراءات من شأنها الحد من انتشار الوباء. ورغم ذلك يحاول ترامب تحميل المسؤولية عن انتشار فيروس كورونا للصين التي يتهمها بإخفاء معلومات عن الوباء وبعدم نشر الخارطة الجينية للوباء.

مظاهر التوحش الاقتصادي

لم يكن العالم مستعدًا للجائحة في ظل استقطاب اجتماعي اقتصادي وحشي، تأسس على تلاشي دور الدولة في الاقتصاد، مقابل إطلاق رأسمالية غير مقيدة ومتوحشة، حيث «تتركز الثروة العالمية في 2153 رأسمالي، يملكون أكثر من بقية سكان العالم بأسره». وفي رصد آخر، فإن 1% من الأسر الأمريكية -1,2 مليون أسرة تملك 35 تريليون دولار بحسب إحصائيات 2019، ويمتلك 1% من أغنى الرأسماليين في العالم 50% من الثروة العالمية في حين لا يملك 50% الأكثر فقرًا في العالم سوى 1% من إجمالي الثروة.

لقد اتخذ الليبراليون غير المقيدين؛ سلسلة من الإجراءات كتخفيض الرواتب وتهميش شرائح متزايدة من الطبقة العاملة التي لم يعد لها وظائف ثابتة وتحتاج لإيجاد عمل كل يوم، وازدادت البطالة بوتائر متزايدة. بحسب تقرير منظمة العمل الدولية قبل أزمة كورونا، بلغ عدد العاطلين عن العمل في العام 2018 حوالي 172 مليون شخص، أي ما نسبته 5٪ من مجموع القوة العاملة، مع الأخذ بالاعتبار أن النسبة تختلف بين دول العالم الأول ودول العالم الثالث والرابع، أو بين دول الشمال ودول الجنوب. ويوضح «مؤشر الفقر متعدد الأبعاد لعام 201» الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أنه في 101 دولة تمت دراستها (من بينها 31 دولة بدخل قومي منخفض و68 بدخل متوسط و2 بدخل قومي مرتفع)، هناك 1,3 مليار شخص يعانون الفقر «متعدد الأبعاد". وتشن الليبرالية الجديدة حربًا متواصلة على البيئة تسببت بالاحتباس الحراري ورفع درجة حرارة الجو وتلوث البيئة السام، وذلك بفعل سياسات إزالة الغابات في المناطق المدارية لصالح استثمارات أخرى. ما جرى في

العام المنصرم من حرق غابات الأمازون بتواطؤ الرئيس البرازيلي "جايير بولسونارو"، الذي ينتمي للظاهرة الترامبية مع مستثمرين يعد نموذجًا لجشع الرأسماليين، ويساهم الاستخدام المفرط للأسمدة الكيماوية، والنفايات الصناعية، في مفاقمة تلوث البيئة. وكان التطور اللافت انسحاب إدارة ترامب من اتفاق باريس للمناخ، الذي يهدف إلى احتواء الاحترار العالمي من خلال انضباط الدول الصناعية للمعايير المتفق عليها. حدث الانسحاب الأمريكي مع أن الولايات المتحدة ثاني أكبر دولة منتجة للانبعاثات الكربونية في العالم بعد الصين، حيث إنها مسؤولة عن 14% من الانبعاثات الكربونية في العالم. التوحش الاقتصادي شمل أيضًا ميزانيات الصحة العامة التي تعرضت لتخفيضات شديدة في موازناتها، وجرى خصخصة نظم المستشفيات في معظم دول العالم، حيث لم يعد هناك نظام رعاية صحية بعد انسحاب الدعم الحكومي، فقد تسببت عقود من «التقشف» في تدمير نظام الرعاية الصحية أو تقليص الدعم. وكان من نتائج ذلك انخفاض عدد أسرة المستشفيات ووحدات العناية المركزة وانخفاض العمالة في القطاع الصحي، بهدف دفع الناس للبحث عن بدائل علاج في القطاع الخاص، وتركت صحة البشر رهينة لمصلحة ربح المستثمرين الجشعين، فضلًا عن شركات الدواء الخاصة التي تحقق مستويات هائلة من الربح. ما عدا النمسا وبلجيكا وألمانيا ولوكسمبورغ لا تتوفر في سائر البلدان سوى 4- 11 سرير عناية مركزة لكل ألف مواطن». على سبيل المثال إيطاليا ألغت 46 ألف وظيفة في الجهاز الصحي، وفقدت المستشفيات 70 ألف سرير، ففي عام 1975 كان في مستشفيات إيطاليا 10-6 سرير لكل ألف مواطن، الآن يوجد 2-6 سرير لكل ألف مواطن. الشيء نفسه ينطبق على بريطانيا وكل الدول التي خفضت موازنة الرعاية الصحية الحكومية، وكان من نتائج ذلك تجاوز إيطاليا وفرنسا مقدرتهما القصوى في وحدات العناية المركزة.

بعض الدول عانت من نقص في أجهزة التنفس والقناعات، وظهر نقص في نسبة عدد الممرضات والممرضين منسوبًا لعدد المرضى، بما لا يقل عن 110 ألف، هذه المعطيات كشفت عن نقص فادح في موارد مواجهة جائحة كورونا؛ بسبب طغيان السعي للربح على حساب صحة وسلامة البشر، لذلك نجد الأطباء وجهاز التمريض يعملون أشغال شاقة حتى الانهيار، ونجد ارتفاع نسبة الإصابات في صفوفهم.

نتائج أولية

• النظام الصحي في معظم البلدان وبخاصة الأنظمة الشعبوية من الطراز الترامبي، يقف الآن عاجزًا عن إنقاذ النسبة الأكبر من المصابين والحفاظ على حياتهم، وكان من نتيجة ذلك زعزعة ثقة الشعوب بحكوماتها وبسياساتها الاقتصادية والصحية والبيئية، وزعزعة الثقة بشعارات الديمقراطية وحقوق المواطنة والإنسان، وبخاصة الحق في الحياة التي روجها الخطاب النيوليبرالي وانتهكها النظام السياسي شر انتهاك. إن إعادة الاعتبار للرعاية الصحية والاجتماعية يبدأ بوضع نهاية لخصخصة القطاع الصحي وإنهاء الاحتكارات التي كانت على حساب الأمن الصحي للشعوب.

• أظهر انتشار فيروس كورونا والعجز عن وقفه حتى الآن، كل تناقضات النظام النيوليبرالي العالمي التي عززت قناعة ضحاياه من الشعوب بعدم أهلية هذا النظام، وبضرورة التصدي للمخاطر الناجمة عن استمراره، وبخاصة الخطر الذي يتهدد حياة وعيش البشر، ولكن في غياب بديل حقيقي، فإن أزمة الثقة العميقة ستفتح الأبواب أمام نضال ديمقراطي عالمي على كل الجبهات؛ من أجل العدالة والحرية والديمقراطية والسلام بين الشعوب في مواجهة النظام النيوليبرالي المتغطرس، ومن أجل وضع نهاية لسياسة التوحش الاجرامية المهددة للإنسان والبيئة.

• يعيش العالم أزمة اقتصادية عميقة، أسوأ من أزمة الثلاثينات من القرن العشرين. أسواق الأسهم تشهد انهيارًا، وأسعار النفط تنخفض، والغالبية العظمى من

العودة إلى الفهرس

الشركات الصغيرة التي يعمل بها أكثرية العمال تفلس أو تتعطل؛ كقطاع السياحة والخدمات والبناء والنقل والفنادق والمطاعم، وارتفاع حجم الديون التي أصبحت عقبة كبيرة أمام النمو؛ وبفعل ذلك سترتفع معدلات البطالة، وسيضاف مئات آلاف العمال، وربما ملايين إلى جيش العاطلين عن العمل، وستتحول نسبة متزايدة من العمال إلى مياومين بدون عقود وبدون حقوق. وما يزيد الأزمة استفحالاً أن الأموال الضخمة المخصصة للإنقاذ، تذهب في معظمها لإنقاذ الشركات العملاقة وجيوب الرأسماليين، بدلاً من استخدامها لإنقاذ العمال الذين لم ينلهم غير الفتات. مع العلم أن هذه الأموال ستضخم مستويات الدين العام، وهذا يؤكد فشل اقتصاد السوق في التعامل مع الازمات، وبخاصة عندما يكون المتضرر فيها عامة الناس.

• مصير النظام السياسي النيوليبرالي الفاشل، أصبح مطروحًا على بساط البحث أثناء وبعد الأزمة التي تسبب بها فيروس كورونا. ثمة علاقة بين نجاح الإجراءات والسياسات المتبعة في إنقاذ البشرية من الجائحة، وبين ما سيؤول إليه النظام الجديد. التغيير السياسي لا ينفصل عن مستوى النضال ومستوى الاستجابات، إزاء ذلك يصبح من المنطقي عزل وإسقاط الترامبية كظاهرة عالمية تعبر عن التوحش السياسي والاقتصادي والأمني. كما أن النظام العالمي ومؤسساته، وبخاصة مؤسسة الامم المتحدة، الذي سيطر عليه النظام المتوحش كقطب واحد مطروح على بساط البحث؛ ومن المنطقي الانتقال إلى تعدد قطبي عالمي على قاعدة احترام حقوق الشعوب والتزام القانون الدولي والمعاهدات التي تحترم حقوق الإنسان والحريات الفردية والجماعية، بعيدًا عن ديكتاتورية الأقلية التي يجسدها نظام الغيتو.

إن أي تقدم في تلك المجالات من المفترض أن يعزز القوى الاجتماعية التي تطرح الانتقال إلى نظام عدالة ليس له اسم غير الاشتراكية التي تجسد الانتقال من الملكية الفردية إلى الملكية الجماعية بمفهوم يتجاوز الشمولية بكل عناصرها.

مؤشرات نحو الانحطاط

طلال عوكل

كاتب ومحلل سياسي – فلسطين

ربما يصحو الأمريكيون يومًا، على الكارثة التي تتسبب السياسة التي تبناها واشتغل عليها هذا الرئيس المتهور، الذي فتح النيران على كل اتجاه تحت عنوان «أميركا أولاً». أميركا أولاً، ليست قضية أولويات وإلا لكان الأمر طبيعيًا، فمن ليس فيه خير لوطنه، لا خير فيه للآخرين.

في جوهر وأبعاد ممارسة السياسة التي تقف وراء هذا الشعار القائد يندفع دونالد ترامب، نحو نرجسية قومية مقيتة لا علاقة لها بكورونا، فلقد سبقت إجراءاته الانعزالية المتطرفة لكورونا، وظهرت أولى مؤشراتها منذ الأيام الأولى لفوزه في الانتخابات.

يعتقد الرئيس ترامب، ومن يقف وراء هذه السياسة، أن التركيز على الوضع الداخلي والانسحاب التدريجي من الدور والمسؤولية الدولية، سيمكّن الولايات المتحدة من أن توقف عجلة التاريخ، والفوز في المنافسة، نحو استمرارية استحواذ أميركا على احتكار الموقع القيادي الأول في العالم.

شن ترامب حربًا على الأمم المتحدة، وكل الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة مع النظام الدولي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يتردد في اتخاذ إجراءات تمس بحلفائه التاريخيين ما عدا «إسرائيل».. مع انسحاب أمريكا من تمويل موازنة منظمة الصحة العالمية في زمن كورونا، الذي يتطلب تضافر الجهود الدولية لمحاصرة هذا الوباء، تكون الولايات المتحدة قد توقفت عن تقديم ما يترتب عليها من مساهمات مالية أو دور لصالح الأمن والسلام الدوليين، حتى لا يبقى إلا الدور البشع الاستعماري.

في المحصلة، فإن السياسات التي تقف خلف شعار أمريكا أولاً، ستنتهي إلى ضرر كبير، وإستراتيجي بدور أمريكا على المستوى العالمي، وحتى بالنسبة لمصالحها الداخلية.

عالم ما بعد كورونا
رهانات كبيرة ومسارات معقدة!

م. تيسير محيسن–باحث وكاتب.عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني–فلسطين

أقال الرئيس البرازيلي وزير الصحة في حكومته لأنه رغب باستمرار "تقييد الحركة" فيما هو يطلب العودة للعمل، وفي إسرائيل استسلمت الحكومة لطلب وزير الحرب بينت بالعودة إلى العمل، فيما وزير الصحة يصرخ بأن التهديد الأشد قادم. هذا ويدعو الرئيس الأمريكي إلى فتح الاقتصاد والعودة إلى سوق العمل! في الواقع أحد الأسئلة الحرجة التي دفعت بها الجائحة: هل يمكن إقامة علاقة متوازنة بين الصحة والاقتصاد ضمن منظومات الحكم في عالم اليوم؟

في عام 1961، أثناء حمى التهديد النووي، طالب برتراند راسل بإقامة حكومة عالمية، متسائلا «هل للإنسان مستقبل؟». وأجاب الفيلسوف الإنسانوي: نعم، إذا لم تدمر الإنسانية ذاتها بجنون واندفاع قبل أن تبلغ النضج. اليوم لم يعد الانفجار النووي وحده ما يهدد المستقبل، وإنما الانفجار الإيكولوجي والبيولوجي. ثمة ضرورة لوقف إطلاق النار، في الحروب العبثية كما في الحرب ضد الطبيعة.

خيل للناس أن العولمة سوف تزيل السدود والحواجز وتنشأ «القرية الكونية»، وإذا بفيروس لا يرى بالعين المجردة يجبر البشرية على الإقامة الجبرية والانكفاء على الذات، وتوقيف ماكينة الإنتاج وقطع سلاسل الإمداد، وانتظار المجهول. الجهود المتعثرة لاحتواء كورونا لا تبرز الحاجة إلى تحول نموذجي في إدارة الصحة العامة والاستراتيجيات الاقتصادية والأمن البيولوجي فحسب، وإنما في نمط حياتنا برمته في ظل الواقع الذي خلقته الليبرالية الجديدة.

تظهر التجربة أن التراكم الرأسمالي الذي كان وراء الثورة الاقتصادية والاجتماعية، قد تحول مع العولمة المتوحشة إلى العقبة الرئيسية أمام سعادة البشرية. تدفع أزمة كورونا (وهي أحد نتاجات عولمة التوحش) إلى ضرورة إعادة النظر فيما إذا كان لا يزال من الحكمة وضع «الربح» قبل «المجتمع»، والاستمرار في التعاطي مع «الاقتصاد» بوصفه المحور الرئيس الذي تنتظم من حوله المجتمعات البشرية!

طبقًا للأمم المتحدة، يهدد الوباء نحو 1.25 مليار عامل (الطرد من العمل أو اقتطاع الراتب)، وأن ساعات العمل عالميًا سوف تنخفض بنسبة 6.7٪، وأن الأزمة الحالية قد تلقي بنصف مليار شخص في العالم في براثن الفقر، وبذلك يكون أكثر من نصف سكان العالم البالغ عددهم 7,8 مليار نسمة، مهددون بأن يصبحوا تحت خط الفقر. هذا ومن المتوقع أن يخسر العمال حوالي 3.4 تريليون دولار من الدخل، وفقدان ما يزيد عن 25 مليون وظيفة نتيجة سياسة إغلاق الاقتصادات المتبعة. هذا ويرجح أن يعمق تأثير الفيروس الاتجاهات نحو سياسات الأبواب المغلقة، وعدم الثقة والفصل.

وبينما تكافح البلدان النامية من أجل توفير الموارد الأساسية، من المتوقع أن تشهد عواقب وخيمة بحلول الصيف، سيما وأن العمود الفقري لاقتصادها يتمثل في الزراعة، والسياحة، والتحويلات المالية من الخارج، ولما كانت هذه الاقتصادات أكثر اعتمادًا على البشر، فإن تدابير الوقاية تشكل قيدًا عليها ما يورثها مزيدًا من التداعيات: ضعف النمو، شح الأموال المتاحة لأولويات التنمية، إعاقة مكافحة الفقر المدقع.

تعرضت أسواق الأسهم والبورصات في جميع أنحاء العالم (باستثناء بورصة شنغهاي) في أقل من شهر (بين 17 فبراير و17 مارس من العام الجاري) لخسائر فادحة، تتجاوز الخسائر التي نجمت عن الأزمات الرئيسية السابقة. يؤكد خبراء أن جائحة كورونا ليست السبب الحقيقي لهذه الأزمة، وإنما هي مجرد مفجر أو شرارة، وأن السبب يعود إلى سياسات الرأسمال الكبير وتواطؤ الحكومات معه.

العودة إلى الفهرس

تعتبر العولمة الاقتصادية أكثر مظاهر الليبرالية الجديدة صراحة وفجاجة؛ وقد أفضت إلى أزمة مالية واقتصادية 2009/2008 سرعان ما أسست لصعود أكبر موجة من اليمين الشعبوي. تاريخياً، النيوليبرالية هي مشروع سياسي أطلقته رأسمالية الشركات لكبح قوة العمل. أنهت الليبرالية الجديدة دولة الرفاه، وقللت من سلطة الدولة لصالح الشركات العابرة للقومية والمتعددة الجنسيات، وقلصت دور النقابات العمالية.

مع مرور الوقت كثرت التفسيرات التي تربط بين حدوث الجائحة ومآلاتها بما يسمى بالعصر النيوليبرالي؛ نقدم بعض أبرز أفكارها:

الإصلاحيون: في ضوء حقيقة ما كشفه الوباء من فشل دول كان ينظر إليها بوصفها نموذجاً يحتذى في الإدارة والسياسة، ومن أن التفاوت في إدارة الأزمة بين الدول يرتبط بطبيعة السياسات المتبعة تجاه الخدمات العامة ووسائل الإنتاج، برز من يدعو إلى «الرأسمالية الأخلاقية» التي تنبثق من فهم أدم سميث الكلاسيكي للقوى التي تشكل ما نسميه «السوق الحرة»: الازدهار والعدالة والحرية.

الاشتراكيون والشعبويون اليساريون: أوضحت الأزمة بجلاء أن الناس بحاجة إلى رعاية صحية مجانية وإجازة مرضية مدفوعة الأجر للجميع. بالنسبة لهؤلاء يكشف الفيروس التاجي عن الأخطاء الهيكلية لنظام تم تغطيته على مدى عقود؛ فجوة التفاوتات الاقتصادية، وتدمير البيئة، والفساد السياسي المنتشر كلها نتائج لأنظمة أصيبت "بالفشل المتزامن"، وليس ثمة بديل سوى الاشتراكية.

الشعبويون اليمينيون: كورونا يبرر المخاوف بشأن الحاجة إلى حماية الحدود وطرد الأجانب. يتم تصوير التهديد بأنه «خارجي»، والرد ببناء الجدران ووقف الرحلات الجوية. يدور الجدل حول «الانعزالية» وسياسة «الأبواب المغلقة». بالنسبة لأنصار الترامبية وذوي النزعة القومية الأوروبيون «التداول الحر للسلع والأشخاص وسياسات الهجرة والضوابط الضعيفة على الحدود؛ تسمح بوضوح بانتشار هذا النوع من الفيروسات»، عندهم الاقتصاد قبل المجتمع، والربح قبل الإنسان.

إلى ذلك فثمة آراء أخرى نجملها كالتالي:

للحيلولة دون انقطاع سلاسل التوريد، يجب نبذ نهج التصنيع «في الوقت المناسب»، والذي لا يحتفظ فيه المصنعون بمخزونات كبيرة من المواد، بل يطلبونها قبل وقت قصير من التجميع، ما يجعلها عرضة للصدمات.

يكشف الوباء مزايا وعيوب الأنظمة السياسية؛ الاستبدادية والديموقراطية. بينما انتقد الاستبداد الصيني من حيث إسكات الأصوات المعارضة والناقدة، مدح الحزب الشيوعي على احتواء الوباء بسرعة. وبينما يحتفل البعض بحرية الغرب في التعبير، يشار بالبنان إلى فشل الديمقراطيات الغربية في الحد من المخاطر بشكل فعَّال.

أخيرًا، أنصار العالمية والمدافعون عن المناخ ينظرون للفيروس باعتباره تهديداً عالميًا يظهر الحاجة للعمل معًا، وأن الاستجابة له أظهرت ما يمكن أن يحققه العمل الجاد للتعامل مع تهديد "تغير المناخ".

من الواضح أن صراع العالم ضد كورونا سيشكل لحظة فارقة في التاريخ الحديث. نحن نشهد تفكك منظومة شاملة وبروز احتمالات متعددة بما في ذلك الذهاب إلى الأسوأ. يرى البعض فيما يحدث فرصة أمام اليسار والقوى المعارضة بعد 40 عامًا من العولمة والتركيبات الإيديولوجية للنيوليبرالية، لبدء نقاش حول إعادة التنظيم السياسي والاقتصادي.. يتضمن النقاش بعض القضايا التالية:

احتمالية صعود الصين وتبوأ موقع قيادة العالم بسبب انكفاء الولايات المتحدة وسياستها «الانعزالية» وفشلها في الاستمرار بقيادة العالم، وما صاحب ذلك من تراجع بعض الأفكار السياسية المرتبطة بها، وبالطبع تراجع العولمة لصالح صعود القومية وانهيار الاتحاد الأوروبي. في ظل الإخفاق الذي أظهره الغرب، فإن العالم سيشهد خلال السنين والعقود القليلة القادمة انتقال الثقل السياسي والنفوذ الاقتصادي بشكل تدريجي منه إلى الشرق.

التوفيق بين تدابير الصحة العامة والإنتاج الاقتصادي. تقليص الإنفاق الحكومي على الخدمات العامة لا يعني بالضرورة تشجيع الاقتصاد وزيادة النمو، بل العكس؛ فقد أظهرت الكورونا مدى علاقة وتأثير الصحة بالاقتصاد، فالقيود على الحركة والتنقل كوسيلة بديلة عن توفر المستلزمات الطبية أدت الى خسائر فادحة في الاقتصاد. يمكننا أن نتعلم الدروس من هذه الأزمة لبناء اقتصاد أكثر إنسانية وعالم أكثر عدالة وإنسانية (تحقيق التوازن بين الانفتاح والحماية، الترابط والاعتماد على الذات).

الفيروس فتح نافذة أوفرتون على مصراعيها. باتت تُناقش أفكار سياسية واقتصادية لطالما رفضت سابقًا أو اعتبرت خيالية: التدخل الحكومي، مراقبة الدولة للنشاط الفردي وغير ذلك. تُسرّع الجائحة التغيرات الجارية بالفعل: يمكن أن تحدث التحولات التي قد تستغرق عقودًا في غضون أسابيع.

هناك خطر كبير يتمثل في أنه بدلا من تغيير المسار، سيعيد عالم ما قبل كورونا إنتاج ذاته. يستفيد القادة السلطويون في كل مكان من الأزمة لتضييق الخناق على الحريات الفردية والانحدار بسرعة نحو الاستبداد (المجر، إسرائيل، أمريكا،..). ثمة خشية من أن ينتج الوباء البيئة المثالية لانفلات الأيديولوجيات الشعبوية من عقالها، وأن يحصل التراجع عن الخيارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعاون الدولي.

مع تعطل خطوط الإمداد والتوريد، ستبحث المجتمعات المحلية عن المنتجين المحليين والإقليميين لتلبية احتياجاتهم اليومية. سيعتاد الأشخاص بشكل متزايد على التواصل مع الآخرين من خلال الاجتماعات عبر الإنترنت، وفي الوقت الذي سوف يتم فيه الإنتاج محليًا، قد نشهد زيادة كبيرة في عولمة الأفكار الجديدة وطرق التفكير.

كي لا نخسر الرهان أمام جائحات قادمات، لا بد من أخذ العبرة لمواجهة الأخطار الثلاثة: الخطر النووي، الإيكولوجي، البيولوجي، أولوية قيم التضامن والتعاون العالمي على الخضوع للقوانين العمياء لأسواق المال والأعمال، والشركات، التي لا غاية لها سوى تعظيم المكاسب والأرباح.

بروز وتبلور ملامح مستقبل منطقة الشرق الأوسط في عالم ما بعد كورونا؛ انهيار أنظمة، امتلاك إيران سلاحها النووي، وجود فرص لإسرائيل وخاصة في مجال صناعة الهاي-تك، وهي تعزز مكانتها وعلاقاتها السياسية والاقتصادية؛ سواء مع الولايات المتحدة أو الصين.

رؤية للعالم في مرحلة الكورونا وما بعدها

د. صلاح زقوت–رئيس البيت العربي /أوكرانيا

بعد انتشار فيروس كورونا، والذي لا يرى بالعين المجردة واجتياحه كل دول العالم غير مكترث بالجنسية والدين والعرق واللون، أو بالغنى والفقير، وشمل كل الفئات، حيث وصل عدد المصابين به بالملايين، والوفيات زادت بعشرات الآلاف، والأرقام فى تزايد، وفرض الحجر المنزلي، وإغلاق الدول حدودها، وأيضًا بين المدن فى كل دوله، ووصلت إلى إغلاق الأحياء فى المدينة الواحدة، وتعطيل أغلب مجالات الحياة، ولم يشهد التاريخ وباء بهذا الشكل؛ يعطل الحياة البشرية واتخذت كافه الدول إجراءات صارمة للحد من انتشاره.

أمام هذا الوضع تطرح أسئلة عديدة: ما العمل؟ وما بعد كورونا من نوع هل هو مؤامرة؟ أم وباء طبيعي مثل كل الأوبئة التي عانت منها البشرية؟ هل سيحدث تحول وتغير فى مراكز الثقل الاقتصادي ثم السياسي؟ وهل سيفرض نظام عالمي جديد؟ ما هو دور الدوله الوطنية والقطاعين العام والخاص، الديمقراطية وحقوق الإنسان؟ هل يوجد تضامن دولي وجهود مشتركة؟ هل سنتعلم درسًا يجعلنا نبدأ بنهج حياة جديد وأفضل؟ والعديد من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات من المختصين وصناع القرار.

وفى ظل هذا الوضع يوجد ضخ إعلامى غير مسبوق من قبل كافه وسائل الإعلام العالمية، وحتى على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تتناول أرقام الإصابات اليومية وحالات الوفاة والإجراءات التى تتخذ، رغم أن أعداد الوفيات من الأمراض المزمنة؛ مثل السل وأمراض القلب والسكري والسرطان والأنفلونزا الموسمية والموت جوعًا أو فى الحروب العدوانية الأمريكية والإسرائيلية وغيرهم، أكثر بمرات كثيرة من وفيات الكورونا. إن هذا الضخ الإعلامى خلق حالة من عولمة الرعب والهلع والخوف، وهذا يؤدى إلى القلق والأرق والانزواء والتقوقع وإبطال

العودة إلى الفهرس

حكمة العقل وتعطيل الفكر، وكل ذلك للتغطية على الركود الاقتصادي، والذى يدفع ثمنه ملايين العاطلين عن العمل والفقراء والمهمشين والضعفاء، وحتى جزء كبير من الطبقة المتوسطة، وانهيار نظم الرعاية الصحية، الذي لم يستطع توفير حتى القناع الواقي وأجهزه التنفس الصناعي، وحتى ورق الحمام، وتحطمت كثير من مظاهر الحياة، وتعطلت الأسواق، ووصلنا إلى فشل مروع للسياسات الاقتصادية النيوليبرالية لعلاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى سببها النظام الرأسمالي العالمي وسياسة القطب الواحد العنصرية العدوانية، الذي يهيمن على العالم، حيث لم تأخذ التحذيرات على محمل الجد في بداية الأزمة، عندما تفشى المرض في الصين، بل إن الرئيس الأمريكي ترامب أسماه "الفيروس الصيني"، رغم إنه كان بالإمكان تجنب تفشي الفيروس، حيث المعلومات المطلوبة لتجنبه متوفرة، وكان الأمر معروفًا لعدد كبير من الباحثين والعلماء ومنظمة الصحة العالمية والدول؛ وبسبب طبيعة النظام الرأسمالي، الذي يهتم بجني الأموال ومراكمتها على حساب الإنسان لم يهتم بالمعلومات المتوفرة لديه.

فالرعب ليس هو الحل للأزمة، بل لا بد من مواجهتها وإيجاد الحلول والتفكير بالمستقبل لما بعد انتهاء أزمة كورونا، وأخذ العبر والدروس، وبالتأكيد ستنتصر البشرية بوحدتها وتضامنها وعلمائها على هذا الوباء بأقل الخسائر، كما انتصرت على العديد من الأوبئة التي واجهتها البشرية، وهذا يتطلب الالتزام بالإجراءات الطبية والإدارية المطلوبة لمواجهته على طريق الانتصار عليه.

وأمام هذا الوباء نسجل النقاط التالية:

أولا: لقد جاء هذا الفيروس رغم تكنولوجيا أسلحه الدمار الشامل وتكنولوجيا الاتصالات والأقمار الصناعية والمراقبة والتجسس التي يُصرف عليها مئات وآلاف المليارات، رغم كل ذلك لم يستطع كل ذلك أن يواجه فيروس، وهذا يثبت وهم السيطرة على العالم والمجتمعات والطبيعة، وتحويل الإنسان إلى رقم ضمن الثورة الرقمية، وأن هذه المليارات لو صرف ربعها على البحث العلمي السلمي والطبي وتطوير الزراعة والصناعة واستصلاح الأراضي ومحاربه الأوبئة وتخفيض الانبعاث الحراري لكان العالم أفضل الآن. أما بالنسبة للإنسان والمجتمع فبعيدًا عن العنصرية والعدوانية، واستعباد البشر، واحتلال الدول، وافتعال الحروب، ونشر الإرهاب، ودعم الأنظمة الاستبدادية، جاء فيروس كورونا بعيدًا عن كل ذلك، حيث كان له وقعه شديد ضد البشر بغض النظر عن جنسهم ودينهم وعرقهم، غنيهم وفقيرهم، حيث أصبح الجميع سواسية أمام هذا المرض، ليؤكد أن غريزة البقاء والتمسك بالحياة هو الأساس، وأن الوحدة الإنسانية تجمعنا؛ لأننا نعيش على كوكب واحد يجب المحافظة عليه.

ثانيًا: إعادة الاعتبار للعلم والعلماء والبحث العلمي للأغراض السلمية والأطباء والممرضين والعاملين في الحقل الصحي، ولعمال النظافة، أمام خرافات رجال الدين من مختلف الديانات، الذين لم يفهموا ولا يريدون أن يفهموا أن الوقاية والعلاج لا يحتاج إلى خرافات وهرطقات وطقوس وعادات أدت فى العديد من البلدان إلى زيادة الإصابات والوفيات، وأن العلاج يحتاج لدواء ولقاح، وليس إلى شعوذات.

ثالثا: على صعيد الرعاية الصحية ثبت انعدام المنظومة القيمية والاخلاقية للنظام الرأسمالي، الذى يؤمن بالبقاء للأصلح وللقوى على قاعدة التخلص من كبار السن، وتشير الإحصاءات فى العديد من الدول الأوربية أن ثلثي الوفيات هم من كبار السن، ومن دور المسنين، الذين حسب زعمهم يشكلون عبء على موازنات الدول، وتناسوا أن كبار السن قدموا خدماتهم الجليلة في العمل، ومن أجل المجتمع، والتزموا بدفع الضرائب، وأن حقهم أن ينالوا رعاية صحية محترمة، كما أن على الدولة أن توفر لهم كل سبل الراحة بعد تقاعدهم عن العمل، وليس إفقادهم حياتهم!

رابعًا: أخذ بعض دول العالم إجراءات طارئة لإدارة الأزمة، حيث أعيد الاعتبار في بعضها للقطاع العام المهمل أمام تغول القطاع الخاص، حتى في أعتى الدول الرأسمالية، حيث أقرت وصرفت ميزانيات ضخمه لمواجهة هذا الوباء، وبالمقابل نجد أن القطاع الخاص والشركات العابرة للحدود لم تقدم إلا النذر اليسير لمواجهه الوباء، بل يضغط أصحاب رؤوس الأموال على الحكومات والدول لتخفيف وإنهاء الإجراءات تحت حجة تدهور الوضع الاقتصادي، وأنه لا بد من تشغيل عجله الإنتاج غير آبهين بحياة البشر.

خامسًا: لقد جاء هذا الوباء ليثبت أن النظام الرأسمالى السائد وسياسة القطب الواحد المهيمن على العالم، قد أصابته الشيخوخة ونقصت مناعته، فهو الأكثر عرضه للتفكك، وبالتالي لا بد أن يخلق نظام عالمى متعدد الأقطاب بعيدًا عن العنصرية والتعصب والهيمنة والعدوانية، يكون أساسه الحفاظ على كوكبنا الذي نعيش جميعًا عليه، أساسه العدل وقيمه الإنسان وتوزيع الثروات بشكل يقضي على الفقر والمرض والجهل، ويُحدث تنمية مستدامة لمصلحه البشرية، من خلال نزع أسلحه الدمار الشامل؛ من أسلحه نوويه وكيماوية وبيولوجية، وتقليل الانبعاثات الحرارية، ولجم النزعات العدوانيه التى تلجأ للحروب المدمرة للتخلص من أزماتها الداخلية، وكل ذلك عملية نضالية تتطلب وحده الجهود البشرية للحفاظ على كوكبنا واستمرار الحياة عليه.

انحطاط قيمي وأخلاقي غير مسبوق للنظام الرأسمالي

عليان عليان–كاتب وباحث سياسي/ الأردن

الأزمات المالية والاقتصادية العالمية للنظام الرأسمالي منذ تشكّله، وخاصةً منذ ثلاثينيات القرن العشرين ومطلع السبعينيات، ومنذ نهاية عقدَي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، وصولا للازمة المالية الكبرى عام 2008 والمستمرة في تداعياتها حتى الآن، وصولا للركود الذي باتت معالمه تلوح في ظل وباء فيروس كورونا، هي المسؤولة بشكل مباشر عن معدلات البطالة والفقر والمجاعة، وتردي الخدمات الصحية والاجتماعية المقدمة لجماهير الشعب من عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة، ولا يمكن عزلها عن الأزمة العامة والبنيوية للرأسمالية؛ فالأزمات المالية المتكررة هي من طبيعة النظام الرأسمالي، فالأزمة كما الحال بالنسبة للنمو هما وجهان لمنظومة واحدة للرأسمالية. والسبب الجوهري لنشوء الأزمات الاقتصادية، هو التناقض الأساسي للرأسمالية بين الطابع الاجتماعي للانتاج والشكل الخاص للتملك، وهو ذاته التناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج الرأسمالية.

وإذا كانت نظرية كينز قد شكلت في مرحلة معينة مخرجاً لأزمة الكساد الكبير (1929–1933)، حين فشلت ميكانزمات الرأسمالية في حل الأزمة، بعد أن انهارت كل الافتراضات النظرية للاقتصاد الحر التي جاء بها «آدم سميث»، وذلك من خلال قيام الكينزية بلي عنق نظرية اقتصاد السوق الحر الليبرالي، واللجوء إلى إجراء اشتراكي للخروج من الأزمة عبر إعطاء الدولة والقطاع العام دوراً أساسياً لحل الأزمة، وبالاهتمام بشروط تحقق التوظف الكامل، ما نجم عنها قيام دولة الرفاهية والرعاية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

إلا أن فشل الكينزية لاحقاً في حل أزمات النظام الرأسمالي وعدم تصديها لقضية تصدير رأس المال كحل لمشكلات الرأسمالية في زاوية الادخار الفائض، والانتقادات الموجهة إليها من قبل غلاة الرأسمالية بشأن عدم تصديها لدور النقابات العمالية التي أدت إلى تآكل هامش الربح للشركات، ودورها في الانفاق الاجتماعي؛ أثر بالسلب على التراكم الرأسمالي وتعاظم الأرباح، وأتاح الفرصة لليبراليين الجدد لتسيد المشهد على أنقاض الكينزية، وبات منظرو الأيديولوجية النيوليبرالية يتبنون الداروينية الاجتماعية المتوحشة بأبشع صورها، حين يعلنون: «إن المجتمعات العاجزة عن إنتاج غذائها أو شرائها بعائد صادراتها الصناعية مثلاً لا تستحق البقاء، وهي عالة على البشرية أو على الاقتصاد العالمي الذي يحكمه قانون البقاء للأصلح... ولذلك يجب إسقاطها من الحساب، ولا ضرورة بالتالي لوقوف حروبها الأهلية، أو

العودة إلى الفهرس

مساعدتها أو نجدتها".

لقد أعادت الليبرالية الجديدة وخاصةً في «مدرسة شيكاغو النقدية » و « مدرسة لندن» الاعتبار لنظرية الاقتصاد الحر لآدم سميث وبدأه الشهير «دعه يمر .. دعه يعمل"، لكنها أدخلت تعديلات على المفاهيم الليبرالية الكلاسيكية - التي تبنت المنافسة الحرة - محاولةً أن تأخذ في الاعتبار تنامي المظاهر الاحتكارية وظهور اختلالات في الاقتصاد، وأصبحت الأهمية القصوى في ظل النهج النيوليبرالي هي لرأس المال المالي، ولفقاعات الانترنت والبورصة، على حساب قطاعات الإنتاج المختلفة من زراعة وصناعة وغيرهما، ما أدى إلى سلسلة أزمات كبيرة ومتتالية منذ مطلع سبعينات القرن الماضي وحتى أزمة 2008، حيث لعبت الشركات «متعدية الجنسية" دوراً أساسياً في هذه الحقبة، منهية دور الدولة وحصره بأن تكون مجرد «مدبرة المنزل" ليس أكثر.

الأزمة المالية العالمية (2008)

لقد انتهى الأمر بالنظام الرأسمالي النيوليبرالي، إلى أن يترنح تحت سوط أزمة 2008 "أزمة الرهن العقاري" الناجمة عن منح القروض للأفراد والشركات دون التحقق من الجدارة الائتمانية للمقترضين، بعد أن أغرتهم البنوك بفائدة بسيطة في البداية، ثم تزايدت وتوسعت في منح القروض مما خلق طلباً متزايداً على العقارات، إلى أن تشبَّعت السوق فانخفضت أسعار العقارات وعجز المقترضون عن السداد، وكانت البنوك قد باعت هذه القروض إلى شركات التوريق التي أصدرت بها سندات وطرحتها للاكتتاب العام، وبالتالي ترتب على الرهن العقاري كم هائل من الديون مرتبط بعضها ببعض في توازن هَش أدى إلى توقف المقترضين عن السداد، وبالتالي حدثت الأزمة التي ضربت الاقتصاد الأمريكي والعالمي في الصميم، ما أدى إلى انهيار كبرى البنوك الأمريكية؛ مثل بنك ليمان برذرز، وعملاقي التأمين فريدي ماي وأندي ماك، وانهيار أسواق المال والبورصة في وول ستريت، ولتنتقل الأزمة إلى أوربا واليابان وإلى كافة أرجاء المعمورة. وهذه الأزمة، لا يمكن عزلها عن الأزمة البنيوية للنظام الرأسمالي العالمي، ولا يمكن عزلها بشكل خاص عن الأزمات المالية في ظل العولمة، وخاصةً الأزمة المالية الكبرى في نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين التي ألمَّت بالولايات المتحدة، عندما انهارت بورصة نيويورك للأوراق المالية، ولا عن بقية الأزمات المالية التي عصفت بمناطق مختلفة في العالم في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. كما أنه لا يمكن عزلها عن نهج الليبرالية الجديدة، التي فككت صمامات الأمان التي لجمت رأس المال فيما مضى، بإصدار قانون أطلق عليه اسم "قانون تحديث الخدمات المالية"، الذي تم على أساسه إلغاء كل أشكال الرقابة والقيود والضوابط التي وضعت في ثلاثينيات القرن العشرين لإنقاذ الاقتصاد الأميركي من أزمة الكساد الكبير، وكان من نتائجها في الولايات المتحدة وفي الدول الرأسمالية وكافة دول العالم؛ ركود اقتصادي مُحتم، وإفلاس وخسائر كبيرة جداً لعدد من المؤسسات المالية والشركات العملاقة، واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، وازدياد غير مسبوق في معدلات الفقر والبطالة. وكان المخرج الذي لجأت إليه إدارة أوباما، والدول الصناعية السبع؛ بالعودة إلى النموذج الكينزي ممثلاً بزيادة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وباللجوء إلى إصلاح النظام المالي العالمي.

وبهذا الصدد يقول موريس نهرا- القيادي السابق في الحزب الشيوعي اللبناني- "أن الجديد في الأزمة المالية والاقتصادية التي اندلعت عام 200 ، هو أن الدول الرأسمالية بدأت تتدخل بقوة لصالح رؤوس الأموال تحت عنوان دعم المؤسسات، وذلك في عمليات تأميم جزئي أو كامل سواءً عبر شراء أصول هالكة أو من خلال ضمان القروض، في المؤسسات التي جنت أرباحها على حساب دافعي الضرائب، حساب الطبقة العاملة والشعوب الفقيرة"، مشيراً إلى أن هذه الإجراءات تجعل الطبقات الفقيرة المُستغلَّة، تدفع عملياً فاتورة هذا الانهيار بآلاف المليارات من الدولارات.

لقد ضخت الدول الرأسمالية الرئيسية نحو (3,5) تريليون دولار حتى عام 2009، ولم يسبق لها ضخها من قبل حتى في العصر الكينزي وتعاظم دور دولة الرفاه، التي كانت تَحْقن الاقتصاديات الرأسمالية بجرعات مُنشَطة من الإنفاق العام، بهدف التأثير في حجم الطلب الكلي الفعال الذي دعت إليه النظرية الكينزية... كما عملت الحكومات في الدول الرأسمالية على خفض الفائدة بهدف تسهيل الاقتراض وتشجيع الاستثمار، وإقرار حزم من الحوافز المالية والضريبية، لتنشيط الاقتصاد، وتجنيب الشركات والمؤسسات المالية خطر الإفلاس، وبخاصة في القطاعات التي تعاني من الخمول كالعقارات.

أزمة الكورونا «كوفيد 19» صاعق التفجير للركود الجديد

التطور اللافت للنظر أيضاً وللحد من الركود، لجأت إدارة الرئيس الأمريكي أوباما وبقية الدول الرأسمالية الكبرى والبنوك المركزية لاحقاً، إلى المبالغة في سياسات التيسير الكمي، وإلى خفض أسعار الفائدة لتجاوز تداعيات أزمة 2008، وبهدف دعم أسعار الأسهم عبر زيادة عرض الأموال الرخيصة للغاية بشكل كبير في الأسواق المالية. وقد نجم عن ذلك نمو بالغ لجميع أشكال الديون؛ شركات وحكومات وأسر، وبلغ الدين غير المالي للشركات الكبيرة، في الولايات المتحدة على سبيل المثال 10 آلاف مليار دولار في منتصف العام 2019 (حوالي 48% من الناتج المحلي الإجمالي)، وهي زيادة كبيرة مقارنة بالذروة السابقة لعام 2008 (حيث كانت حوالي 44٪). عموماً، لم يتم استخدام هذا الدين في استثمارات منتجة، بل في أنشطة مالية (مثل تمويل توزيع الأرباح وإعادة شراء الأسهم وعمليات الاندماج والاستحواذ).

باختصار شديد، فإن الركود كان جاهزاً ومهيأ للانفجار، بانتظار صاعق التفجير، فجاءت أزمة الكورونا «كوفيد

19» لتفجر أزمة اقتصادية، قد تكون أخطر بكثير من أزمة الكساد الكبير (1929- 1933)، وأزمة 2008، خاصة في ضوء أن «وباء كورونا" فرض إغلاقاً متزامناً تقريبًا لقطاعات الصناعة والنقل والخدمات في الولايات المتحدة وأوروبا والصين ، في حدث تاريخي غير مسبوق منذ الحرب العالمية الثانية، كما أنه ومع وجود خُمُس سكان العالم حالياً في شكل من أشكال الحجر ؛ انهارت سلاسل التوريد والتجارة العالمية وانخفضت أسعار أسواق الأسهم (البورصة)، حيث فقدت معظم أسواق الأسهم الرئيسية بين 30 و40٪ من قيمتها بين 17 فبراير و17 مارس .

"كوفيد 19- كورونا" تكشف أسوأ ما في النظام الرأسمالي

1- نظام طبي متهالك: فالنظام الرأسمالي الذي عاد إلى طبيعتة النيوليبرالية بعد مرور عقد على «أزمة 2008»، والذي كان يتباهى بإمكاناته المالية والاقتصادية والتكنولوجية، كشف عن عجز كبير جداً في مواجهة وباء كورونا، فقد جاءت أزمة «كورونا» لتعري هذا النظام من "ورق التوت»، ولتكشف أنه نظام في خدمة طبقة معينة في بلدانه، ونظام عنصري استعلائي حيال دول العالم الثالث والدول الاشتراكية والدول التي يصنفها في خانة الأعداء (الصين – روسيا – إيران - فنزويلا).

جاءت هذه الأزمة لتكشف القصور الهائل في النظام الصحي للدول الرأسمالية، وخاصة في قلعة الرأسمالية (الولايات المتحدة) التي ضربت حتى اللحظة رقماً قياسياً في عدد المصابين الموتى جراء إصابتهم بالوباء، وكذلك في دول الاتحاد الأوروبي، وخاصة في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا. فوسائل الإعلام الأمريكية، وتصريحات العديدين من العاملين في الحقل الطبي، كشفت عن أوضاع بائسة في المستشفيات الحكومية، التي يستفيد منها سواد الشعب من ذوي الدخل المحدود ؛ من عمال وموظفين وحرفيين، إذ تبين وجود نقص كبير في الأسرة وفي أسرة العناية المركزة، ونقص هائل جداً في الكمامات الواقية، وفي أجهزة التنفس الصناعي، في حين أن مستشفيات القطاع الخاص التي تتلقى الدعم من الدولة، مجهزة بكل ما يلزم، لكن ليس

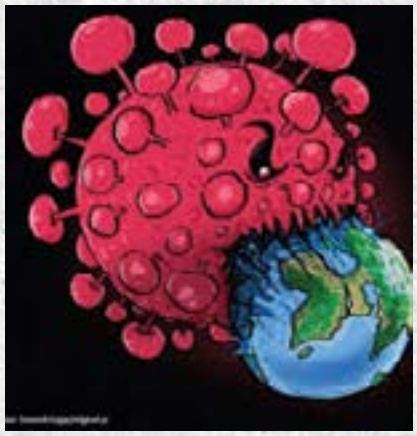

بوسع جماهير الشعب من ذوي الدخل المحدود أن تجري فحوصاً مخبرية فيها أو تلقي العلاج بحكم الكلفة الباهظة جداً والتي تتجاوز (20) ألف دولار . وجاء تقرير وزارة الصحة الأميركية، ليكشف كذب وادعاءات ترامب المبكرة حول الإمكانات الطبية للحكومة الفيدرالية، إذ يقول التقرير: إن معدّات الحكومة الفدرالية لم تكن كافية وأحياناً بنوعية رديئة أو هي غير صالحة للاستخدام، وأن المواد ومعدات الوقاية الشخصية في بعض المستشفيات الحكومية الأمريكية، منتهية الصلاحية منذ عشر سنوات، وأن المستشفيات تفتقر إلى موازين الحرارة، ما يحول دون تحققها من درجة حرارة الموظفين والمرضى .

ولا داعي للاسترسال في الحديث عن النظام الصحي وتفشي الكورونا في دول الاتحاد الأوروبي ؛ إذ أن النظام الصحي فيها يعيش ذات المأساة الطبية، جراء النهج الرأسمالي النيولبيرالي الذي لا يقيم وزناً لحياة الفقراء ولذوي الدخل المحدود من موظفين ومهنيين .

2- نظام استعماري عنصري استعلائي: فالنظام الرأسمالي الذي كان يباهي بقضية حقوق الإنسان وبالحريات الفردية، لدرجة أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة، اعتادت أن تصدر تقريراً سنوياً عن حقوق الإنسان في مختلف دول العالم، ويباهي بتطور هذه الحقوق في أمريكا وأوروبا، وينتقد ما أسمته بمخالفة هذه الحقوق في الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطني. هذا النظام وخاصة في رأس هرمه «أمريكا»، في حالة انكشاف خلقي وقيمي، فهو من جهة عاجز عن تقديم الخدمات الطبية والاجتماعية لأبناء شعبه، ومن جهة أخرى نراه «يعض» أيدي الدول التي هبت لمساعدته في مواجهة الوباء «الصين وروسيا»، عندما نرى ترامب يصر على تسمية الفيروس «بالفيروس الصيني»، وعندما يستمر وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، في اتهام الصين - زوراً وبهتاناً - بأنها تحرم العالم من المعلومات التي يحتاجها، للحؤول دون حدوث إصابات أخرى بفيروس كورونا، وأن كلاً من الصين وروسيا تشنان حملة تضليل بشأن كورونا.

ومن جهة ثالثة، نراه يستمر في تسييس أزمة كورونا، من خلال تشديده العقوبات على كل من فنزويلا وإيران، بهدف إضعاف قدراتهما على مواجهة الوباء، وللحيلولة دون تمكينهما من الحصول على المعدات الطبية اللازمة .

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد، بل جاءت تصريحات أطباء فرنسيين، وخاصةً تصريحات جان بول ميرا رئيس طوارئ مستشفى «كوشان» في باريس، حول إجراء دراسة واختبار للقاح ضد فيروس كورونا في الدول الأفريقية، لتثير انتقادات وسخطاً كبيراً في أوساط الرأي العام العالمي، لتكشف عن أن الغرب الرأسمالي لم يغادر عقليته الاستعمارية .

3- كورونا تكشف عن الأنانية المفرطة للدول الرأسمالية في علاقتها مع بعضها: جاءت أزمة كورونا لتكشف مدى الأنانية المفرطة للدول الرأسمالية، والتي هي أصلاً من سمات هذا النظام، الذي تسبب جراء تضارب وصراع دوله، في نهب ثروات الدول المستعمرة "بفتح الراء» إلى حربين عالميتين، وإن كان هذا الصراع خبا بعد الحرب العالمية الثانية، إثر تسيد الولايات المتحدة المشهد الرأسمالي، وسيادة معادلة الإمبريالية الجماعية التي تحصل من خلالها الإمبريالية الأمريكية على نصيب الأسد في معادلة النهب الدولية، وتبقى بقية أطرافها «أوروبا واليابان" بالفتات. هذه الأنانية تبدت في ترك الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة إيطاليا تواجه الموت الزؤام دون تقديم أدنى المساعدات الطبية والمالية لها، وفي رفض دول الشمال في الاتحاد الأوربي تقديم المساعدات المالية لدول الجنوب (إيطاليا وإسبانيا وفرنسا.. وغيرها)، إبان القمة التي عقدت بصورة افتراضية عبر شاشات الانترنت، في 26 آذار (مارس) الماضي، وفي رفضها طلب إيطاليا إقامة صندوق دائم لدعم الدول المتضررة

العودة إلى الفهرس

عن النفط ولحمنا المحروق

خاص بالهدف

في اجتماعها في العاشر من شهر نيسان 2020، حيث تجاوز عدد الوفيات في إيطاليا حتى تاريخ 14 نيسان- ابريل الجاري (20) ألف شخصاً، وباتت تحتل الرقم الثاني بعد الولايات المتحدة التي وصل عدد الوفيات فيها حتى تاريخ 14 نيسان ما يزيد عن 24 ألف شخص، في حين اقترب عدد المصابين من رقم 2 مليون شخص في العالم، وفق معطيات جامعة هوبكنز الأميركية. كما تبدت هذه الأنانية في قرصنة دول الغرب الاستعماري للأدوية والمعدات الطبية المباعة من قبل شركات صينية بدون أدنى وازع خلقي، حين رأينا كل من فرنسا وتشيكا تقرصن على المواد الطبية المرسلة إلى إيطاليا، وحين رأينا الولايات المتحدة تقرصن على المعدات الطبية المرسلة إلى دول أوروبية، وإلى كندا، من خلال المزايدة السعرية عليها. يضاف إلى ما تقدم، فإن مبدأ «الحرية الفردية» المشتق من مبدأ «الحرية الاقتصادية" ،الذي شكل نقيضاً لمبدأ «الجماعية الاشتراكي»؛ كشف هو الآخر عن مصلحة فردية أنانية على حساب المصلحة الجماعية، فبات كل فرد في المجتمع الرأسمالي يبحث عن خلاصه الفردي، وباتت الطبقات الرأسمالية تبحث عن خلاصها؛ غير آبهة بحياة الآخرين مطلقة العنان لثقافة «مناعة القطيع ...والبقاء للأقوى" مستحضرة النظرية المالتوسية بأبشع صورها.

المصادر:

1-عليان عليان: أزمات النظام الرأسمالي، الآن ناشرون وموزعون، عمان، ط1، 2019.

2- سميح مسعود: الأزمة المالية العالمية، المركز الكندي لدراسات الشرق الأوسط، مونتريال، دار الشروق، رام الله، 2010.

3- زهدي الشامي: الليبرالية الجديدة "المفهوم والممارسات والتحديات أمام العالم العربي"، مجلة التنمية والتقدم الاجتماعي الاقتصادي، عدد 92، مايو – أغسطس 2006 .

4- عبد الأمير السعد: الاقتصاد العالمي – قضايا راهنة، مركز البحوث العربية والإفريقية، دار الأمين، القاهرة، 2007.

5- عبد علي كاظم المعموري: الطوفان القادم- توالد الأزمات في النظام الرأسمالي، دار الحامد، عمّان، ط1، 2012.

6- السفير اللبنانية عدد 59، بتاريخ 2008/10/16.

7- آدم هنية: مقال بعنوان: "كوفيد-19 والأزمة الاقتصادية وعالم الجنوب- من أجل مقاربة أممية، الحوار المتمدن، س 3 نيسان (أبريل) 2020.

في حالة الحجر تبدو العناوين المتاحة للكتابة متشابهة للوهلة الأولى، فالجائحة وأخبارها وأخطارها تصبغ كل العناوين بصبغتها، كما لو أن الجميع لا يستطيع إلا أن يكتب عن كورونا.

هذا قد يكون صحيح مع بداية انتشار الفيروس، لكن اليوم يمكن القول إن الأزمة المرضية لم تعد حدثًا بقدر ما أصبحت مسرحًا للأحداث، أي واقع جديد تحدث فيه الكثير من الأشياء، ضمن بيئته وبشروط جديدة استحدثها إلى جانب تلك الشروط القائمة والناظمة للأحداث ولعلاقات السلطة والثروة والإنتاج والقهر.

حين انهارت أسعار خام تكساس النفطي بالأمس، لم يكن فيروس كورونا المستجد قد أصاب أحد آبار النفط، ولكن الركود الاقتصادي الآخذ بالتعمق ترك مفعولاً طبيعيًا على أسواق صُممّت بغرض الزيادة اللامنتهية في معدلات الاستهلاك تحت مسمى النمو الذي افترض زيادة هائلة ودائمة في معدلات حرق الإنسان للنفط.

انخفاض الاستهلاك البشري للنفط هو ضرورة وليس كارثة، ذلك ما تفرضه احتياجات البشرية المستقبلية لهذا المورد، وضرورات الحفاظ على التوازن البيئي لأجل استمرار الحياة البشرية على هذا الكوكب، وما يحدث حاليًا هو وقوع تباطؤ تاريخي للاستهلاك، تحول إلى كارثة اقتصادية لرأس المال الذي يُصرّ على جني ربحه من الهدر والحرق المستمر لكل موارد الكوكب؛ فزيادة الاستهلاك هي الهدف، وليست تلبية الاحتياجات البشرية.

تلك المعادلة الشهيرة عن موت الملايين جوعًا في هذا العالم، وملايين أخرى تخمةً، ليس محض خلل أخلاقي أصاب الأفراد، ولكنها جوهر العملية الرأسمالية واقتصاديات السوق؛ فتكديس الملايين والمليارات في أرصدة وجيوب أرباب رأس المال تتطلب المزيد من الإنتاج، حتى عكس اتجاه الحاجة البشرية، والمزيد من الدفع شبه الإجباري للبشر باتجاه استهلاك هذه المنتجات أي كانت.

إن الاجابة على هذا التحدي لا تكمن في البحث عن آليات لاستعادة النمو الرأسمالي المستند على النمط سابق الذكر، ولكنٍ في البحث فيما تحتاجه البشرية حقا، وهو بالتأكيد ليس مزيدًا من السيارات الفارهة والهواتف المحمولة واليخوت الخاصة، بل ما يمكن تسميته الثلاثي الذهبي؛ الأمن الغذائي، والرعاية الطبية، والسكن، ما لم تتوفر هذه الضرورات البيولوجية الثلاثة لكل إنسان على هذا الكوكب، فنحن بالتأكيد لا زلنا لم نخطو الخطوة الأولى لنستعيد إنسانيتنا التي استلبها وحوش رأس المال.

ليحترق النفط وسعره، فربما يسعف ذلك البشرية في وقف العدوان المسعور على اليمن؛ من وحوش الثروات النفطية. فنحن، أي أغلبية بشر هذا الكوكب لم نعرف من هذا النفط والمال المرتبط به؛ إلا مجازر تذبحنا ومدافع وطائرات تحرق لحمنا الحي في العراق و اليمن وفلسطين.

«كورونا»
الصراع الإيراني -الأمريكي على المحك

محمد أبو شريفة–كاتب سياسي فلسطيني/سوريا

يبدوا أن جائحة كورونا جاءت في مفصل تاريخي بحيث حالت دون تطبيق استراتيجيات وسيناريوهات يراد تطبيقها وتنفيذها في المنطقة والعالم. صحيح هي كارثة للانسانية في وضعها الحالي لكنها في المدى المتوسط والبعيد قد ساهمت إلى حد بعيد في تبريد الصراعات القائمة في العالم؛ ومن بينها الصراع الأميركي – الإيراني، والذي تتجلى معالمه بقوة السيطرة والنفوذ بالمنطقة.

ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن الصراع بين الطرفين لا يقل عمره الزمني عن أربعين سنة، شملت مختلف النواحي السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، واتسمت بالمد والجزر، ولكن في الأشهر الأخيرة تجدد الصراع ووصل إلى مستوى المواجهة وتسديد الضربات المباشرة بين الطرفين. فالولايات المتحدة الأميركية قد فعّلت كل سياسات المواجهة مع إيران وحصرتها في خانة واحدة، وهي أن تعلن طهران استسلامها لواشنطن، وهذا لم يحدث إلى الآن، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الأثناء، هل الولايات المتحدة ماضية في مسعاها نحو فرض سياساتها العقابية المتعلقة بإيران في ظل جائحة كورونا، بالرغم مما خلفته من جروح وندوب في جسد أميركا؟ أم انها ستلجأ إلى تأجيل المواجهة المحتومة أو على أقل تقدير تبريد الصراع فيما بينهما؟

ثمة مؤشرات تقول بأن الولايات المتحدة بقيادة ترامب غير قادرة حاليًا على فرض سياساتها بالمطلق، فكل المشاهدات الحية لسلوك أميركا تثبت بالدليل القاطع أنها تختط لنفسها سياسات قائمة على الحماية والدفاع وليس الهجوم، بدءًا من المواجهة مع الصين وانتهاء باتفاقيات السلام مع طالبان لكن من الواضح أن أفغانستان، أميركا لن تتخلى عن سياسة فرض وتضييق الخناق «الضغوط القصوى» على إيران، لا سيما أن فريق ترامب يرى «كورونا» فرصة مناسبة لفرض المزيد من الإجراءات العقابية على الاقتصاد الإيراني، والتي تزامنت مع سياستها بعد الانسحاب من الاتفاق النووي (2018/5/8). وكلما خرج الرئيس الأميركي دونالد ترامب بتصريحات استفزازية تزداد وتيرة الأجواء اضطرابًا في الولايات المتحدة الأميركية بخصوص إيران، حيث يلوح دومًا بخيار الحرب التي يجب أن تحظى بقبول شعبي أميركي، وهذا ما تسعى إدارته للحصول عليه لضمان خوض الحملة الانتخابية لفترة رئاسية ثانية، والتي من المفترض أن تنتهي ولايته في 20 يناير 2021. فبالرغم من إعلانه الالتزام بوعده الانتخابي بعدم شن حروب أخرى، إلا إنه يلجأ بين الفينة والأخرى إلى التلويح به لتحقيق أغراضه بتعديل الاتفاق النووي الإيراني، والحد من نفوذ إيران، وطمأنة تل أبيب

العودة إلى الفهرس

وحلفاءه بأن واشنطن تقف بجانبهم في أي مواجهة محتملة ضد طهران، بالإضافة إلى استمرار ابتزاز الأموال من بعض الدول الخليجية.

وفي الوقت الذي يجري فيه التركيز بالمنطقة على مكافحة جائحة كورونا، نجد أن واشنطن تركز على إيران وما لديها من ملفات داخلية وخارجية، واتخاذ إجراءات عقابية لتشديد الحصار عليها وتقييد حركتها؛ من خلال فرض العقوبات على شرايينها الاقتصادية الحيوية، تمثلت مؤخرًا بإعلان إدارة ترامب عن حزمة عقوبات بحق قطاع البتروكيماويات الإيراني، شملت مجموعة (خليج فارس للبتروكيماويات) التابعة للحرس الثوري، والتي تعد الأكبر في هذا المجال، واستهدفت العقوبات أيضًا نحو أربعين شركة أخرى تعمل في ذات القطاع، بالإضافة إلى شخصيات سياسية ورجال أعمال. وهذا الإجراء يهدف إلى تضييق الخناق على الواردات النفطية والبتروكيماوية وحرمان الاقتصاد الإيراني من أكثر من 50% من مصادر الموازنة العامة.

وأيضًا فرضت في ظل «كورونا» حزمتين جديدتين من العقوبات؛ الأولى ضد خمس شركات إماراتية بتهمة نقل النفط الإيراني، والثانية ضد عشرين فردًا وكيانًا في إيران والعراق، بتهمة الارتباط بالحرس وصعدت حدة الاتهامات الثوري، بين الطرفين منذ الأيام الأولى لانتشار الوباء، واتهمت أميركا إيران بالتستر على وصول «كورونا»، وردت إيران عليها باحتمالية وقوف الولايات المتحدة وراء صناعة ونشر الفيروس في العالم. وحالت العقوبات الأميركية المفروضة على إيران دون مكافحة «كورونا» بالشكل المطلوب وصعّبت الأمر على الحكومة في طهران، والذي استثمرته دبلوماسيًا على نطاق دولي واسع لمضاعفة الضغط على إدارة ترامب لرفع العقوبات أو تعليقها في هذه الظروف الحرجة، واستمرت لهجة التجاذبات والمناكفات بين الطرفين. فبالرغم من تزايد عدد الإصابات والوفيات بينهما بسبب تفشي الوباء وتشديد العقوبات على إيران، استعدت الولايات المتحدة تقديم خدمات طبية لطهران، إلا

أن الأخيرة رفضتها جملة وتفصيلاً، واصفة العرض بأنه «منافق». ووصف علي خامنئي المساعدات الأميركية المعروضة بـ «السم»، وقال إن «الأميركيين يريدون إرسال كوادر طبية إلى إيران، لا لمساعدة الإيرانيين على مواجهة وباء كورونا المستجد، بل للتأكد من أن الفيروس الذي صنعته أميركا في مختبراتها خصيصًا لاستهداف الإيرانيين، سيقتلهم بالفعل». في حين أكد القائد العام للحرس الثوري الإيراني، الجنرال حسين سلامي، استعداد إيران تقديم المساعدة لواشنطن. وفي المقابل من هذه المواقف المتشددة؛ صرح محافظ البنك المركزي الإيراني، عبد الناصر همتي (2020/3/25) بشأن احتمال تحرير جزء من الأرصدة الإيرانية المجمدة في مصارف بعض الدول، وكما هو متعارف عليه فلن يفرج عنها إلا بموافقة أمريكية، ما أثار شكوك المراقبين عن إمكانية وجود تفاهمات بين الطرفين تجري من خلف حجاب، وبعيدًا عن لغة التصعيد وكيل الاتهامات. وبعدها بأيام أعلن همتي في (2020/4/9) أنه تم رفع التجميد عن أرصدة بمبلغ 1,6 مليار دولار تعود للبنك المركزي الإيراني لدى بنك «كلير ستريم» في لوكسمبورغ، وأكد أن هذه الأموال ستستخدم لشراء «السلع الأساسية في مواجهة «كورونا»، كالأدوية والتجهيزات الطبية إذا ."وحاجات المواطنين الضرورية كيف يمكننا الآن وصف الصراع في ظل الجائحة مع إيران ؟

يبدو إن الطرفين في حالة تناغم غير معلن والمؤشرات كثيرة، وأبرزها يكمن في الملفات الساخنة في المنطقة، والتي كانت تحظى سابقًا - قبل كورونا- بتأثير إيراني في مجرياتها؛ ومنها عودة المفاوضات بين السعودية والحوثيين لإنهاء الصراع في اليمن، وغض الطرف عن المرشح العراقي لرئاسة الوزراء مصطفى الكاظمي، والذي يحظى بالرضى الأميركي. فيما لم تتحرك إيران لإنقاذ لبنان من مصيره المحتوم في مواجهة صندوق النقد الدولي ونظام المصارف الأميركية، والذي بات راهنًا بمثابة السيد الحاكم في لبنان. أما الملف الفلسطيني المجمد أصلاً فهنالك مؤشرات وإن كانت في أجنتها الأولى تشير على احتمالية ولادة صفقة تبادل أسرى بين حركة حماس وكيان الاحتلال الإسرائيلي.

أمام هذه الأوراق جميعها نرى أن ثمة مكان للتفاهم بين طهران وواشنطن بعيدًا عن التوتر، وربما في خريف هذا العام ومع انطفاء شهوة «كورونا» بابتلاع البشر نشهد عودة المفاوضات بين الطرفين لترسيم وتحديد النفوذ بالمنطقة، لا سيما أن الرياض قد أثبت بالدليل القاطع فشلها الذريع بتطبيق سيناريوهات أميركية بالمنطقة، والطرف الضعيف بنظر ترامب عليه أن يخرج من سباق السيطرة والنفوذ ليحل الطرف الأقوى مكانه.

في الواقع تساؤلات عديدة تفرض نفسها على مضمون الصراع الإيراني – الأميركي في ظل اقتحام وباء كورونا لمعقليهما السياسي والاقتصادي دون سابق إنذار، فهل ثمة جدية لديهما في الذهاب نحو المواجهة في هذا التوقيت ؟ أم أن قواعد اللعبة «الكورونية» ستفرض معادلة تفاوض جديدة بين الجانبين ؟

النظام الدولي الليبرالي إلى أين؟

محمد صوان–كاتبٌ سياسي فلسطيني / سوريا

ما تبقى من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي منذ ثلاثة أرباع القرن تقريباً – التي كانت فريدة من نوعها – هي الأفكار والحيوية الأمريكية التي أنتجت التطور والاستقرار.. لكن السؤال المطروح في زمن الكورونا الذي حصد مئات الألوف من المصابين والأرواح من مختلف بلدان العالم – التي لا تزال تنتظر اكتشاف اللقاح المضاد – هو: هل سيستمر النظام الدولي الليبرالي الذي رعته الأعراف والقواعد الأمريكية بعد تراجع قوتها ومكانتها؟ وهل ستتقبل الولايات المتحدة تراجع امبراطوريتها؟! وفي إطار الإجابة عن التساؤل يقول السيد هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: "إن العالم بعد انتشار وباء كورونا لن يكون كما كان قبله"، غير أن عدداً من مراكز البحث العلمي والاستراتيجي في الولايات المتحدة تستنتج بأن الحديث عن زوال النظام الدولي الليبرالي مبالغ فيه إلى حد كبير كونه حقق قدراً كبيراً من الفوائد، ولأن معظم البدائل تنطوي على مخاطر جسيمة "!...

هل يمكن إحياء النظام الدولي؟

يمكن القول أن مساعي التأسيس الرابع للنظام الدولي الليبرالي ستكون صعبة؛ لأن هذا النظام تدرّج عبر ثلاث مراحل, فالمرحلة الأولى ارتبطت بمحاولة الرئيس ويلسون تأسيسه بعد الحرب الكونية الأولى لكنه فشل, أما المرحلة الثانية فكانت محاولة الرئيسين روزفلت وترومان تأسيسه في أثناء وبعد الحرب الكونية الثانية فنجحا.. بينما تنتمي المرحلة الثالثة – أي الراهنة – إلى قيام الرئيسين بوش الأب «الجمهوري «وبيل كلينتون «الديمقراطي «بإعادة تأسيسه في حقبة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.. ومن المؤكد أن الإدارة الأمريكية التي ستأتي بعد إدارة الرئيس ترامب ستتراجع للخلف؛ لأن الأخيرة قوّضت أسس النظام الدولي الليبرالي الذي لن يعود إلى الحياة, وكذلك الجهود لإعادة إنعاشه ستكون بلا جدوى..!

ومن علامات تدهور النظام الدولي الراهن صعود أحزاب اليمين الشعبوي العنصري في الولايات المتحدة وبلدان أوربا, وعدم قدرة منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي على التعامل مع التحديات الراهنة الأكثر إلحاحاً, بما في ذلك الديون والحواجز غير الجمركية, فضلا عن تصاعد مشاعر الاستياء من استغلال الولايات المتحدة للدولار في فرض العقوبات, وكذلك تراجع دور مجلس الأمن الدولي التابع لمنظمة الأمم المتحدة, بإيجاد حلول للصراعات حول العالم, وفشل الأمم المتحدة بمواجهة التحديات المرتبطة بالعولمة, وحماية الملكية الفكرية, علاوة على أن الاتحاد الأوربي الذي يشكل أكثر المؤسسات الإقليمية نجاحا واستقراراً في السابق, يكافح اليوم لصيانة مكوناته بعد الخروج البريطاني, وضرورة التوصل للقواسم المشتركة بين دوله حول قضيتي الهجرة والسيادة الوطنية. بالنظر إلى تلك المتغيرات، ربما تصبح مهمة المحافظة على النظام الدولي الحالي مهمة صعبة, كما أن أي جهد في هذا السياق سيكون غير كاف أيضاً لظهور تحديات جديدة, ولذلك فإن الولايات المتحدة تحاول التكيف مع هذا المصير, وتركيز جهودها على إدارة عملية التدهور, وأن لا تكون انتقائية في التزاماتها..!

ومن أجل إدارة عملية التدهور تسعى لتقوية عناصر معينة من النظام القديم, واستكمالها بالتدابير التي تستجيب لديناميات تغيّر مركز القوة الدولية, والمشكلات العالمية الراهنة, وعلى رأسها القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي, وعدم التخلي عن محاولة إدماج الصين وروسيا الاتحادية في المؤسسات الإقليمية والعالمية للنظام, وكذلك التعاون مع القوى الخيّرة في النظام الدولي لمعالجة مشكلات العولمة, خاصة تغيّر المناخ, والتجارة, والتهديدات السيبرانية, والذكاء الصناعي. ويتطلب ذلك جملة من الإجراءات على صعيد الداخل الأمريكي, وإعادة إصلاح البنية التحتية، وبضمنها النظام الصحي والتعليمي, وزيادة الاستثمار في شبكة الأمان الاجتماعي, واعتماد نظام هجرة إنساني يسمح بالاندماج وتوفير فرص عمل والعيش بأمان..

العودة إلى الفهرس

لن تستطيع الولايات المتحدة تعزيز النظام الدولي في الخارج بفاعلية إذا كانت منقسمة في الداخل، وغارقة ..! بمشكلاتها الاجتماعية والمعيشية

لا طموح للصين بالهيمنة!

تذهب بعض التحليلات والأدبيات الغربية للتحدث عن مساعي الصين لتعزيز قوتها الشاملة لتحل محل الولايات المتحدة كقوة مهيمنة على النظام الدولي؛ الأمر الذي دعا وزير الخارجية الصيني لدحض تلك الآراء والأفكار بقوله: "لن تكرر الصين.. لن تكرر أبداً ممارسات الدول الكبرى القديمة التي تسعى للهيمنة»، وبالتالي جاء إصرار الرئيس الصيني في أيلول 201 عندما قال: "الصين تفتقر للجين الذي يدفع القوى العظمى المختلفة نحو السعي للهيمنة..!".

لم يكف المسؤولون الصينيون عن الترويج لتلك الرسالة منذ بدء نهوض دولتهم وصعودها المدهش، وبالتالي يسعون جاهدين من أجل طمأنة الدول الأخرى، لا سيما الولايات المتحدة وروسيا، إلى نوايا سياسة بلادهم الحميدة، فـ " بكين" لا تريد أن تحل محل «واشنطن» على قمة النظام الدولي، وليس من مصلحتها إقامة شبكة من التحالفات الدولية، أو تشتت وجودها العسكري في أماكن بعيدة، أو إرسال جنودها بعيداً عن حدود وطنهم، وكذلك لا تريد قيادة المؤسسات الدولية التي ستقيّد سلوكها، أو نشر نظام حكمها خارج حدود بلادها.. لكنها ترى في منطقة المحيطين الهندي والهادي مجالها الحيوي، وتطالب الولايات المتحدة بالخروج من تلك المنطقة، حتى تصبح المهيمن العسكري والسياسي والاقتصادي الذي لا ينازعه أحد.

لقد نجحت الصين بعدم الدخول في مواجهة غير مرغوب فيها مع الولايات المتحدة، من خلال الإحجام عن تحديها مباشرة، أو تكرار نموذجها لبناء النظام الدولي، أو مضاهاة نشاطها العسكري عالمياً، كذلك التركيز على الدبلوماسية الهادئة، وإصدار التصريحات والوعود المنسّقة بعناية، والتأثير على حلفاء الولايات المتحدة الآسيويين، وتطالب

الصين الولايات المتحدة لكي تبقى «دولة عظمى»، وأن تعزز حضورها دون التقليل من مشاركتها في النظام الدولي الليبرالي، ومضاعفة التزاماتها تجاه الشعوب الفقيرة والقضايا العادلة، وأن تجعل قيادتها مفيدة للجميع بدلا من اعتناق استراتيجية قائمة على مبدأ "أمريكا أولا." !..

الطريق سالك للقطبية الثنائية

الهيمنة الأمريكية المؤقتة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة في طريقها للاختفاء، وإن الطريق أصبح ممهداً أمام عودة عصر القطبية الثنائية.. لكن الانتقال من عصر الأحادية الأمريكية إلى عصر الثنائية القطبية سيشهد اضطرابات ومد وجزر، وربما يكون عنيفاً، حيث سيضع الصعود الصيني الدولة على مسار تصادمي مع الولايات المتحدة حول العديد من المصالح المتضاربة. ففي الوقت الذي تقلل فيه واشنطن ببطء من انخراطها الدبلوماسي والعسكري في الخارج؛ لم يبلور القادة الصينيون خططاً لكيفية استخدام قوتهم لملء الفراغ في القيادة الدولية وتشكيل الروافع المساعدة.

إن عالم الثنائية القطبية القادم سيكون حقبة «السلام القلق» بين القوتين العظميين، لأن كلا منهما تتوخى الحذر إزاء إدارة التوترات قبل تورطها في صراع مباشر، وبدلا من السعي للهيمنة المطلقة من خلال تحالفات متعارضة، ستخوض القوتان منافسات في المجالات التكنولوجية والسيبرانية والاقتصادية.. ويصبح تنامي النفوذ الصيني على الساحة الدولية مرتبط بصورة رئيسية بتخلي الولايات المتحدة عن قيادتها الدولية في عهد الرئيس دونالد ترامب، كذلك بالصعود الاقتصادي للدولة ذاتها، على الرغم من أنه لا يزال غير واضح إذا كانت سياسات الرئيس ترامب التي تقوّض القوة والقيادة الأمريكية للنظام الدولي مجرد نوع من انحراف قصير الأمد عن القواعد التقليدية المؤسسة للسياسة الخارجية الأمريكية، أم أنه توجّه جديد للولايات المتحدة، والذي يمكن أن يدوم بعد انتهاء ولايته؛ فالتداعيات العالمية لسياسة الرئيس الأمريكي هي التي دفعت بعض الدول نحو الصين، ويمكن الاستدلال على ذلك بتحوّل العلاقات الصينية – اليابانية من العداء الخفي إلى التعاون خلال زيارة رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي إلى بكين في تشرين أول 2018، حيث وقّعت الدولتان أكثر من «50» اتفاقية تعاون اقتصادي وتكنولوجي.

خلافاً للنظام الدولي الذي كان سائداً خلال حقبة الحرب الباردة، فإن النظام الثنائي القطبية بين الولايات المتحدة والصين سيتشكل على قاعدة تحالفات حول قضايا محددة أكثر من التكتل على أسس أيديولوجية واضحة، فالقوتين لا ترغبان في بناء أو استمرار شبكة كثيفة ومتنوعة من التحالفات، حيث لا تزال الصين تتجنب تشكيل تحالفات واضحة، بينما تشكو الولايات المتحدة من الحلفاء المنتفعين الذين «يركبون بالمجان" حسب تعبير الرئيس ترامب. لن تكون الثنائية القطبية الأمريكية – الصينية صراعاً وجودياً مدفوعاً بالأيديولوجيا، وإنما منافسة على الأسواق والمزايا التكنولوجية التي ستتجلى بشكل نزاعات حول الأعراف والقواعد التي تحكم التجارة والاستثمار والملكية الفكرية.. وبدلا من التكتلات العسكرية والاقتصادية المعروفة، ستتبنى معظم الدول سياسة خارجية تقوم على الاصطفاف مع الولايات المتحدة في بعض القضايا ومع الصين في أخرى!...

الدولة: شكلها ووظيفتها

حاتم استانبولي– كاتب سياسي فلسطيني/الأردن

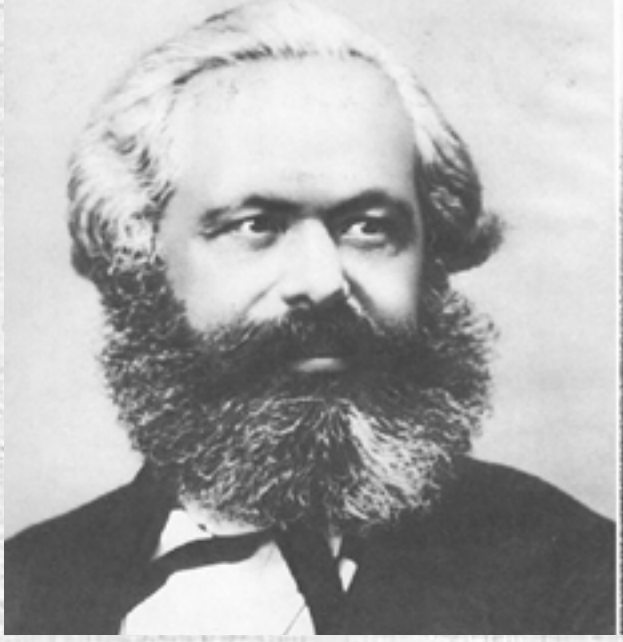

تاريخيًا خضع مفهوم الدولة إلى رؤيتين مثلت الاتجاهين الرئيسيين للفلسفة؛ المفهوم الهيجيلي للدولة، والمفهوم الماركسي للدولة، اللذان عكسا الرؤيتان المثالية لدى هيجل، والمادية لدى ماركس، هاتان الرؤيتان اللتان تعتمدان على الخلفية المعرفية لكل من هيجل وماركس. وفي السياق هذا، فإن مثالية هيجل هي اعتماد الفكرة المجردة (الوعي) كمنطلق للمعرفة، في حين أن مادية ماركس هي النشاط المادي للانسان والتفاعل مع محيطه الاجتماعي والبيئي، من أجل تحقيق الشروط المادية لاستمراره من تأمين حاجياته؛ من طعام وملبس ومسكن، وفي سياق تأمين هذه الحاجيات المادية تتطلب الحاجة لتطوير وسائل إنتاجها وتقسيم العمل، الذي ينعكس في تطور وعي الإنسان، هذا التطور خلص الإنسان من بدائيته، حتى وصل إلى إنساننا المعاصر. أي أن مفهوم الوعي عند ماركس هو انعكاس لتطور الواقع المادي من خلال تفاعل الإنسان معه.

إن أحد أهم المراجع الفلسفية لمفهوم الدولة الرأسمالية وضحه الفيلسوف هيجيل في كتابه: أصول فلسفة الحق، ويتمحور مفهوم الدولة على مبدأ الحرية وملكيتها التي يعتمد تحقيقها على الاستخدام المتبادل بين الأفراد، أي بمعنى إذا أراد أن يحقق الفرد مصلحته عليه استخدام فرد آخر، والفرد الآخر يحقق مصلحته نتيجة استخدامه لفرد آخر.

أما عن المجتمع وتشكله، فيتم من خلال العائلة وتفككها إلى عدة عائلات؛ من خلال الزواج، ويتوسع عبر متتالية عددية، ينتج عنها مجتمع مدني تنتقل فيه الثروة ورأس المال من خلال هذا التوزيع، الذي يتطلب تنظيمًا يحدد حقوق الملكية الخاصة وأهمية حمايتها في نظام (دولة)، و يقوم على بناء فوقي يحقق مصالح رأس المال وحق الملكية العائلية وثرواتها وتوارثها للسلطة التي تعتمد رأس المال وامتلاكه معيارًا للسلطة. أي أن العلاقات بين الأفراد والمجموعات تعتمد على حق حرية الملكية التي تشرع ملكية كل شيء حتى البشر، وهنا يفهم تشريع الرق واستخدامه في عملية الإنتاج الاجتماعي؛ كأداة للإنتاج في مرحلة محددة من التطور الإنساني وقانون حماية الملكية وشرعنة القتل، إذا تم الاعتداء عليها، وأحقية امتلاك السلاح الفردي للدفاع عن الملكية الفردية، هذا القانون الذي ما زال سائدًا في بعض الولايات الامريكية. وحديثًا فإن مصطلح الأمن القومي يعبر عن أحقية الدول القوية في فرض سلطتها على الدول والمجتمعات الفقيرة؛ لخدمة مصالح الدول المتقدمة ورفاهية مجتمعاتها.

انعكس تطور صيغة العلاقات الإنتاجية وتراكم الثروة وتمركزها وترافقها مع الثورة الصناعية ومتطلباتها؛ من مواد خام وأسواق، في تطور خصائص الدولة الرأسمالية التي ترتكز على أساس حرية التملك بالمفهوم الأوسع -الملكية الخاصة- هذا المفهوم الذي يتطلب من الدولة حمايته من خلال سن القوانين التي تحمي الملكية الخاصة وثرواتها، وفي سياق تمركز رأس المال تكتسب الدولة فائضا من للقوة الداخلية التي من خلالها تسعى لفرضها على الدول الأخرى، وهنا فإن الدولة الرأسمالية دائمًا ما تلجأ إلى حل أزماتها الداخلية عبر الحروب الخارجية التي من خلالها تريد تعميم قانونها الخاص ومفاهيمها على الدول الأخرى، وتتعامل مع الدول التابعة على أساس ملكية خاصة لها،

العودة إلى الفهرس

وما نراه من ممارسات وتدخلات وفرض عقوبات اقتصادية على الدول والشعوب والأفراد؛ إلا تعبيرًا عن الجوهر المعرفي لمفهوم الدولة الرأسمالية ودورها. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو دور الدولة القائمة في ظل المرحلة الإمبريالية؟

تحولت الدولة إلى أداة تخدم مصالح الشركات والبنوك التي أصبح لها دورًا أوسع، إلى حد ما مستقلاً عن نظام الدولة التي تحولت وظيفتها من حافظ للأمن المجتمعي وأداة تنفيذية للمصالح العليا للشركات الإمبريالية القابضة ومؤسساتها المالية، وتحمي مصالح الشركات العابرة وتخوض حروبها وتحدد علاقاتها بناء على مصالح الشركات العابرة وأسواقها .

التسارع في التطور الرأسمالي كانت له تاثيرات عميقة على الدول والمجتمعات التي خضعت للاستعمار المباشر، الذي قوض التطور الطبيعي للتشكيلات الاجتماعية وأنتج صيغة الدول والنظم الكمبرادورية في الدول والمجتمعات الفقيرة، ودعمت تحالفا يعتمد أبعادًا مختلفة؛ منها القبلي أو العائلي أو الطائفي، وحاصرت وانقضت على كل محاولات التطور الطبيعي للدولة الوطنية.

فرض التطور في شكل وجوهر الملكية وقائع على شكل العلاقات الرأسمالية في مرحلتها الأعلى؛ الإمبريالية، حيث أصبح لرأس المال المالي دورًا محوريًا في السيطرة على مناحي وسائل الإنتاج وأدواته، ومع الثورة في وسائل الاتصال والتقدم في البرمجة الرقمية والاستثمار فيها (استثمار عامل السرعة الذي يحقق تفوقًا زمنيًا)؛ لتكون أساسًا للتبادل التجاري، واعتماد الصناعة على استخدام الروبوت ليحل محل العامل الغير مؤهل علميًا سيدفع الدول المتقدمة إلى تصعيد المواجهة في مجال التقدم التكنولوجي، ويخلق تحديات جديدة سيلجأ لحلها من خلال الحروب وفرض الخاوات على الدول الغنية التابعة، على سبيل المثال ثمن الحماية لدول الخليج وما نشهده من حرب بين أكبر اقتصاديات العالم الصين وأمريكا هو انعكاس للصراع على السيطرة والنفوذ العالمي، ويكسبها طابعًا أيديولوجيًا؛ بحكم الخلفية المعرفية للنظامين المتصارعين.

ولكن ماذا عن الدول الفقيرة؟

خضعت هذه الدول التي لم تتطور، نتيجة لتطور متطلبات حاجيات المجتمعات وتشكيلاتها الاجتماعية؛ ونتيجة للاستعمار المباشر، لنظم تم تشكيلها من خارج سياق التطور التاريخي، وفرضها الاستعمار المباشر لاخضاعها لسيطرة رأس المال ولفكرة الملكية الخاصة له، وانتقلت ملكية هذه الدول بانتقال قوة مراكز رأس المال.

أصبح الفارق الكبير في التطورِ بينِ الدول والمجتمعات يشكل عاملا معيقًا لإمكانية تطور الدول الفقيرة ومجتمعاتها، ويبقيها خاضعة لشروط الدول المتقدمة التي تراها في إطار الملكية الخاصة لها، ولهذا فإن النظم التي تدير المجتمعات الفقيرة؛ من أجل توظيف إمكانياتها ومواردها الطبيعية لخدمة استمرار وتطور الدول الاستعمارية ورخاء شعوبها، هي نظم تابعة، ودول تخضع لقانون الملكية الخاصة للدول الاستعمارية التي تعتبر أنها تملك هذه النظم والشعوب ومواردها وتخضعها لقوانينها الخاصة وتفرض شروطها عليها.

والولايات المتحدة كدولة هي التعبير الأبرز عن الدولة الرأسمالية في مرحلتها العليا؛ الإمبريالية التي تقدس الملكية الخاصة، فهي تعمل على ثلاث جبهات: الجبهة الأولى: أيديولوجية أعلنها ترمب في الدورة ال 74 للأمم المتحدة، على أن النظم الشيوعية هي الخصم الأبرز والخطر الداهم على الولايات المتحدة.

الجبهة الثانية: هي جبهة الخصوم التي تريد واشنطن اخضاعها لشروطها وللقانون الأمريكي (لخدمة شعار أمريكا أولا)، الذي تريده واشنطن أن يكون معيارًا للعلاقات بين النظم الرأسمالية والصاعدة، وناظمًا لإعادة ترتيب العلاقات بين الدول، بما يهدف لسيطرة تامة ومطلقة على النظام الرأسمالي، وبهذا الصدد فهو يعمل على تشجيع تفتيت التكتلات الاقتصادية الرأسمالية؛ كالاتحاد الأوروبي الذي تراه الإدارة الأمريكية تحديًا وخصمًا تنافسيًا على قيادة النظام الرأسمالي، واتباع سياسة موازية لدعم الاتجاهات الأكثر يمينية في تحالف دول البركس الصاعدة؛ لسحبها من هذا التحالف واجهاضه (البرازيل والهند).

الجبهة الثالثة: تقوم على أساس سياسة مزدوجة اتجاه الدول الضعيفة التابعة بدعم استمرار بقاء النظم الكمبرادورية التابعة من جهة، وزيادة الضغوط؛ من أجل تغيير وإسقاط النظم المتمردة، والتي تريد بناء مجتمعاتها خلافًا للرؤية الرأسمالية الأمريكية.

أما عن دور الدولة في الصين وكوبا وكوريا الشمالية التي تعتمد الخلفية المعرفية الماركسية؛ فإن دور الدولة يعمل على أساس ملكية الدولة لوسائل الإنتاج وأدواته وتقسيم العمل، وتوظف كل إمكانيات الدولة لخدمة المجتمع بكل فئاته، وتقر

مبدأ أن الشركات الخاصة والعامة تعمل لصالح الدولة التي تتحمل الفاتورة التعليمية والصحية، وتعطي الملكية الخاصة حيزًا في إطار ملكية الدولة الأشمل (برجوازية الدولة)، ولكن لا تعتمدها كأساس للبناء الاقتصادي، ودور الدولة يقوم على حل التعارضات الداخلية استنادًا لمصلحة الأكثرية الشعبية.

وتقوم علاقاتها مع الدول الأخرى على أساس الاحترام المتبادل، ولا تفتعل الحروب لحل تعارضاتها إن كانت داخلية أو خارجية، وتلجأ لحلها باعتماد مبدأ المساعدات الإنسانية؛ من خلال مشاريع البناء التي نراها تعمل في إفريقيا والدول التي تطلب مساعدة الصين. إن الخلاف الصيني الأمريكي يعكس التناقض بين مفهومي الدولة لدى هيجل وماركس.

حيث أن مفهوم الدولة الرأسمالية (هيجل)، الذي يرى أن حل التناقضات التي تطرأ داخل إطار الدولة، يحل من خلال الحروب الخارجية غن كانت عسكرية أو اقتصادية، أو حروب بالوكالة عبر القوى الرجعية التي تستخدمها لتقويض وتفتيت المجتمعات؛ لإدخالها في صراع مع ذاتها، وفي الوقت ذاته، تقوم بسرقة معلنة لمدخراتها ومواردها. مقابل المفهوم الماركسي للدولة الذي يرى فيه إنجلز أن (الدولة شيء أنتجه المجتمع في مرحلة معينة، والدولة هي الاعتراف: بأن المجتمع قد أصبح مصابًا بتعارض لا حل له)، أي أن الدولة ضرورة لحل التعارضات الداخلية في المجتمع. كما أشار أيضًا أن (الدولة لم توجد منذ الأزل، بل أصبحت الدولة ضرورية لتقسيم العمل) في كتابه أصل العائلة والملكية الخاصة. وفي الإطار هذا، ظهر شكل ثالث للدولة يجمع بين المفهومين، كما تظهره الدول الاسكندنافية التي تجمع بين شكلي تقسيم العمل الرأسمالي بمضون اجتماعي اشتراكي، يعطي أهمية للبعد الانساني لوظيفة الدولة. هذا الشكل الثالث الذي يعطي أهمية للملكية الخاصة، لكنه في إطار ملكية الدولة التي تعطي أهمية قصوى للقانون، الذي يعكس مصلحة الفرد في إطار المصلحة الجمعية للمجتمع ويقسم العمل ومردوده طبقًا لقانون يحمي الحقوق الديمقراطية الأساسية الإنسانية؛ في حق المأكل والمسكن والتعبير عن الرأي كحقوق مكفولة بالقانون، هذا القانون الذي يعطي حق لكافة القوى الاجتماعية بأن تشارك في السلطة عبر نظام انتخابي يؤمن المشاركة الجمعية في إدارة المجتمع والدولة.

الشكل الرابع، الدولة الاستثنائية (إسرائيل) التي كان إنشائها ضرورة رأسمالية إمبريالية؛ من اجل أن تحقق دورًا في تقويض إمكانيات التطور الديمقراطي في منطقة تكتسب أهمية قصوى للنظام الرأسمالي، وأهمية خاصة لرأس المال (اليهودي) المالي، الذي لعب دورًا في تأسيس المنظومة المالية التي تحولت وظيفة الربا؛ من خاصية يهودية إلى خاصية ربحية عامة، تشكل محورًا لاستمرار ربحيته في نظام مالي بنكي، أعطى مشروعية للربا التي أخذت شكل فوائد تحقق القيمة المضافة، ولكن بدون أن تتحمل عبء قوى الإنتاج ووسائله، وأعطت مدخلاً لتراكم وتمركز رأس المال في إطار المنظومة البنكية التي أصبحت تتحكم في مصائر الدول والشعوب، وارتبطت مصالحها بالمنظومة العالمية لرأس المال، وتعمل على تنفيذ سياساتها، وأصبحت المنظومة البنكية المحلية تحظى بقوة مادية أكبر من قوة الدولة في الدول الفقيرة، وأصبحت وسيلة لإفقار المجتمعات والدول النامية. هذه الدولة الاستثنائية التي أخذت طابع استعماري إحلالي قائم على أساس فكرة رجعية تستخدم الفكرة الدينية كمعيار وناظم لعلاقاتها الداخلية والمحيطة، وهي في الجوهر خطوة رجعية للوراء، في سياق تطور الدولة الحديثة القائمة على أساس العقد الاجتماعي بين القوى الاجتماعية وقواها؛ بغض النظر عن دينها أو جنسها أو لونها أو قوميتها أو اثنيتها.

أما الشكل الخامس للدولة، فهي التي تعاني منها المجتمعات الفقيرة، هذه الصفة التي كان سببها الاستعمار المباشر، الذي أنتج نظمًا سياسية تابعة له؛ ليستمر في نهب ثروات هذه المجتمعات. هذه النظم التابعة التي شكلت عاملاً معيقًا للتطور التاريخي للمجتمعات التي تعاني من حالة الفقر والتخلف، وأدخلتها في صراع بين مكوناتها لتبرير بقاء سلطتها. تلك الدول أخضعها الاستعمار لمنظومة مصالحه القومية، ويقدم لها الحماية طالما هي تخدم مصالحه، ولا تعير أي اهتمام لممارسات نظمها اتجاه مجتمعاتها، وهنا تظهر الازدواجية في معايير القيم الديمقراطية التي تستند إليها النظم الرأسمالية التي (تقدس) نسبيًا؛ قيم الحرية والعدالة لشعوبها، وفي الوقت ذاته، تستخدم هذه المعايير بشكل سياسي لخدمة مصالحها، فتراها تدعم نظم عائلية وقبلية وطائفية للنظم التابعة لها، وبذات الوقت تقوم باستخدام مؤسساتها المالية للسيطرة على المجتمعات؛ من خلال سياسة دعم لإبقاء الدول والمجتمعات الفقيرة في حالة موت سريري، ومن جهة أخرى، تدعم القوى اليمينية الأكثر رجعية في عملية مزدوجة للضغط على حلفائها وتابعيها وتفتيت مجتمعات خصومها.

إن سياسة إغراق الدول التابعة بالمديونية هي سياسة واعية لإبقاء حالة التفتت والتشرذم المجتمعي لمجتمعات لو تركت تتطور بعيدًا عن تدخلات قوى الاستعمار المباشر وغير المباشر، لكان شكل الدولة وطنيًا بامتياز يخدم مصالح مجتمعات المنطقة. إن استمرار شكل الدولة ودور نظمها الكمبرادوري التابع، هو التحدي الأبرز الذي يجب أن تواجهه القوى المجتمعية؛ عبر الخروج من حالة المراوحة والجمود والبقاء على هامش الفعل اليومي، والخروج من المراوحة يتطلب شجاعة ثورية، تعلن إن بقاء المجتمعات أسيرة لقوانين رأس المال ومؤسساته النقدية ومديونيتها التي تخرق مجتمعاتنا بسياستها الاقتصادية التي أدخلت المجتمعات والدول في دوامة عبثية، لا تستطيع الخروج منها؛ إلا عبر عمل جمعي تحقق فيه مصالح المجتمعات التي تربطها مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة، على سبيل المثال (بلاد الشام والعراق) أو مجتمعات شمال إفريقيا (مصر وليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا) التي تحقق وحدتها تكامل اقتصادي وسياسي واجتماعي خروجًا من أزماتها البنيوية التي نشأت نتيجة لسياسات سايكس بيكو.

بالنتيجة؛ على النظم أن تعكس المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشعوبها، لا أن تعكس المجتمعات حاجيات بقاء استمرار النظم الكمبرادورية.

العودة إلى الفهرس

الفقر يهدد نصف سكان العالم بفعل جائحة كورونا

تقرير–خاص بالهدف

ألقى انتشار وباء كورونا (كوفيد – 19) بظلاله على كل سكان العالم، وبالأخص الفقراء منهم، حيث حذرت منظمة «أوكسفام» من أنّ نصف سكان الأرض مهددون بالفقر، وأن تداعيات وباء كوفيد-19 قد تجر نصف مليار شخص إضافي في العالم إلى تحت خط الفقر، إذا لم يتم دعم الدول الأكثر فقرًا.

وفي تقرير أصدرته مؤخرًا بعنوان **«ثمن الكرامة»**؛ أشارت المنظمة العالمية غير الحكومية إلى أنّ «ما بين 6 و8% من سكان العالم قد يلحقون بركب أولئك الذين يعيشون حاليًا تحت خط الفقر، بعدما أوقفت الحكومات دورات اقتصادية بأكملها من أجل احتواء تفشي الفايروس»، مُحذرًا من أنّ «هذا الأمر يمكن أن يعيد مكافحة الفقر على مستوى العالم عشر سنوات إلى الوراء، لا بل ثلاثين سنة في مناطق معينة مثل إفريقيا جنوب الصحراء، الشرق الأوسط وشمال إفريقيا».

وأضاف التقرير أنّ «أكثر من نصف سكان العالم البالغ عددهم 7,8 مليار نسمة، مهددون بأن يصبحوا تحت خط الفقر عند انتهاء هذه الجائحة». ولقد جاء تحذير «أوكسفام» قبيل اجتماعات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ووزراء مالية دول مجموعة العشرين الذي عقد في أبريل الجاري.

فبسبب عدم وجود أنظمة حماية اجتماعية فيها، ستكون الدول الأكثر فقرًا والفئات المحرومة وبينها النساء، الأكثر تضررًا من تداعيات جائحة الفيروس التاجي.

وأوصت «أوكسفام» بمنح مساعدة مالية مباشرة للأشخاص الأكثر تضررًا، وبإعطاء الأولويّة في تقديم الدعم للشركات الصغيرة وربط المساعدات المخصصة للشركات الأكبر بتدابير تصب في مصلحة الفئات الضعيفة. ودعت إلى «إعفاء الدول الأكثر فقرًا من سداد ديونها في مواعيد استحقاقها هذا العام».

وبحسب مسؤول حملة «أوكسفام» في فرنسا روبان غيتار «يمكن لفرنسا أن تقرر من دون إبطاء إعفاء البلدان النامية من سداد ديونها المستحقة لها في العام 2020 لمساعدتها فورًا على التصدي للأزمة».

فقدان أكثر من 195 مليون وظيفة

بحسب تقرير جديد لمنظمة العمل الدولية، فإنه من المتوقع أن يشهد العالم تقليصا في الوظائف لنحو 200 مليون من الموظفين بدوام كامل في الأشهر الثلاثة المقبلة فقط. وأتى تقريرها هذا بعد حوالي ثلاثة أسابيع من توقع المنظمة تعرّض 25 مليون وظيفة للتهديد بسبب كوفيد-19، خاصة بعد فرض إجراءات الإغلاق الكامل أو الجزئي في العديد من الدول، وما حمله ذلك من تأثير على نحو 2,7 مليار عامل، أي 4 من بين كل 5 من القوى العاملة في العالم.

وأضافت «منظمة العمل» أنه بالرغم من أن جميع المناطق في العالم تعاني من الأزمة التي تسبب بها الفيروس، شهدت الدول العربية وأوروبا أسوأ تأثير في مجال التوظيف من ناحية نسبية. وأكبر الخسارات من ناحية الأرقام تتركز في دول آسيا والمحيط الهادئ وهي أكثر المناطق المأهولة بالسكان في العالم.

قبل كورونا: 190 مليون شخص عاطل عن العمل

وفي السياق نفسه، قال غاي رايدر، مدير عام منظمة العمل الدولية، إنه في بداية العام وقبل أن يتفشى كوفيد-19 في العالم، 190 مليون شخص إلتحقوا بصفوف البطالة.

وأضاف أنه مع الصدمة التي أحدثها الفيروس، فمن «الواضح للعيان» أن عالم التوظيف يعاني «من تهاو غير عادي على الإطلاق» بسبب تأثير الجائحة والتدابير المتخذة للتعامل معها.

تقرير

الاستهلاك حتى الموت: كيف يصنع موتنا؟

عرفات الحاج–مسؤول قسم الشؤون العربية والدولية في الهدف

تنحاز هذه المادة لفرضية أساسية تقول بأن الإنسان يعاد تخليقه ليس سلوكيًا فحسب، بل وجسديًا بحسب رغبة واحتياجات السوق، أي أن ما يتحكم في تكويننا الجسدي وطرق عمل جسدنا وأجهزتنا الحيوية هو نمط الحياة الذي نعيشه وطبيعة ما نأكله، وأن الإنسان في ذلك هو عرضة بالأساس لرغبة وإرادة الربح عند أصحاب المال، فالهدف النهائي لهذه العملية أن نستهلك ليس ما نحتاجه، ولكن ما يحقق الربح لكبريات الشركات في هذا العالم، هذا أيضًا ينطبق على ظروف سكننا وأدوات مواصلاتنا، ومشترياتنا اليومية، وحتى تصنيف ما هو ممتع وما هو ممل في حياتنا.

وإذا كان التفشي الهائل لعدوى فيروس كورونا المستجد قد أثار الانتباه إلى حجم التقصير الحكومي في توفير نظم رعاية صحية ملائمة وكافية للشعوب، فإنه أيضًا يشكل فرصة للإشارة لدور نمط الحياة والإنتاج الحالي في صناعة هذا النوع من الفيروسات، ووجود ما يشبه الحتمية التي تؤكد استمرار ظهورها، والأسوأ من ذلك ما تفعله هذه «الحياة»؛ من اضعاف لفرصة أجسادنا وعقولنا في صحة بدنية ونفسية أفضل وفي حياة أقل تعاسة.

والغرض الأساسي هنا ليس تقديم شكوى حول حجم الظلم الذي يتعرض له الغالبية الساحقة من البشر في القرن 21، ولكن تفسير ذلك الترابط الهائل بين كل تفاصيل حياتنا اليومية، وطبيعة القوى المهيمنة في هذا العالم، وكيف قد تتحول الحياة اليومية لاشتباك حقيقي؛ يهدف للنجاة من حقل مميت تحول له هذا العالم.

أولًا: كيف تنتج فيروس مميت بلا علاج؟

هناك اجماع بين العلماء في السنوات الأخيرة حول نقطة أساسية فيما يتعلق بالفيروسات، وهي أن الفيروسات باتت تسبق البشر ببعض الوقت في الصراع لأجل البقاء، وإن كنا لا نتحدث عن كائن حي عاقل، هنا لكن هذه الحقيقة يمكن فهمها إذا نظرنا للسياق الذي أنتج لنا الأزمة الصحية العالمية المتعلقة بفيروس كوفيد ١، أي النسخة المحدثة والمتطورة من فيروس كورونا.

تؤكد معظم الجهات العلمية أن الفيروسات الجديدة ما هي إلا تطورات جينية لفيروسات قديمة، نتيجة لظروف استثنائية وعوامل متداخلة، أبرزها هو نمط تربية الحيوانات في المزارع المكدسة، وتخزينها في الحظائر ونقلها في مستوعبات السفن بين القارات، هذا بجانب الاحتكاك المتبادل بين البشر والحيوانات في هذه المزارع، ما يعني انتقال الفيروس لمرات عدة بين البشر والحيوانات واكتسابه قدرات جديدة واستثنائية تمنحه التفوق على جهاز المناعة البشري، بجانب قدرات أعلى على الانتشار بوسائل جديدة.

ورغم ضراوة الكابوس الحالي الذي تواجهه البشرية مع كوفيد-19، فإن خطورته الرئيسية هي في سرعة انتشاره، أما قدرته على القتل تبقى محدودة نسبيًا قياسًا ببضعة فيروسات أخرى من ذات عائلته، وعليه، فإن السؤال الذي يطرح نفسه وتناولته بعض الفرضيات المنشورة، ماذا لو اجتمعت قدرة كوفيد-19 على نقل العدوى بنطاق واسع، مع قدرة سارس أو إيبولا على القتل والفتك بالجسد البشري ؟ فمثلا قتل فيروس سارس ثلث من أصابهم، فيما يقتل كورونا 2 بالمئة ممن يصيبهم.

تأخر البشرية في إنتاج اللقاح اللازم لهذه الفيروسات سببه واضح، وبات متداول بالفعل وهو ضعف الانفاق الحكومي على تكريس الموارد لأجل تطوير الأبحاث والجهود الخاصة بإنتاج اللقاحات ضد الفيروسات؛ فالمنظومات والحكومات تفضل أن تنفق أموالها على إنتاج السلاح وشن الحروب. ومع ذلك، يجب علينا أن نفهم أن حصة الفايروسات حتى الآن وكوفيد 19 من قتل البشر تبقى يسيرة قياسًا بما يفعلونه بأنفسهم ومحيطهم.

ثانيًا: كيف نموت؟

يموت 10 مليون إنسان تقريبًا بسبب الجوع بشكل مباشر؛ بينهم 6 مليون طفل سنويًا، فيما تموت ملايين أخرى لأسباب غير مباشرة بسبب الجوع، ومنذ بداية هذا العام مات حوالي 3 مليون إنسان بسبب الجوع، فيما أهدرت أكثر من 400 مليون طن من المواد الغذائية حتى الآن، فيما أصيب حوالي 700 ألف إنسان بأمراض التخمة والسمنة منذ بداية العام.

من مجموع البشر الذين يعيشون في هذا العالم هناك 1.9 مليون إنسان مصابين بالسمنة، وهذا بالطبع ليس سببه الثروة الزائدة، ولكن الاعتماد المتزايد على الأطعمة السريعة والمصنعة رخيصة الثمن والغنية بالكربوهيدرات والزيوت المهدرجة والسكريات، المفضية لسلسلة لا منتهية من أمراض القلب والضغط والأوعية الدموية والسكري التي تقتل حوالي 17.5 مليون إنسان سنويًا.

من جانبها تقول منظمة الصحة العالمية أن 16% من المتوفين يموتون بسبب السرطان، وتقر المنظمة أن توفر نمط من الحياة الصحية، مع رعاية صحية جيدة، كفيل بخفض نسبة الوفيات هذه إلى النصف، فيما تشير معظم الدراسات الطبية لعشرة من أكثر الأطعمة تصنيعًا واستهلاكًا في العالم كمصادر للإصابة بالسرطان، الزيوت المكررة، البطاطس المقلية، المشروبات الغازية، اللحوم المصنعة، السكريات المكررة، الأطعمة المصنعة للحمية، هذا بجانب كل تلك التأثيرات المسرطنة الناتجة عن استخدام الأسمدة والمبيدات على

العودة إلى الفهرس

المزروعات، وتلوث البحار والمحيطات والأنهار الذي يحيل الأسماك أيضًا لمواد مسرطنة.

حيال أسباب الموت، ما تفعله المنظومة الرأسمالية هو تغذيتها والاستثمار فيها، ومحاولة جني المزيد من الربح منها، وهنا لا نتحدث عن مؤامرة سرية تحاك في الليل، ولكن عن طبيعة اقتصاد السوق وما ينتجه وما يفعله، فهذا الموت ما هو إلا نتاج لحياتنا اليومية.

بحسب الأرقام المتداولة، فإن حوالي 70% من الوفيات بهذا الكوكب هي لأسباب مباشرة ذات صلة بنظامنا الغذائي، أي لها علاقة بما نتناوله، أو بما يجبرنا النظام القائم على تناوله يوميًا، فيما تتكفل الحروب والشيخوخة وحوادث السير والفايروسات وبعض الأمراض الأخرى بالبقية.

ثالثًا: ما الذي نأكله؟

نحن نأكل في عصرنا الحالي وبشكل أساسي الخبز والماكرونة وغيرها من منتجات القمح، والأرز والبطاطا كمصادر أساسية للكربوهيدرات التي تشكل مورد طاقة سهل لجسم الإنسان، لكن هذا ليس القمح أو الأرز الذي تناوله أسلافنا بكميات أقل بالطبع، بل بضعة سلالات من القمح أو الأرز والبطاطا، التي أنتخبها المنتجين ووافقت عليها إدارات الحبوب والغذاء بحسب مواصفات تخدم مصالحهم، منها صمود المحصول وسهولة زراعته وجنيه وتخزينه ونقله، ولم يكن بينها جودته لأجسادنا، وهذه الأنواع المختارة تعرضت بدورها لسلسلة طويلة من عمليات الهندسة الوراثية، بما يضمن تلبيتها للأغراض سابقة الذكر.

وإذا ما قررنا تجاهل الآثار السرطانية وغيرها لعمليات الهندسة والانتقاء هذه، لن نستطيع تجاهل دور هذه الكربوهيدرات السهلة كوصفة لسلسلة من الأمراض لتحولها السريع لسكريات ودهون مميتة؛ تتراكم في الجسد البشري، وتنتج أمراض السكري وضغط الدم والقلب.

في مثال آخر من قائمة الأغذية هناك اللحم، الذي يتم تقديمه إعلانيًا كغذاء مفضل، وكنوع من المعيار الطبقي الذي يعكس ثروة أصحابه، فقد جرى رفع استهلاك الفرد البشري للحم في دول العالم الأول بمعدلات قياسية منذ مطلع القرن العشرين، وبات معدل استهلاك اللحوم من الفرد في الولايات المتحدة حوالي 100 كيلوجرام من اللحوم سنويًا، وفي دول الاتحاد الأوروبي حوالي 70 كيلوجرام سنويًا، ولمد مساحة استهلاك اللحم لأوسع مساحة ممكنة من البشر -وزيادة المبيعات بالتأكيد- يتم اتباع أنماط في الإنتاج الحيواني وإدارة مزارع الماشية، القائمة على التكديس والهندسة الوراثية، كفيلة بتحويل اللحم الذي يصلنا إلى وجبات قاتلة بالمدى الزمني المتوسط والطويل، ناهيك عن دور هذه المزارع في إنتاج سلسلة الأوبئة التي نعلمها حاليًا؛ كوفيد 19 كان أحدثها فقد سبقه السارس، وانفلونزا الخنازير، وجنون البقر، وانفلونزا الدجاج وغيرها.

هذا ينطبق أيضًا على الفواكه والخضار المعرضة للأسمدة والمبيدات والهرمونات وعمليات التعديل الوراثي، أما البطاطا فيكفي أن نذكر أن هناك 5000 نوع آخر من البطاطا في بلد مثل بيرو منها 250 نوع شائع ومتوافر في الأسواق هناك.

الخلاصة مما سبق أن الفرد البشري لا يحدد ما الذي يأكله، بل تحدده له منظومة السوق ومنتجي الأطعمة وشركات التسويق والإعلان، فنحن نختار من بين تلك الأطعمة الموجودة على رفوف السوبرماركت والمحلات، بناء على توجيه مكثف من الإعلانات التي تغزو حواسنا في كل لحظة. وذلك يتم وفق حاجات الربح لدى هذه الشركات، وينعكس بدوره على جودة المنتج وطبيعته، والهدف دائمًا هو زيادة الإنتاج لزيادة الأرباح؛ فالغالبية الساحقة من المنتجات الغذائية تتعرض إلى تعديلات جينية وهندسة وراثية، وتدخلات بالهرمونات في الأسمدة والأعلاف وغيرها.

أما البدائل التي توصف بأنها صحية، فهي باهظة الثمن، ناهيك عن شكوك كبيرة تعتري مصداقية وصفها بالصحية.

ثالثا: سنقتل أي فرصة قادمة لحياتكم ما يدحض نظريات المؤامرة و يستبعدها من هذا النص كتفسير لسلوك المنظومة الرأسمالية العالمية، هو أن حقيقتها المعلنة الفجة هي أسوأ بكثير من أي مؤامرة قد ننسبها لها؛ النفط الذي انهارت أسعاره مؤخرًا لحدود صفرية وسالبة، سينتهي وجوده من هذا الكوكب خلال 40 عام من الآن، فيما تسابقت الشركات الرأسمالية على زيادة استخراجه واستهلاكه خلال العقدين الأخيرين، والهام هنا حقًا ليس سعر النفط، ولكن إدراك أن هذا المنتج لا يتم استخراجه بسبب حاجة ملحة له لتشغيل القطاعات الإنتاجية التي تقدم ما تحتاجه البشرية، ولكن فقط بغرض تحقيق الربح من بيع المنتج، فهذا هو منطق السوق والربح.

فخلال الأسابيع الماضية منذ بداية الأزمة لا زالت معظم المصانع المسؤولة عن إنتاج ما يحتاجه البشر تعمل بطاقتها الإنتاجية الكاملة، بل وتعمل مصانع ومنشآت أخرى لإنتاج الكماليات، ومع ذلك انخفضت الاحتياجات للنفط بنسبة هائلة؛ أدت لهذا التقلص في الطلب، الذي أدى بدوره لانهيار أسعار النفط الأمريكي، والذي سيطال أيضًا نفط الخليج العربي وغيره.

هذا أيضًا حال الفحم والغاز الطبيعي الذي ينتظر نضوبه في مدى زمني مقارب، فهذه الأرقام ليست إلا تعبيرًا عن نسبة الإنتاج الزائد عن تلبية الحاجة البشرية الحقيقية، أي نسب الاستهلاك الزائد.

فبنفس الطريقة التي يتم التعامل فيها مع الجسد البشري، كوعاء للاستهلاك يتم التعامل مع الموارد الطبيعية على الأرض باعتبارها أداة لتحقيق ربح سريع، من خلال ضخها في السوق بأقصى سرعة ممكنة والبحث عن غيرها لإفنائها بالطريقة ذاتها.

خلاصة عن المستقبل

ما ينتظرنا هو موجات عدة من العدوى الفيروسية ستأتينا بأنواع متعددة، إلى أن تتمكن البشرية من تعديل ميزان الصراع مع الفايروسات، وهو ما يتطلب البدء بتحولات كبرى في أنماط الإنتاج، وستقاتل الشركات الكبرى بضراوة لمنع حدوثها؛ كونها ستكبدها خسائر بتريليونات الدولارات، كما هو حال الإنفاق الهائل الضروري المطلوب للقطاع الصحي وموازنات الأبحاث.

الاختبار الأول اقتصاديًا هو في كيفية التعامل مع التبعات المالية للأزمة، وقد بدأت معظم الحكومات في التعامل معه بطريقتها المعتادة، تعويض الشركات الكبرى عن خسائرها بواسطة أموال دافعي الضرائب، فيما يترك ملايين جدد من الناس للانضمام لمعسكر البطالة والفقر وسوء التغذية والجوع المميت.

ورغم أن لدعوات التكاتف الإنساني والوطني وجاهتها؛ إلا أن الاتجاه العام يؤكد أن هذا التكاتف يقصد به الصمت على الجريمة المتواصلة، وعلى الجرائم المقبلة الأكثر بشاعة، جرائم التجويع التي ستصاحبها سلطة الخوف التي تسعى الحكومات لتعزيزها، فحتى وإن كانت النظريات حول أن الفايروس الحالي هو سلاح بيولوجي مُصنّع غير دقيقة، فإن هناك من يستخدمه فعليًا كسلاح بيولوجي؛ من حيث تأثيره الاقتصادي والاجتماعي على مليارات من البشر ستهدد حياتهم أكثر.

فنزويلا في الذكرى ١٨ لانقلاب ١١ أبريل ٢٠٠١
ماذا بقي من الثورة؟

اسحاق أبو الوليد–كاتب سياسي فلسطيني/فنزويلا

عندما أعاد الشعب الفنزويلي الذي زحف إلى القصر الجمهوري بالملايين، بالتحالف مع القوات المسلحة من جنود وضباط وجنرالات وخاصة من الحرس الجمهوري، الرئيس هوغو رفائيل شافيز إلى الحكم فرّ الانقلابين الفاشيين مذعورين لا يدرون كيف وإلى أين يهربون؛ لأن الشعب عاد وبسرعة مذهلة سيدًا، مغلقا ومطوقا لكافة المنافذ، فسقطت كافة قيادات الانقلابين العسكرية والمدنية في قبضة القوات المسلحه البوليفارية، الموالية للوطن والدستور والرئيس شافيز!

عاد الرئيس «المخلوع» بعد 48 ساعة (يعتبر أقصر انقلاب في التاريخ)، وقبل أن يذهب إلى منزله لتبديل ملابسه توجه إلى الشعب حاملا صليبًا صغيرًا بيده، كمؤشر على نواياه التسامحية، ضد الانقلابين الفاشيين الذين وضعوا حياته تحت الأخطار القصوى؛ لإدراكه بأن ميزان القوى الخارجي ليس في صالحه، رغم اختلالها داخليًا لصالح قوى التغيير والثورة التي انتقلت للهجوم المضاد، مما دفع بالقوى الرجعية إلى أن تشدد من هجومها الأخير، وبكل ما كان لديها من إمكانيات، حيث عطلوا ونهبوا وحطموا كافة المعدات الالكترونية التي يعتمد عليها الإنتاج النفطي، استخراجًا وتكريرًا، مما أدى إلى تعطيل الإنتاج نهائيًا (صفر إنتاج)، وغرقت البلاد في اضرابات وأعمال تخريب وشغب لأكثر من 6 أشهر؛ أظهر فيه الشعب الفنزويلي أرقى درجات التحمل الثوري والاستعداد للدفاع عن الوطن والثورة، توجت بالانتصار الساحق على الأعداء الداخليين، مما دفع بأسيادهم الإمبرياليين وخاصة في واشنطن، إلى تأجيل خططهم العدوانية وانتظار الفرص حينًا، ومحاولة ايجادها أحيانًا للإطاحه بحكم البوليفاريين والتخلص من الرئيس شافيز، الذي أعلن أنه ألد أعداء المصالح القومية الأمريكية، ويشكل خطرًا وتهديدًا للأمن القومي والاستقرار في القارة بأكملها.

هذا الهجوم الانقلابي المبكر على الثورة البوليفارية، جاء بسبب اقتناع كافة أطراف معسكر الأعداء أن لهذه الثورة عمق استراتيجي جغرافي (كوبا)، وفكري اشتراكي يتجه بشكل متسارع نحو مزيد من العلمية والماركسية، وبرنامج سياسي تمثل بإقرار قانون الأرض، وقانون العمل، وقانون الصيد، لهذا ترافق الهجوم على فنزويلا بالهجوم العميق على كوبا؛ الخميرة الثورية لشعوب أمريكا اللاتينية، واتهامها إنها تريد إقامة نظام شبيه بالنظام الكوبي «نظام شيوعي، توليتاري لا ديموقراطي، وسيؤمم المنازل والسيارات، وسيضع يده على الاطفال لتربتهم تربية شيوعية في كوبا»، وغيرها من الدعايات المضللة؛ بهدف سلخ الجماهير، وخاصة الشرائح البرجوازيه الصغيرة والمتوسطة والفئات المنتجة عن الثوره، لعرقلة البناء وتعميق الأزمات الموروثة عن المجتمع والنظام الرأسمالي التابع إن أهم"والمتخلف ما قبل الثوره.

درس تعلمته من الانقلاب الفاشي أن لا مساومة مع اليمين والقوى المعادية للثورة، وأي مساومة معهم حتمًا ستكون ضد الثوره وبرنامجها، وإنه يجب عليَّ تعميق أهداف الثورة وتحديد استراتيجتها بالانتقال إلى بناء الاشتراكية؛ اشتراكية القرن الواحد والعشرين، النابعة من ظروفنا واسلوب معيشتنا، أي اشتراكيتنا نحن». هذا الانتقال بالثورة خطوة إلى الأمام ترافق مع السيطرة الكاملة على شركة النفط الوطنية، مصدر الدخل الوطني شبه الوحيد والممول الرئيسي لبرامج التنمية الزراعية والصناعية، وتأميم الأراضي وتوزيعها على الفلاحين وتقديم القروض لهم، هذه الإجراءات مهدت لبناء الأسس الاقتصادية والتنظيمية الهيكلية لإرساء قواعد التحولات البنيوية والمؤسساتية باتجاه

العودة إلى الفهرس

الاشتراكية، مما عزز الدعم الشعبي للرئيس شافيز وحكمه، الذي بدا يتوطد عمليًا منذ بداية العام 2004، حتى رحيله في 6 آذار عام 2013، أعاد خلال هذه الفترة بناء المؤسسة العسكرية والأجهزة الاستخبارية والبولسية والإدارية؛ لضمان ولائها للمصالح العليا للأمة، وشرع في بناء «مؤسسات الدولة الجديدة» التي قال عنها إنها «أصعب وأكبر تحدي للثورة»؛ لان الثوره تتقدم وتتعمق بقدر ما تتخلص من العوائق الموضعية والبنيوية للدولة البرجوازيه القديمة.

رحل القائد المؤسس هغو شافيز مبكرًا (هنالك دلائل على اغتياله بالسرطان، والموضوع قيد البحث رسميًا)، وفي خضم وأهم وأصعب المعارك؛ بكاه الشعب بمرارة ويتذكر أيام حكمه مع رحيل هذا القائد بشوق وحسرة. العظيم، فَعّلت ونَشطت من جديد المخطات الإمبريالية التي تم تجميدها بعد فشل الانقلاب الدموي في 11 نيسان عام 2002، من أجل السيطرة على فنزويلا التي تحتوي على أهم وأكبر الكميات من المواد الخام المعدنية والنفطية والغاز وأراضي زراعية شاسعة تحتاجها الإمبريالية الأمريكية لحل أزماتها الاقتصادية، واستعادة قوتها عالميًا، مما أجج الصراع الطبقي والقومي الذي ما زال محتدمًا، وفي أخطر مراحله بين شعب فنزويلا وأعدائه الخارجيين والمحليين، في واقع أزمة داخلية مالية - اقتصاديه - نفطية (لا يوجد بنزين وسولار) وإدارية وأخلاقية، محفوفة بالمخاطر، وتهدد الإنجازات التي تحققت في عهد الرئيس الراحل شافيز، وإنهاء المشروع الثوري برمته، وإعادة البلاد للترنح تحت السيطرة الإمبريالية، وخاصة الأمريكية.

إن المخططات الإمبريالية والصهيونية والرجعية، لا يمكن لها لن تنجح رغم قوتها وسطوتها إن لم تجد مرتكزات داخلية، وقوى محلية طبقية تساعدها على تمرير مخططاتها وتحقيق أهدافها، في سبيل تحقيق مصالح ذاتية أنانية على حساب المصلحة الوطنية، وهذا الدور تقوم به الطبقة البرجوازية المحلية بشقيها؛ القديمة التي خسرت السلطة والامتيازات بسبب الثورة البوليفارية، وهي برجوازية مرتبطة وتابعة، تعتمد في استمراريتها على علاقتها بالرأسمال الأجنبي وعمالتها له بوعي كامل، وتقاتل بكل قواها ضد الفكر التقدمي والاشتراكي وتنفذ ما يمليه علها العدو.

أما البرجوازية «الجديدة» التي تكونت في احشاء عملية التغيير والثورة البوليفارية منذ عهد الرئيس الراحل شافيز، استطاعت أن تنموا وأن تعزز وجودها في السلطة، وأن تشارك في اتخاذ القرارات، وما يميز هذه الشريحة عن الشرائح القديمه؛ إنها تتكون من عسكريين ورجال أمن وإداريين ومسؤوليين في الدوله، بالإضافة لمواطنين مستثمرين محليين وأجانب، ويتماشى خطابها السياسي مع الخطاب العام للبوليفاريين، بل تدعي أنها بوليفارية؛ ترفض الاشتراكيه وهذا طبيعي جدًا، وتحاول أن تعيد الأمور إلى ما كانت عليه في عهد الجمهورية الرابعة، أي قبل مجيء البوليفاريين للسلطة، ولكن بقيادتها هذه تدفع باتجاه المصالحة مع ما يسمى بالمعارضة البرجوازية المعتدلة والديمقراطية، وهذه الأخيرة التقطت ضرورات اللحظة التاريخية وموازين القوى القائمة واستطاعت ان تسيطر على رئاسة الجمعية الوطنية وإسقاط غوان غوايدو، المعيّن من الإدارة الأمريكية «كرئيس انتقالي» لفنزويلا، من رئاستها بدعم وأصوات النواب البوليفاريين في الجمعية الوطنية ذات الأغلبيه اليمينية.

بلا شك أن الإمبريالية، وخاصة إدارة ترامب، تراقب عن كثب التطورات التي تجري بشكل متسارع في الساحة الفنزويلية، وما تحدثه العقوبات ويعبث به الفساد الداخلي، وخاصة في الحقل الاقتصادي، حيث تم تحرير الأسعار ودولرتها ورفع الدعم عن السلع الأساسية، وتم إنهاء القيود على التعامل بالدولار والعملات الصعبة الأخرى والسماح بتداولها في العمليات التجارية المحلية إلى جانب البوليفر (العملة الوطنية)، ورفع أسعار الخدمات التي تقدمها الدولة، والتي كانت شبه مجانية إلى مستوى أسعار السوق، هذه الإجراءات تم اتخاذها تحت ضغط الحصار المالي والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها الإدارات الأمريكية السابقة، وشددتها بشكل سافر إدارة ترامب، وراكمت أرباح هائلة للرأسمال المحلي، وألقت بثقل الأزمة على كاهل العمال والشغيلة والفلاحين الفقراء وبعض شرائح البرجوازيه الصغيره، أي على كاهل الكتلة الشعبية التي يرتكز عليه البوليفاريين ويستمدون منها قوتهم وشرعية ومبرر وجودهم، مما استنزف معظم إنجازات الثورة التي حققها الرئيس الراحل شافيز في المرحلة الممتدة من العام 2004 إلى العام 2012، فرغم ما رافقها من أخطاء وفساد وصفها الرئيس الراحل شافيز بالعهد الذهبي.

نعم، يبدو أن المرحلة الحالية من عملية التغيير والثورة البوليفارية وصلت إلى نهاياتها، وها هي تتراكم من جديد عوامل الأزمة الثورية التي تتطلب الانتقال إلى مرحله أعلى من البناء باتجاه الاشتراكية، تشارك فيها الجماهير الشعبيه بشكل فعَّال وبقياده ثورية طبقية جديدة؛ من خلال جبهة وطنية ثورية يسارية، وهذا ما دعى إليه ويعمل على تحقيقه الحزب الشيوعي الفنزويلي مع الحزب الاشتراكي الفنزويلي الموحد، وإذا تعذر ذلك، فليكن مع منظمات ثورية اجتماعية وأحزاب سياسية، تناضل لتحقيق نفس الأهداف والبرامج. إذا تحقق هذا الشرط؛ سيُغلق الباب أمام البرجوازية بشقيها وقوى اليمين الرجعي وأسياده الإمبرياليين، وخاصة في البيت الأبيض، للعودة إلى سدة الحكم والسلطة؛ غير ذلك تبقى كافة الاحتمالات لإنهاء حكم البوليفاريين قائمة، ونحن نعيش في عصر الفايروس كوفيد 19 المفتوح على مصراعيه.

سباق التفاهة

هشام عبد ربه– كاتب سياسي–فلسطين

من الطبيعي في سباق التفاهة أن يكون التافه الأكبر هو الفائز، لكن ما ليس طبيعيا أن يظل خطاب التفاهة يحظى بالرواج؛ لا لشيء سوى لأن بعضهم يريد أن يبحث عن مكانة بأسهل الطرق وأقلها كلفة، وهي العوم على مشاعر الناس الصادقة النبيلة التي ذاقت الويل من الاحتلال الوحشي والبشع، حيث لا يختلف أحدنا على ذلك، ولكن الخلاف في تشويه صورة النضال والقضية بخطاب الكره والتفاهة، الذي افتتح مزاده العلني أحمد سعيد منذ نصف قرن بـ شعار "هنيئا لك يا سمك البحر»، ليعود علينا بعضهم « بهنيئا لك يا كرورونا."...

إن بشاعة الاحتلال ووحشيته لن تجعلنا نتخلى عن أخلاقنا، ولن يكون القتلة الصهاينة المتوحشين قدوة أو مثال لنا أو محددا لسلوكنا.. فنحن أحفاد صلاح الدين الذي أرسل طبيبه الخاص ليعالج ريتشارد قلب الأسد، ليس حبًا في الاحتلال ولا غرامًا بريتشارد؛ نحن لا نكره الحياة، بل نحبها، ونحن لن نخون آلامنا وضحايانا ولا تاريخنا ولا حاضرنا الملىء بأخلاق الفروسية والنبالة. العداوة شرف وأخلاق، وليس خسة ونذالة ولطم عجائز ومشاعر الكره للعجزة ومريضي النفس وسقيمي الروح.. نحن مع الإنسانية، ولن نخون إنسانيتنا، فنحن أعدل قضية إنسانية وأخلاقية بالوجود؛ لن نسمح بتشويهها بالتطبيل لفيروس حتى على أعداءنا... لن نترك فايروسا يخوض معركتنا أو نترك مصدر قوتنا الأساسية»أخلاقنا» تسقط منا، متمسكين بإيماننا بإنسانيتنا وعدالة قضيتنا، وسنترك «هنيئا لك ياكورونا» للعجزة، وهنيئًا لهم ببطولة الكره. أما نحن فقدوتنا الآلاف أمثال ثائر حماد وجمال قبلان، وكل أبطالنا الذين اقتدروا، ولكن أخلاقهم لم تسمح لهم بقتل طفل وامرأة.. لهؤلاء ترفع القبعات وبهم نفخر ونرفع رؤوسنا عاليًا.

لم تكن أمريكيا مع الهنود، ولا فرنسا بالجزائر، ولا بلجيكا بالكونغو، ولا إيطاليا بليبيا، ولا إسبانيا بأمريكيا الجنوبية، ولا بريطانيا هي وكل تلك الحضارة اللا أخلاقية البائسة أقل وحشية من الاحتلال الصهيوني.. كما لا يمكنك أن تكون إنسانيًا هنا، ولا تكون إنسانيا هناك؛ القيم والأخلاق لا تقبل القسمة.

إن جوهر معركتنا مع تلك الرأسمالية المتوحشة وأذنابها ومسوخها بكل بقاع الأرض؛ معركة جوهرها إنساني وأخلاقي.. ولا يجب أن نحيد عن ذلك. أما من يفترض أنه ممكن أن يكون إنسانًا في بيته ومسخ خارجه، فهو واهم، أو كاذب، أو مزاود، أو بالأحرى تافه.. أما إذا كانت قضيتنا هي مسابقة كره، فاعتقد أن شعبان عبد الرحيم "شعبله" يكون هو بطل العالم العربي في هذه الحالة، مع إنني متيقن أنه لا يعرف أين توجد إسرائيل، كما لا يعرف أن الحشيش أخطر من السجاير، وأن عمرو موسى ومبارك لا يفرقون كثيرًا عن اسرائيل. رحم الله شوقي اذ قال "إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا".

العودة إلى الفهرس

عن الاشتراكية والرأسمالية

لعل كثيرون ذهبوا إلى أن ما خلّفته جائحة كورونا على المستوى العالمي، وخاصة في الدول الرأسمالية التي أدماها الفايروس، وضرب العديد من مفاصلها ومقوماتها، وترك آثارًا كبيرة لن تشفى منها بسهولة؛ ولا شك، إنها فتحت المجال واسعًا لطرح أسئلة حول جدارة هذه الدول ونظمها الحاكمة وأولوياتها، والمجالات التي ركزت عليها منذ صعود «النيوليبرالية» في أوائل ثمانينيات القرن المنصرم، واندفاعتها القوية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي «كنموذج» للنظام الاشتراكي، أو هكذا كان يوصف، ووصلت هذه الاندفاعة إلى التغول على الحقوق الأساسية للبشر: الأكل والشرب والصحة والثروات بالطبع التي كدست في جيوب القلة منهم، على حساب ليس الشعوب المستلبة والمصادرة ثرواتها فحسب، بل وعلى أغلبية شعوب هذه الدول التي تركت لتلاقي مصيرها بمفردها في مواجهة فايروس كورونا، في تعبير فج عن طبيعة وبنية ومضمون هذه النظم الرأسمالية/النيوليبرالية.

من المبكر التكهن أو التنبؤ، إلى أين سيؤول مصير هذا النظام في ظل أزمته الحالية وعجزه الفاضح في مواجهة «الفايروس الخفي»؛ وإن كانت ستجعله غير مطاق وقابل للانفجار من داخله، والتحول بخبطة قاضية نحو الاشتراكية، بمعنى أن تفرض الاشتراكية نفسها كقوة طبيعية في حال تخطي الرأسمالية!

في نقاش مسألة الرأسمالية والاشتراكية، كان قد ذهب المفكر الراحل سمير أمين إلى قول: إما الثورة أو الانحطاط.. حيث قصد بالثورة، تلك العملية التاريخية التي لا تستبعد الأشكال التطورية الجذرية، ويترجم فيها الإدراك الواعي لأهداف التحول بواسطة القوى الاجتماعية التي تقود المعركة ضد هذه النظم. وعلى نقيض ذلك، وفي غياب التدخل للوعي الأيديولوجي والإرادة السياسية اللذين يحددان مشروعًا اجتماعيًا جديدًا وجذريًا، فإن التحول لن يتقدم؛ إلا عشوائيًا وضبابيًا، مما يؤدي في أغلب الأحيان إلى أن تجدد هذه النظم الرأسمالية ذاتها، وبوحشية أكبر وانحطاط أكثر.

إن التحول إلى الاشتراكية، لا يمكن أن «يقوده» عنا فايروس خفي، لا أيديولوجيا أو سياسة أو حامل اجتماعي أو هدف له، سوى إصابة وقتل من يغزوه؛ فالأولوية في ذلك هي لنضال الشعوب المنظم والموحد على طريق هزيمة النظام الرأسمالي الإمبريالي المعولم، وتشييد مداميك اشتراكية إنسانية قوية.

الشاعر محمود قرني لـ"الهدف":

قصيدتي ضد الساسة ورجال الدين وكهنة رأس المال

المحاور: حسين البدري–روائي وصحفي مصري/القاهرة

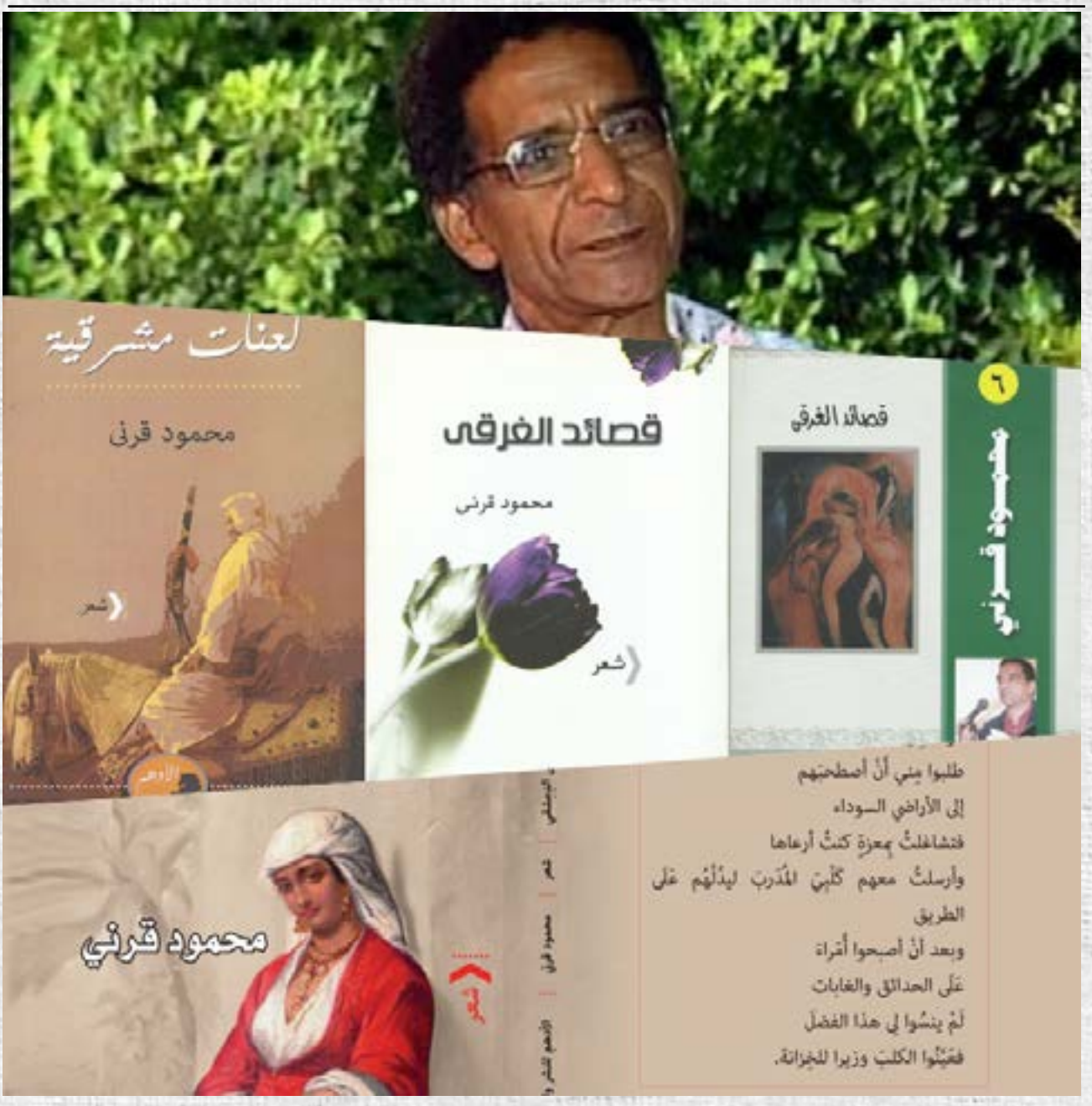

الشاعر محمود قرني، من مواليد مدينة الفيوم1961، حاصل على درجة ليسانس في القانون، من جامعة القاهرة 1985، عمل بالمحاماة والصحافة. شارك في العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية، ومنها: مهرجان أصوات المتوسط بفرنسا، مهرجان جرش، مهرجان الشعر العربي الثالث بالمغرب، وأسبوع الثقافة المصرية بالكويت.

.نشر عشرات المقالات حول الشعر، والسياسة، والرواية، والنقد الأدبي، والفنون التشكيلية

صدر له العديد من الدواوين الشعرية، منها: حمامات الإنشاد، خيول علي قطيفة البيت، طرق طيبة للحفاة، أوقات مثالية لمحبة الأعداء، قصائد الغرقي، لعنات مشرقية.

العودة إلى الفهرس

يكتسب الحوار مع الشاعر المصري الكبير محمود قرني أهمية خاصة، في زمن تتراجع الشعرية العربية، فيما يُشرق هو بقصيدته الفاتنة في فضاء يبدو معاديًا للابداع والتجديد، صاحب مشروع بارز من ضمن أهم الأصوات في مصر المعاصرة، محيلا قارئه إلى بشار بن برد والمتنبي وامرؤ القيس والطغرائي وغيرهم من كبار شعراء العربية، وفي الوقت نفسه، بوشكين ومالارميه وجون كيتس، في انفتاح عميق الأثر على النص الإنساني بالكامل.

صاحب "لعنات مشرقية" موسوعي الثقافة في التراثين العربي والعالمي، يبدو مثل ناسك فرعوني نحيل الجسد، تحمل قسمات وجهه السمراء تاريخ طويل من مطاردة الشعر الجديد ومقارعة الاستبداد، وعدم التساهل مع تردي الثقافة الرسمية ومفارقة، لدرجة العداء، الخطابية والغنائية التي طبعت تجارب الكثير من الشعراء، لذا تكفي مطالعة ديوان واحد لـ محمود قرني، لكي تتيقن أن الشعر العربي، مهما عانى، بخير.

"الهدف" حاورت الشاعر المصري البارز في القاهرة، الذي ختم حديثه الحافل بالإحالات المعرفية شرقًا وغربًا، بتساؤل عميق المغزى عن ما يفعله المثقف، لا سيما الخائن لقضيته، أمام ضلالات إسرائيل؟ منافحًا عن الفكر اليساري ببسالة المؤمنين الأوائل بالرسالات الكبرى، وعن التراث العربي كابن بار بأسلافه القدامى العملاقة، فإلى نص الحوار.

- بعد عشرة دواوين وكتابين نظريين ومسيرة شعرية لافتة.. كيف يقيم محمود قرني مشروعه في سياق القصيدة العربية؟

ربما كان الأقرب إلى الملاءمة تجاه سؤال كهذا أن يتحدث الشاعر عن طموحه فيما لم يتحقق وهو كثير؛ وليس فيما حققه بالفعل وهو ربما أقل القليل. كثيرون من الشعراء يعتبرون ماضيهم إرثا مشينًا أملاً في حاضر أكثر نضجًا، لكن هذا الحاضر للأسف لا يأتي، لقد رحل كثيرون من كبار شعراء العالم وهم يعتقدون على نحو جازم أنهم لم يقولوا كلمتهم بعد، فالشعر في النهاية فن تاريخي يمثل الذاكرة الأسطورية للشعوب من ثم فإن أمثولاته وحكمته وقدرته على التجدد غير قابلة للنفاد، بهذا المعنى حاولت أن أكون مخلصًا لمشاعري ومعتقداتي، وحاولت التعلم طالما وسعني ذلك.

الشعر طبعًا، ومهما قلنا، سيظل صاحب

وظيفة أخلاقية بمعنى ما، ومع ذلك فهو فعل احتجاجي كما يقول ماركيوز؛ حيث يرى أن معارضة الشعر للاضطهاد هى مقياس التفرقة بين الفن الصحيح والفن الزائف، فتاريخ البشرية هو تاريخ الاضطهاد والعسف لذلك يجب على الشعر أن يكون قوسًا لكسر هذا الاغتراب. وقد حاولت في كل ما كتبت تقريباً أن تكون قصيدتي فكرة ضد النظام، أقصد النظام بمعناه القسري، الذي بنى هيراركية تاريخية سلبت البشر حقهم في العدل والحرية وخلق سادة على جثث الحمقى ممن صدقوا الساسة ورجال الدين وكهنة رأس المال.

- يرى البعض أن قصيدة النثر صنعت حاجزًا بين الشعر والقارئ العربي، بالإضافة إلى أنها ما زالت تواجه بالرفض من شعراء كبار.. كيف ترد؟

لا أفهم كيف لنص تميزه اللغة التداولية والوقائعية ويعاني من بساطته ويخلق، في الوقت نفسه، حاجزًا بينه وبين القارئ العربي، أظن أن المشكلة تتأتى من اغتراب تلك الشعرية إذا ما وضعناها أمام تقاليد الشعرية العربية في المدونة الكلاسيكية، فثمة مسافة كبيرة تفصل بين جماليات الحديث والقديم، وهو أمر يحتاج الكثير من الدربة لكي يدخل المدونة الشعرية العربية، وقد ساهم الشعراء أنفسهم في تعزيز هذا الاغتراب عبر المجانية والاستخفاف ومحدودية المعرفة بتاريخ الشعر؛ فقصيدة النثر لا يجب أن تكون مطية لمن فشل في أن يكون شاعرًا بالأساس، أو مطية لكل من فشل في تعلم قواعد العروض الشعري، ففكرة الحرية فيها لا تعني حرية التراكم الكمي الذي لا يغني ولا يثمن.

قصيدة النثر صعبة للغاية؛ لأنها تواجه امتحانًا صعبًا إذا ما وضعناها أمام التراث الشعري العربي بكل فخامته وهيبته. شعرنا القديم شعر عظيم وقد ترك لنا شعراء أكثر أهمية من شعراء عالميين نصدح بأسمائهم ليل نهار، ومن ثم فلن يتنازل قارئ الشعر عن تلك الجماليات لقاء بعض الأوراق التي تكتظ بالخواطر لدى عشرات الشعراء الذين نطالعهم، لذلك فإن شاعر تلك القصيدة مجبر على أن يكون صاحب اقتراح جمالي يستطيع الإجابة على أسئلة زمنه، وعلى سبيل المثال إذا تحدثنا عن غياب عنصر الغنائية عن قصيدة النثر، وهو عنصر مهم جدًا في الشعرية لا بد أن نبرر للقارئ لماذا أخذت قصيدة النثر مسافة من الغنائية؟ سنجد أن هذا النص في منابته الأصلية صعد مؤازرًا للطبقة العاملة التي تقلل من شأن البنية الغنائية للبرجوازية، وكان هذا سببًا كافيًا للسخرية من فكرة الإنشاد والاستلاب التي كانت تختلسها الشعريات القديمة، والتي لم تختلف في أحيان كثيرة عن عظات الأحد ولا عن إنشاد الموالد.

الشعر مع قصيدة النثر يخاطر بمستقبله لذلك عليه إخضاع اللغة لمتطلباته الجديدة ومن ثم كان على مفهوم الشعر نفسه لدى هؤلاء الشعراء أن يتغير، أعرف أن اكتشاف قصيدة النثر أمر صعب حين يكون على الشاعر أن يقتنصها من تلك الاعتيادية والألفة، فأي قوة على الشاعر أن يمتلكها كي ينجح في فعل ذلك؟ لذلك ربما يصدق هنا قول سوزان برنار: إن قصيدة النثر تبدو قصيدة ضد نفسها؛ لأنها تبدو تعريفاً مستحيلاً للشعر إذا ما وضعناها أمام فن النظم صاحب التقاليد الباذخة.

- كيف ترى مراحل التطور والتجديد في قصيدة النثر العربية ومساهمة جيلكم -جيل الثمانينيات- في ذلك؟

أستطيع القول أنني ظللت أسيرًا للشعرية العربية التقليدية لوقت ليس قصيرًا، شأن معظم أبناء الجيل الذي أنتمي إليه، كانت علاقتي بالتراث العربي جيدة بدرجة مقبولة، لذلك كنت أتحسس الخطى عندما ضاقت بي الشعرية التقليدية، وبعد أن أنجزت ديواني الأول "خيول على قطيفة البيت» وهو من شعر التفعيلة، شعرت باختناق من هذا الشكل، لكن كثيرًا مما كان موجودًا في تراث قصيدة النثر لم يكن يمثل إجابة شافية على هذا القلق، وأظن أن شعرية قصيدة النثر اختلفت بشكل كبير لدى الأجيال الجديدة، بداية

من اليسار الروائي عزت القمحاوي، الشاعر محمود قرني، الشاعر أمجد ناصر، الشاعر فتحي عبدالله

من جيل الثمانينيات، لأنها في رأيي لم تكن تحولات مفتعلة، ولم تقصد بحال الكيد للمتن، بل كانت استجابة لتحولات فكرية وسياسية عميقة في العالم، فكما شهد القرن الثامن عشر تحولا في المفاهيم الجامدة حول فكرةٍ الشكل، فإن القرن العشرين شهد تحولاً أكبر على مستوى الشكل والمضمون معًا، فالفوضى والاستئثار والسلطوية التي أدير بها العالم بعد سقوط القطبية لم تجعل لفكرة الفنِ البديهي بمحسناته المباشرة مكانًا يذكر، وبات كأنهِ سخرية من قارئ لا يكاد يفهم شيئًا من مغنيين يرتدون ثياب الشعراء، هذه الأزمة جعلت من الفن منطقة خلق إرادي وواعٍ، لأن الشاعر كان مطالبًا بدخول مناطق محرمة ومجهولة، ولعلك ستجد أصداء ذلك لدى الشعراء المؤثرين في قصيدة النثر. لقد وصف شعراء كبار بالهذيان والجنون والغرابة؛ مثل بيرتران ومالارميه ورامبو، رغم أنهم لم يكونوا إلا جوَّابي آفاق لم يسبقهم إليها أحد.

لذلك كان الشعر محتاجًا إلى أن يسترد المعنى الشعري على حساب الإصاتة والجلجلة، ولكي يحدث ذلك كان على الشعر أن يقترب أكثر من النثر حتى لو احتفظ ببعض غنائيته، وقد كان لفيكتور هوجو مقولة مأثورة: "لقد ألقيت بالشعر السامي إلى كلاب النثر السوداء". لقد دخل جيلي إلى حقول قصيدة النثر تحت تأثيرات من هذا النوع، كل حسب قناعاته وخبراته، وقد أسفر المشهد عن أسماء شديدة الأهمية والتأثير منها؛ إبراهيم داوود، فتحي عبد الله، علي منصور، فاطمة قنديل، غادة نبيل، علاء خالد وآخرون ربما لا تسعفني الذاكرة بالتوقف عند منجزهم.

- تذخر قصائدك بإحالات إلى التراث العربي وتبدو مهتما في دواوينك الأخيرة بمحاكمة الاستعمار الكولونيالي.. هل ترى أن الثقافة العربية استطاعت أن تتخلص من سلطة الثقافة الأوروبية وتنتج خطابًا عربيًا حداثيًا يفهم الواقع؟

التراث العربي يقف رأسًا برأس إلى جوار أكبر التراثات الإنسانية، وشعراؤه لا يقلون أهمية، بأي حال، عن كبار الشعراء في تاريخ الشعر العالمي، ولا أبالغ إذا قلت إن بعضهم يتجاوز شعراء ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس، وفي كثير من الحالات أجدني مدفوعًا للتعبير عن تلك العلاقة بشكل غير مقصود، لكنه يستهدف، بشكل ما، أن تكون القصيدة تعبيرًا فطريًا عن الجماعة البشرية التي تنطق بلغتها، أعني أن الثقافة الروحية هنا والمرتبطة بالمكان غالبًا، تلعب دورًا مؤثرًا في هذا السياق.

الشعراء الذين تقبلوا فكرة تخفيض حضور الرموز المحلية في نصوصهم، باعتقاد أن النص كلما فعل ذلك اقترب من العالمية، يبدون وكأنهم خلعوا سراويلهم في ميادين تكتظ بالبشر بينما يعتقدون أنهم يفعلون ذلك في خلوات مغلقة، ولا أظن موقفي من الكولونيالية بعيد عن هذا التصور، فقد تعرضت الثقافة العربية لخطر سيطرة النمط الذي تفرضه الثقافة المهيمنة، وهي ثقافة الغالب ما يضطر المغلوبين إلى التكيف معها، ولا أشك في أن نتائج العولمة هى نفسها نتائج الاستعمار.

- كيف أثرت هزيمة المشروع النهضوي العربي على تراجع الشعر خاصة أن الشعر كان من أهم الروافع المعرفية لفكرة القومية في الستينيات؟

تجليات الخصوصية الثقافية للقومية العربية كانت أول القيم التي تبددت مع تبدد المشروع القومي، وليس الشعر وحده. الشعر لم يفشل بالطبع، لكنه ذهب إلى مخابئ الفردية والذوات المغلقة.

كانت الهزيمة قاسية وكانت ردة بعض الشعراء مخيفة، لا سيما من تحدثوا تحت شعارات تقدمية وهم نماذج صفيقة للرجعية، لقد كانت النهضة العربية حلمًا اجتمعت حوله إرادات شتى مستهدفة تجديد مناعتها الحضارية، لكن الفشل أنعش أحلام أنظمة الحكم الطوطمية المتخلفة والرجعية، فظلت تمثيلا لأحط أشكال العبودية وأكثرها قسوة، ومن ثم بقيت بين أعلى تمثيلات الهزيمة، فالدولة التي حلم بها زكي الأرسوزي وجمال عبد الناصر وميشيل عفلق

العودة إلى الفهرس

فقدت بريقها وجاذبيتها لدى قطاعات عريضة من الحالمين بها، بعد تصدع المشروع القومي الذي ارتبط بمشروع التحديث عبر أكثر نماذجه طليعية، ومنذ صيف السابع والستين تعززت لدى عامة العرب قبل خاصتهم فكرة وصول الصراع إلى منتهاه، حيث انتصار ما بعد الكولونيالية في صيغتها الجديدة، ومن ثم كان لا بد من إعادة إنتاج الحلفاء القدامى من قادة الرجعية العربية، لكي يتقدموا سطح المشهد لإعادة الحيوية إلى فضائه الموحش، وهكذا حلّ نموذج الدولة الرجعية الذي سرعان ما أعاد إنتاج الأبوية والطوطمية، لتتعزز في النهاية تلك التصورات الاستشراقية القديمة حول دوجمائية ورجعية الفكر الإسلامي عامة والعربي على نحو خاص. وقد عمدت الأنظمة فاقدة الشعبية، بطبيعة تكويناتها المعادية لشعوبها، إلى تعزيز بقائها عبر تكريس أدوات التجهيل بالمزيد من تقديس الماضي ومن ثم إضفاء المزيد من الرواقية على الناطقين به، عبر تعزيز مكانتهم ووجاهتهم الاجتماعية، ولا أظن أن الشعر كان منفصلاً عن مشهد الانهيار الكبير الذي لا زلنا نعايش كابوسيته.

– لماذا يشعر القارئ العربي أحيانًا أن بعض شعراء قصيدة النثر العربية هم ظلال لكبار شعراء الغرب؟

كلامك صحيح؛ فهناك تجارب كبيرة في قصيدة النثر وقعت تحت وطأة المؤثرات الغربية التي هى مصدر النص نفسه، وأعتقد أن كثيرين من شعراء الأجيال الجديدة تأثروا بتلك التجارب كما تأثروا أيضًا بالنص المترجم، لكن ثمة شعراء حاولوا أن يستنبتوا قصيدة النثر في التربة العربية، لكن تلك المحاولات تحتاج إلى نقدية نشطة وفاعلة قادرة على التقييم.

وقد ورثنا جميعًا تراثًا مهمًا وثقيلاً في الوقت نفسه من جماعات تاريخية سبقتنا إلى تلك المغامرة، سواء كانت جماعة "الفن والحرية" المصرية التي صدر بيانها "الفن المنحط» عام 1938، جماعة شعر في لبنان، وكركوك في العراق، ورغم أهمية ما قدمته لنا تلك الجماعات إلا أنها جميعًا كانت على عداء ما مع تراثها لدرجة دفعت محمد الماغوط "أحد أعضاء جماعة شعر» إلى أن يصف أعضاءها بقوله: «إذا ما نطقت باسم المتنبي في وجه أحدهم سقط مغشيًا عليه"! كما وصفت مجلة فرنسية، في قول هازل، بيان "الفن المنحط" لجماعة الفن والحرية بأنه "انتفاضة الشرق دفاعًا عن قيم الغرب»، وهو قول لا يمكن تقدير مساحة الجد فيه من الهزل. البيان لا شك كان انتصارًا لقيم التجديد في الفن والأدب ضد النظم "الأوتوقراطية» التي تعزز المخاوف حول الهويات الوطنية، وقد بدا ذلك في التضامن مع طليعة الفن الغربي "إيلوار، كاندينسكي، ماكس أرنست، بول كلي وغيرهم» ضد الفاشية الأوروبية، لا سيما في ألمانيا وإيطاليا، ولعل المواجهة التي خاضها الشاعر جورج حنين أحد أبرز أعضاء الجماعة مع مؤسس المستقبلية الإيطالية "فيليبو مارينيتي" بعد تحالف جماعته مع "موسيليني" تعد واحدة من أعلى تعبيرات رفض "حنين» وجماعته لتحالفات الحرب وصراعات الكولونيالية ونزعات رأس المال في السيطرة على المزيد من المستعمرات وتشريد المزيد من البشر.

وفي كل الأحوال فقد مثلت تلك الجماعات أكبر ثورة ممكنة على متن راكد تم الاجتراء عليه فيما بعد من الأجيال اللاحقة.

– هل كانت الرواية بديلاً للشعر بسبب حاجة الجماهير واختيارها أم أن السبب كان تغير أنماط الإنتاج والاستهلاك؟

لا أخفي عليك أن كثيرين من شعراء العالم تعاملوا مع الشعر في العقود الأخيرة باعتباره خسر معركته أمام الرواية، الشعر طبعًا أعطية الرعوية والفطرة الأولى فيما الرواية أعطية العصر الصناعي، وبالتالي بدت الأكثر ملاءمة. الساردون الجدد احتلوا موقع الشعراء، فهم قادرون على التسرية عن ساكنى المخيمات والملاجيء وقتلى الحرب وملايين العمال أمام الماكينات، الساردون الجدد قادرون على صناعة المشاهد الساحرة وتخفيض حالة التشيوء التي تبدو لدى الساسة مقدمة لاضطرابات عظمى لا بد من السيطرة على اعتمالها مبكرًا وقبل الأوان، ربما لذلك بدا الساردون الجدد الأقدر على تبادل المواقع مع السلطة والقيام ببعض مهامها، أما الشاعر فساخط عظيم على كل هذا، والمجتمع نفسه ينظر بسخط شديد إلى كل خلق جديد ومختلف، لكن السارد كما أنه أكثر واقعية هو أيضًا الأكثر رومانسية؛ لأنه كما يقول ياكبسون: ذلك الرجل الذي يقسم أن الوجود ليس به نساء دميمات.

لقد سب المتنبي الزمن لأنه جعل منه شاعرًا، وكان شديد الضجر بتلك المهمة، ربما لذلك كان واحدًا من بين أقل الشعراء العرب إنتاجًا، وليس غريبًا أن يعيد تساؤله أبو الفوارس التميمي عندما يقول: "إلامَ يراك المجد في زي شاعر / وقد نحلَتْ شوقا فروع المنابر».

. لماذا استقلت من «بيت الشعر المصري»؟ وكيف تقيم أداء المؤسسة الثقافية الرسمية بشكل عام؟

عندما قبلت عضوية أول مجلس أمناء لبيت الشعر المصري كان ذلك على إثر النجاح الساحق الذي حققه الملتقى الأول لقصيدة النثر في مطلع العام 2009، والذي انعقد في نقابة الصحفيين برعاية الأستاذ علاء ثابت رئيس تحرير جريدة الأهرام حاليًا، ورئيس اللجنة الثقافية بالنقابة وقتذاك.

الملتقى كان صناعة أبرز شعراء الجيل، وأذكر منهم الشعراء والشاعرات فتحي عبد الله، إبراهيم داوود، غادة نبيل، ولينا الطيبي وآخرون وأخريات ربما لا تسعفني الذاكرة بسرد أسمائهم. ربما استهدف الاختيار أشياء أخرى غير الشعر، لكنني قبلت العضوية في النهاية لصالح الشعر، والحقيقة أنني قضيت وقتًا طيبًا على مدار سبعة أشهر تقريبًا قبل استقالتي، الأجواء بطبيعة الحال لم تكن في صالح الشعر الجديد، لكنني استطعت انتزاع بعض المكاسب المقبولة، وجرى فرض قصيدة النثر فرضًا، بل كرست لها ندوة مستقلة؛ غير أن سبب الاستقالة المباشر ارتبط بلحظة حاسمة كان يجب فيها على مجلس الأمناء أن يختار، طبقًا للائحة، مرشحيه لجوائز الدولة، ومع بداية الاجتماع المقرر لذلك فوجئت بالشاعر الراحل فاروق شوشة يطرح أسماء أعضاء اللجنة أنفسهم للترشح: الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي لجائزة مبارك وقتها «النيل حاليًا"، الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة للجائزة التقديرية، والشاعر محمد سليمان لجائزة التفوق. أبديت تحفظًا مباشرًا أقلق الجميع وأثار غضبهم، وكان التحفظ لا يتعلق بقيمة مَن طرحت أسمائهم، فقد أشرت إلى استحقاق كل منهم لما هو أكبر من الجائزة، لكن ليس من الملائم أن

يكون مجلس الأمناء خصمًا وحكمًا في الوقت نفسه، وعندما اشتط غضب بعض الأعضاء اقترحت استقالة من يرغب في الترشح من عضوية المجلس حتى نرفع الحرج عن بقية الأعضاء وعن مجلس الأمناء كله. انتهى الاجتماع الغاضب بعد دقائق ولم يعلن اتخاذ أية قرار، لكن ما حدث بعد أيام هو ترشيح ذات الأسماء كيفا اتفق أصحاب المصلحة، فما كان مني إلا أن استقلت غير نادم.

أما المؤسسة الثقافية فهى لا تستحق مجرد الذكر؛ الثقافة المصرية، بفضل الفاسدين من قصار القامة والقيمة ممن يشغلون أبرز مواقعها، استطاعوا أن يختصروا مفهوم الثقافة من كونه أعلى تعبيرات العقل المصري الذي أسس عصر النهضة إلى كونه واحدًا من تعبيرات جماعات المصالح والشلل والبلطجية، والمثقف الحقيقي عاكف على مشروعه في بيته، أما هذا الزبد فسوف يذهب مع قاذورات النهر.

- ديوانك الأخير «ترنيمة إلى أسماء بنت عيسى الدمشقي» مهدى إلى الشاعر الفلسطيني خيري منصور والأردني عاشق فلسطين أمجد ناصر.. كيف تقيّم مساهمة الشعر في مسيرة الثورة الفلسطينية بوجود أسماء مثل معين بسيسو وسميح القاسم ومحمود درويش وغيرهم؟

يقول موشي دايان: "إن قصيدة يكتبها شاعر مقاوم تعادل عنده عشرين فدائيًا"، ولا يستطيع المرء أن يتبين موقعًا للخوف في قلب جنرال كهذا من قصيدة شعرية؛ إلا إذا كان يتعامل مع الشعر باعتباره قيمة تعبوية حسب المصطلح العسكري، وربما هذا ما أدى بالدولة العبرية، في النهاية، إلى أن تعتقل تقريبًا كل شعراء فلسطين؛ فقد مُنع محمود درويش من قول الشعر وهو في المدرسة الابتدائية، كما مُنع عبد الرحيم محمود بذات الطريقة وسُجن أكثر من خمس مرات متتالية (استشهد في معركة الشجرة عام 1948)، وقد حدث الأمر نفسه وإن بصور مختلفة مع توفيق زياد، سميح القاسم، وفدوي وإبراهيم طوقان، وربما كانت أعلى تعبيرات هذا العسف تظل مجسدة في اغتيال الصهيونية لغسان كنفاني، الذي عوقب قلمه الأعزل بعربة مفخخة.

ما لا يدركه الجنرال دايان أن النص المقاوم لم يكن سلاحًا فحسب، بل هو سياج حول الهوية المجرحة المهددة بالزوال في مواجهة قوة استئصالية كان قَسَمُهَا ولا زال مقتطع من نص المزمور 137 / 5 / 6: "إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني".

الشاعر المقاوم ليس شرطًا أن يكون حكيمًا في السياسة، يكفيه أن انتماءاته ليست حزبية، وحسبما يقول ستيفن سبندر: يظل الشاعر منتميًا فقط لحزب الحياة، من هنا تظل قضية الشاعر أكبر من مواقفه العقائدية أو الأيديولوجية التي حصره فيها النقد وحاول الجمهور استدراجه إليها لتزكية نزعات تقلص من قيمة قضيته المركزية التي هى قضية استعادة الأرض غير منقوصة.

- انضممت إلى تنظيمات وحلقات شيوعية ثم ابتعدت.. لماذا؟ وهل تعتقد أن الإيديولوجية الماركسية هُزمت بشكل كامل؟

الماركسية لا يمكن أن تُهزم، قد تكون انهارت سياساتها نتيجة أخطاء الممارسة الدوجمائية وغياب التطور، فضلاً عن الحرب البشعة التي تعرضت لها من الرأسمالية؛ فالماركسية واحدة من أكثر الأفكار الأخلاقية بريقًا، هى حالة رسولية شديدة الطوباوية، ستجد دائمًا مناصرين يرتقون بها مرتقى عقائديًا.

الماركسية أنشودة إنسانية من أجل العدالة الأرضية المفقودة، شأنها في ذلك شأن الأديان الكبرى التي جاءت لتحرر الإنسان من نير الظلم، لكنها وقعت في فخاخ الفقهاء والكهنة، ومشكلة الماركسية في كهنتها أيضًا، لكن هذه الوضعية غير قابلة للاستمرار لأنها ضد طبيعة الأشياء، وقد عايشت بشكل شخصي العمل السياسي مع جماعات الاشتراكيين الثوريين، وبكل أسف كانت الخلافات العقائدية جزءًا أساسيًا من هزيمة تلك التيارات الصغيرة، وكانت تحالفاتهم السياسية مسرفة في سوء التقدير، لدرجة تدفعهم على سبيل المثال للتحالف مع إرهاب الإخوان المسلمين، فقط لأنهم ضد السلطة القائمة. هذا التحالف كان يمكن فهمه قبل ثورة يناير 2011، لكن بعد أن كشف هذا الفصيل الرجعي عن ممارسات تمييزية وإقصائية ودموية كان لا بد من إعادة النظر في تلك التحالفات، والنتيجة طبعًا تراها في حجم حضور هذا التيار في الواقع.

ما فعلته لم يكن أكثر من تعبير شعري عن تلك الأزمة، وهو مسلك شعراء كثيرين عملوا بالسياسة، وأذكر هنا مثالاً، أنه في العام 1942 استقال الشاعر والناقد الإنجليزي ستيفن سبندر من الحزب الشيوعي البريطاني، وأصدر عقب استقالته كتابًا مهمًا "الحياة والشعر"، كشف فيه عدوًا قديمًا جديدًا للشعر ألا وهو السياسة، ويروي أنه عندما استوقفه قيادي على باب الحزب ليسأله عن سبب استقالته رد عليه بمثل شعبي بريطاني يقول: "خُلق السبت للإنسان، ولم يخلق الإنسان للسبت"، وكان يعني "خلق النظام السياسي ليخدم الإنسان، ولم يخلق الإنسان ليخدم النظام السياسي".

العودة إلى الفهرس

كان الموقف في جملته راجعًا لذلك الامتهان الذي تعامل به ساسة صغار وكبار مع سبندر كشاعر، حيث اعتبروه مجرد واحد من جنود الشيوعية الستالينية، وكان سخف ما يراه يدفعه للتساؤل: لماذا تجري الأمور على هذا النحو بينما يمكنها أن تجري على نحو آخر ؟ إن أصل الأشياء ألا تتعارض الأنظمة الاجتماعية مع الأسئلة التي يوجهها الشاعر للحياة، ويبدو أن هذا هو التصور الوحيد الممكن لجعل الشاعر حيًا وقادرًا على تأمل أسئلة الموت والميلاد والوجود جملة. من هنا يرى سبندر أن الشعرية لا يمكنها أن تكون حزبية اللهم إلا بمعنى أن تتحول الحياة نفسها إلى حزب!

– من وجهة نظرك كيف يواجه الفلسطينيون والعرب «صفقة القرن»؟ ومع تسارع وتيرة التطبيع ومساعي تصفية القضية.. ما هو دور المثقف العربي في هذه الحالة؟

صفقة القرن ماتت قبل أن تولد، وردود الفعل التي صدرت عن بعض الحكام العرب بجعل الباب مواربًا أمام إعادة الطرح على الرأي العام لم تلق قبولاً في الشارع العربي، لذلك لم يتجاسر أحدهم على الإعلان صراحة عن قبول الصفقة ولا حتى النفخ فيها إعلاميًا، فهي في حقيقتها تمثيل لأعلى صفاقات القرن وليس صفقاته.

مشكلة القوة الأوروأمريكية إدراكها أن إسرائيل ستظل تعبيرًا مبتسرًا ضمن بيت من الشعر كتبه "ابن المجاور" عن ضياع القدس على أيدي الصليبيين، حيث يقول متحسرًا: "أسَعِّرُ نار وجْدك كلما خبت بأذكار يبعث الحسرات". مفارقة التاريخ أن هذا البيت أكبر من "دولة إسرائيل" بأكثر من عشرة قرون، لذلك الكيان الاستئصالي يأتي على رأس الأسباب التي تدفعه للتعامل بعدائية مقززة مع الكتل الحضارية القديمة في العالم، وهى كتل كانت وستظل تمثل إشكالية كبرى أمام تلك الكتل المستحدثة التي تمتلك المال والقوة، لكن ليس بإمكانها أن تشتري لنفسها تاريخا. وإذا كانت القيمة الحضارية للتاريخ الإنساني، تعني تشكل منظومة من القيّم المعرفية التي تعمل ضد الهمجية، فإن "إسرائيل" تبدو تقريبًا القوة الوحيدة الباقية من تاريخ الهمجية، لذلك لا يمكن قراءة مواقف القوى الكبرى في العالم من قضية فلسطين برمتها، وعلى رأسها الولايات المتحدة، إلا باعتبارها حديقة خلفية لفرض مشاريع الاستشراق الجديد الذي يستكمل أجندته بتعضيد الصراع الحضاري على تلك الأسس العقائدية التي انحطت وسائلها بشكل لم يشهد له التاريخ مثالا. فما الذي سيفعله المثقف، لا سيما إذا كان خائنًا لقضيته، أمام كل هذه الضلالات ؟!

كوفيد-١٩
أو.. عطسة القيامة في الميترو

محمود قرني

بشارع «هامرسميث»
أسير بصحبة زجاجة محلول
ومسحة من الحلْق
متوجهًا مِن جريدتي إلىَ المَشْفَى
أكاد أتجمدُ وسط بعض الأوجاع والمشاغل
العمال وحدهم يسيرون إلى أعمالهم
وأضواء البورصة عَلَى الجانبين
ثمة حديث عن أن العمال سينتفضون في قابل الأيام
لكن شيئًا لم يحدث
البورصة لا تنطفيء أضواؤها
بالأمس كانت مؤشرات البيع مذهلة
وثمة حديثٌ عن أن رجلاً
اشترى نصف الكرة الجنوبي
لقاء امرأة سمراء فارعة
أحبها ذات يوم «وليم فوكنر»
وثمة حديث آخر عن أن نصف الكرة الشمالي
سيبيعه الساسة الجدد لقاء جبال منَ الماس في آسيا الوسطى
لكنهم الآن يعملون على تطهير العالم
من الأساطير التي خلّفها « بيدبا» الفيلسوف
الناس تبدو كحمْلان منكسرة
وأنا لازلت أمضي في طريقي
لا أحد يسألني
لماذا لمْ أمكث في منزلي
لا أحد يسألني عن زجاجات المحلول بين يديّ
لا أحد يسألني لماذا لا ترتدي قناعا
وأنا لا أعرف لماذا اشتريتُ كل هذه المؤن
رغم أنني أعيش بمفردي في مقر الجريدة الوحيدة التي تتحدث العربية
في المشفى قال الطبيب: افتح فمك
ثم غمغم بشيء لم أفهمه
وأمرني بالانصراف
أنا الآن بالجريدة
كلفني رئيس التحرير بأن أكتب موضوعًا عن «أرنولد توينبي» ونهاية التاريخ
قلت له إن هذا الرجل كتب في التاريخ وليس في نهاية التاريخ
فلم يهتم
حرارتي عالية
لكنني أيضًا لا أهتم
وأقول غدًا ستطفئها ثلوج لندن
حلقي متورم لكنني لا أهتم
وأقول سأضيع الورم ببيضة ساخنة
صدري ضيق لكنني لا أهتم
وأقول سأستنشق بختين من موسع الشعب
عائلتي بعيدة جدًا
وأنا لا أستطيع العودة إلى بلادي
لكنني لا أهتم
وأقول: وما الفرق بين الموت هنا والموت هناك؟!
كل ما في الأمر أنني ربما لا أجد
هنا من سيلقنني الشهادتين
لكنني لا أهتم
وأقول لا حاجة لي بهما
فقد نطقت بهما مرات ومرات

بديل الليبرالية الجديدة المعولمة

من وجهة نظر سمير أمين

رامي مراد– باحث في قضايا التنمية /فلسطين

ما تحتاجه الشعوب اليوم هو مشروعات مجتمعية وطنية أو إقليمية مترابطة في إطار هياكل عولمة مقننة، ومتفق عليها تضمن تكاملا نسبيًا فيما بينها، وتحقق تقدمًا متزامنًا ومتوازيًا في ثلاث اتجاهات كما يرى سمير أمين:

أولا، التقدم الاجتماعي: وهذا يقتضي تقدم الاقتصاد (التجديدات التقنية، ارتفاع الإنتاجية، والتوسع للاسواق)، يواكبه بالضرورة تقدم اجتماعي يخدم الجميع (بضمان الحق في العمل، والاندماج الاجتماعي، والتقليل من التفاوت الطبقي).

ثانيًا، دمقرطة المجتمع: بوصفها عملية دائمة، وليس مجرد وصفة أو مخطط جاهز وثابت لا يتغير، والديمقراطية تتطلب التوسع في مجالات تطبيقها لتشمل الإدارة الاقتصادية والإجتماعية والسياسية للمجتمع.

ثالثا، التأكيد على الطبيعة المتمركزة على الذات، للمشروعات المجتمعية للتنمية الاقتصادية، والاجتماعية، وبالتالي بناء أشكال من العولمة تسمح بذلك.

وبالضرورة فإن الطابع المتمركز على الذات للتنمية لا يستبعد الانفتاح (شرط بقائه تحت السيطرة)، ولا المشاركة في العولمة في إطار الاعتماد المتبادل المتفق عليه، ولكنه يفهم هذه المشاركة في إطار يؤدي إلى التقليل من التفاوت في الثروة والسلطة بين الأمم والأقاليم.

يقوم المشروع المجتمعي لليبرالية الجديدة على أساس التضحية بالتقدم الاجتماعي في سبيل الربحية المالية، بما يزيد من خضوع العمال والأمم أيضًا للمنطق الوحيد للسوق، الذي يراكم فائض القيمة ويعزز الربحية المالية لأصحاب رؤوس الأموال، وهذا يجعل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي بلا أي مضمون حقيقي.

كما أن هذا الخضوع سيؤدي إلى إعادة إنتاج وتعميق التفاوت بين الأمم والأقاليم، هذا يعني من وجهة نظر سمير أمين: (أن الاحتكارات والتي تسمى مزايا نسبية، والتي تتمتع بها القلة المحتكرة في المراكز المسيطرة لا تقتصر على الصناعية، وإنما في أشكال جديدة من السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية).

وهنا لا بد من طرح السؤال الأكثر أهمية: كيف يمكن في مواجهة وحدة استراتيجيات القلة المحتكرة والسلطات السياسية التي تخدمها إقامة استراتيجية مضادة لخدمة الشعوب وتقاوم الخضوع وتعمل على بلورة بديل اشتراكي حقيقي يعبر عن مصالح الشعوب ؟

وهنا تجدر الإشارة الى ما كتبه سمير أمين: (الحركات الاجتماعية التي ستبلور مشروع الاشتراكية الحقيقية موجودة فعلا ويتقوى وجودها وتحركها في كل مكان في عالمنا المعاصر، يجري التعبير عنها بواسطة الطبقات والصراع بينها، وحركات النضال من أجل الديمقراطية ،ومن أجل حقوق المرأة وحقوق الفلاحين، ومن أجل احترام البيئة، والانضمام بنشاط إلى هذه الحركات يعمل على بلورة البديل الذي سيغير العالم، ولكن هذا التغيير يقتضي أن تتعلم هذه الحركات أن ترتفع تدريجيًا من مرحلة الدفاع الى الهجوم، ومن حالة التفتت إلى التجمع في إطار التعددية، وأن تصبح الفاعل الحاسم في مشروعات مجتمعية خلاقة وفاعلة، من أجل بناء استراتيجيات سياسية لصالح المواطنة).

الشعوب لها عدو واضح ومحدد هو رأسمال القلة الاحتكارية المعولم والإمبريالي المسيطر، وإلى جانبه مجموع القوى السياسية التي تقف في خدمته اليوم. ويقصد سمير

العودة إلى الفهرس

أمين بهذا العدو (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وحكومات الطبقات الحاكمة الكومبرادورية التابعة في بلدان الجنوب).

هذا العدو يتحرك باستمرار ضمن أدوات هيمنته، وهي بحسب سمير أمين (المجموعة الأوروبية للتعاون التنمية، البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية، والعسكري هو حلف شمال الاطلنطي، ومراكز فكرية وبحثية يقوم على تمويلها، وأماكن تجمعه مثل دافوس)، ثم يطرح شعارات براقة في الخطاب الذي يعرضه كالديمقراطية، حقوق الانسان، ومحاربة الفقر... في ذات الوقت، يبرز جماعات وحرب ضد الإرهاب.

هذا يتطلب مغادرة حالة ردة الفعل والذهاب نحو فعل مضاد ومقاوم لهذه الهيمنة وحالة الخضوع التي يفرضها المركز على دول الجنوب، وهذا يعني أن الوقوف ضد الحروب الأمريكية في اللحظة الحالية يعتبر ضرورة ويساهم في الدفع نحو البديل الاشتراكي، ويتطلب ذلك تجمع ما أمكن من الحركات والقوى التي يمكن أن تكون ضد هذه الحروب.

كما يجدر التأكيد على أنه لا يمكن الفصل بين النضال من أجل العدالة الاجتماعية، والديمقراطية، ونظام دولي متعدد المراكز.

الولايات المتحدة الأمريكية تعي ذلك جيدًا، ولهذا تحاول أن تفرض نظام دولي تسيطر على قراراته من خلال قوتها العسكرية التي تحل محل القانون الدولي، بالتالي على حركات المقاومة للهيمنة الأمريكية ومعها نضالات الشعوب الرافضة للسيطرة على مقدراتها أن تفهم ذلك هي الأخرى، وأن تعي أن مشروعها للتقدم الاجتماعي والديمقراطية لن يكون إلا بعد دحر مشروع الهيمنة الأمريكية والسيطرة العسكرية، بما يتطلب توحيد الجهود لكل هذه النضالات والعمل على تجميعها وتشكيل أطر تجميع كل الحركات المناهضة للهيمنة الأمريكية.

تفاصيل صغيرة

د. انتصار الدّنّان– أستاذة الأدب العربي/لبنان

على وقع القذائف كان يمشي بين ركام البيوت المدمّرة، وأشلاء الجثث، ورائحة البارود والدّمّ.

بعض التّفاصيل الصّغيرة كانت مهمّة بالنّسبة له، تفاصيل مخيّمه الّذي كان ينهار أمام عينيْه، وليس باستطاعته فعل أي شيء غير الهرب من ذلك الموت المرعب، ودموع الحزن والألم تسيل على خدّيْه.

كانت أيّامه في المخيّم تمرّ على صوت القذائف. لم يكن يستطيع النّوم، خوفًا من تلك القذائف الّتي تنفلش شظاياها على ألواح الزّينكو المسمّاة بأسقف لبيوتهم.

لا طعام متوفّر عندهم، لا مياه، والقمل غزا رؤوسهم، حتّى صوت المؤذّن انعدم في المسجد الوحيد الموجود في المخيّم.

ينزوي قرب عامودٍ صغيرٍ يمتدّ من الأرض إلى سقف منزله، فهو بحسب أمّه المكان الوحيد الآمن في البيت.

لحظات الصّمت لم تكن طويلة، فقد كان في أثنائها يتخيّل تفاصيل يومه بأكمله.

حين استطاع الفرار تحت عشوائيّة القذائف الّتي كانت تنهمر فوق رؤوسهم في وقت لم يستطع تحديده.

لم يتوقّع حجم المجزرة الّتي حصلت، فالجثث الّتي رآها لم تستطع عيناه أن تحصيها.

(شحاطة من البلاستيك) كان ينتعل وكان قد ربطها بسلك حديديّ رفيع، حتّى لا تسقط من رجله، ومشى مع النّاس وخرجَ من المخيّم مع عائلته.

حينما خرج من المخيّم تظاهر بأنّه أعرج. كان المسلّحون يصطفّون على الجانبين، يحملون بأيديهم البلطات، ومن كان الله يريد له الحياة كانت تكتب له، في حين كان المارّ بينهم إما تهوي البلطة على رأسه، أو على يده، أو تشوّه وجهه.

كنت حينها في صفوف المقاومة. قاومنا بقدر استطاعتنا، لكنّي مازلت أذكر تلك الصّور الّتي التقطتها عيناي حين تركنا مواقعنا متوجّهين نحو الجبل. مناظر المهجّرين، والقتلى، والأطفال الجوعى، والبيوت المهدّمة، والنّساء مازالت عالقة في مخيّلتي.

توالت الأيّام، والمعاناة تفاقمت. أطفالٌ فُقدوا، وفتياتٌ فضّت بكارتهنّ، وشبابٌ قُتلوا، وعجائز بالكاد استطاع بعضهم الفرار من قبضة الموت.

سيدي غانم*

مروان عبد العال

روائي وكاتب وقيادي فلسطيني – لبنان

ولد غانم تحت قمر، غير هذا القمر، يرتفع فوق قرية فيجعلها دائماً تخرج من النسيان لتصير معزوفة على وتر، أرضها ليست مثل هذه الأرض تتسع للحساسين والبلابل، واليعاسيب وحتى لدبات النمل، وتحليق الفراش. قمر يستقر فوق قرية جميلة تتوزع داخلها البيوت الطينية، المملوءة حيطانها من الخارج «بجلة» البقر، المنشور في الشمس، كي يستخدم في طهي الطعام وإشعال المواقد.

ولد هناك من سلالة عائلة، تمتد نحو الأولياء وتكثر فيها الزعامات والمقامات والطقوس، الدينية، والصوفيّة وأهل الأرض وفالحوها، على أرضها انتشرت البيادر وتين القرية الشهير المسمى «الموازي» تيمناً بلذة طعم الموز، ولها حواكير وبيادر وأحراش من الصبار والزعرور والزيتون والخروب والدلب والسماق. وتفترش في ربيعها أثواباً خضراء من الطيّون، ولها وعر، يمتد وديانا تنمو داخلها نباتات طيبة آالزوفة والزعتر والميرمية والسنارية والعكوب والقرصعنّة وكل أنواع البقلة التي تجلبها النساء بعد أن تهيج من أول زخة مطر.

ولد غانم في «الغابسية»، «قرية الرماد»، وصديقة القمر، المعلق فوقها. مرت تحت ظله قبائل وأمم على مر التاريخ، عبرت وهَو مستقر فوقها. لم يهجرها قط. يرافق حياتها ومماتها، غرسها وقلعها، زفرات حُزنها وأصوات فرحها، زقزقة طيورها شاهد على محراب جامعها، وصلاتها؛ مرافق لنغمات غنائها وضربات الأرجل في ساحاتها لحظة الدبكة، وبعد موسم الحصاد، أو ليلة الحنة تعمّد هناك في معمدانها، وصدحت الزغاريد للذكر المولود والنفر الجديد. لعب تحت «السدرة» هذه الشجرة العملاقة المقدسة، المزينة بالحرز والرقية والشرائط الملونة ذهب مع والدته التي نذرت النذور، وحدثت المقام لحماية هذا المولود من شر «العدوين» تشكره بالنعمة وبالخصب وتلعن أيام المَحَل. القمر صديق غانم.. وصديق السدرة، كانت والدته تحلف باسمها.. تقول «وحياة ستنا السدرة!!»، فهي مثل الكثيرين الذين يقسمون أنهم رؤوا السدرة تسجد ليلا فتلامس أغصانها الأرض. ظل يؤمن بكل ما تعلم هناك، فالسدرة هي رمز الخير العميم، فلا بد من شكرها على ما تسبغه الطبيعة عليهم من نعم، فهي إيذان بانبعاث الحياة بعد أن يهزمها الشتاء.

لقد أضحت القرية كلها بالنسبة له ترمز إلى سطوة الطبيعة، والتندر بصحوة الحياة، هي أسطورة من حكايات.

وكم من شعوب مرت على درب القرية وبقي الشاهد هذا القمر صار غانم طفلا قوي البنيّة. غاصت قدماه في تربة البلد. طارد العصافير ووصل أعشاشها، لاحق الكلاب الضالة ودخل بين أشجار «العليق» يبحث عن ثمره اللذيذ. جرى نحو جنينة «التفاح» بالقرب من مغارة عيشة، ومروراً إلى وادي جعيتون الذي يفصل بين الغابسيه والكابري، حتى وصل إلى أرض الغبينة على الطريق الترابية لمدينة عكا.

كبر غانم في القرية، صار فتى آحل، ممشوق القوام، مليء الجسد يعنتر شاربيه، تحسبه قادماً من «إسبارطه» له طلعة جالوت الجبار. كانت الحساسين تهوى الوقوف على آتفيه والصبايا يَختلسْنَ النظر إليه من بين شقوق النوافذ، كيف لا وهو رافع «العَمْدَة»، وهي شرعة يتبارى الشباب في حملها أشبه بجرن الكبة. وما تحداه أحد وخرج فائزاً. لا يتم عرس إلا بحضوره ولا تُجْلَبُ عروسٌ دون أن يقود لجام فرسها. «الغابسية» تعتبره جالوتها؛ شجاع عنيد، محارب للذود عن كرامة البلد والضعفاء، من لم يعرفه كأنه لا يعرف القوة ولا الجمال ولا الرجولة. حاول أترابه تقليده فما استطاعوا.

يسير نحو عين «العسل» حيث تجتمع النساء لمَلْء الجرار، وهي قريبة من الكابري وترتادها الصبايا. كانت هناك محطة اختيار العروس، عندما كانت العروس تجلب من بلد إلى بلد، كان على أهل العريس أن يقدموا رافع «العمدة «، وقبل جلب العروس تدفع « العادة» وهي عشر ليرات فلسطينية، يرفض غانم أن تدفع العادة لأهل الكابري، لا لشيء سوى أن العريس من الغابسية، لذلك كان يفضل خطفها من عين

العودة إلى الفهرس

العسل، حتى لا يدفع لأهل البلد هذه القيمة المسماة «العادة». له صوت جميل، يرتل القرآن، بصوت شجي يطلق الأشعار فتأتي موزونة مقفاة، يمشي أمام المواكب في ليلة الحنّة، يضرب السيف بالترس، يراقص الخيل، يلفّ عنقه بثعبان كبير، يتلوى معه وبه على وقع الأنغام وصوت الزغاريد، ومن بين هواياته المفضّلة جمع الأفاعي في «القفة» الفجر هزيمة القمر. في القرية كان غانم يستشعر ساعة العمل أول من يكتشف نجمة الصبح، ويهزأ ممن تغويه نجمة « الغرّار» التي تغر الفلاحين، وهي نجمة آبيرة تشبه نجمة الصبح وتأتي قبلها، فهو يدرك النجوم من نجمة الميزان إلى نجمة الثريا، لذلك كان أول الناهضين، يلملم فراشه الصوفي من فوق مصطبة الدار ويرميها فوق السدة، يرتدي قميصه الأبيض، ثم سرواله الأسود، ثم يأتي بالشملة المعلقة على الحائط ويلفها على الوسط، يخرج إلى ساحة الدار يرشق وجهه بقليل من الماء ويفتل شاربيه، ثم يذهب نحو الطابون يحرك نيرانه الراقدة، يضع عليه لزقات العجين المنقوع بزيت الزيتون.. ثم يهيئ بقراته يخرجها نحو التبان ويخرج من الإسطبل، ينكزها بالمنساس ويدفعها أمامه، يعبر ساحة الجامع يصلي مع الجماعة ثم يتجه إلى الجورة، فالمقبرة، ثم يصل البيدر. قدماه تتبللان بندى الصبح، يلاقي أسراب الذاهبين نحو السنابل. يردد دائما: «أشكر الله، هذه أم الخيرات والعيشة الهنية واللقمة الطرية، بلدنا أم الجود والكرم»، عند الظهيرة يحدد الوقت بأن يقيس طول ظله، ثم يتناول زاده تحت شجرة جوز وارف.

عندما يتمدّد في ظلها هرباً من وهج شمس الظهيرة، ينظر إلى أغصانها ويبتسم، يتذكر قصة حدثت مرة لإحدى صبايا الكابري جاءت متسللة إلى شجرة الجوز، صعدت فوق أغصانها وملأت سلتها ونزلت، فكان كلبه الوفي لها بالمرصاد فهاجمها بقوة حتى رمت كل حبّات الجوز من يديها وأفرغت ما في سلتها ولم يكتف بهذا، بل عضها من رجلها. يومها لم يَفلتها الكلب وهو ينبح حتى سمع صوته من بعيد وجاء مسرعاً لإنقاذها.. حملها إلى أهلها وهم بدورهم أسرعوا بها إلى مدينة عكا، حيث عالجها طبيب من بيت قطران، صنعوا لها سريراً تحت شجرة برتقال، وبقيت ممدّدة فوقه، حتى حضر عسكريان من الجيش البريطاني.. جلسا أمامه، وأحضرت والدتها لهما صحناً من التين. فنظرا إلى قدمها الملتهبة، والشاش المتعفن فوقها فسألاها عن الإصابة، فقالت: عضني كلب. كان وقتها يرافقهما كلب. قال أحدهم أن الكلب (فلن) لا يعض، ثم قاما على عجل، وأحضرا طبيباً.. ووضع لها شاشاً جديداً، ودواءً، وصار يأتي كل صباح ويحمل لها البسكوت والحلوى، لمدة دامت خمسة وأربعين يوماً حتى شفيت تماماً. قام والدها ومد يده إلى جيبه وأخرج ما فيها من نقود وقال: خذا ما تريدان. فلم يرضيا. يومها كان عندهم كلبة قد أتمت ولادتها .. وأنجبت جراءً صغيرة، فأطلقت على إحداها اسم «فلن» نسبة لكلب الجندي البريطاني.

كبر هذا الكلب المسمى باسم إنجليزي، وبقي ملازماً لها، لا يترك الدار، حارسها الأمين، لكن عندما جاء اليهود إلى الكابري.. وخرجوا هاربين نحو ترشيحا.. لم يخرج معهم انتظرهم خمسة أيام.. وبعدها لم يتحمّل الفراق وتبعهم إلى هناك ليسير معهم لاجئاً إلى المنافي البعيدة، ظلّت شجرة الجوز.. تناجي خيال غانم، وتدغدغ في قلبه حكاية حب لتلك الصبية الكابرية.

من يخلصنا من كيد غانم هذا الذي يتمختر في القرى بعضلاته المفتولة وقامته الممشوقة المهيبة، وبطل يطارد قطاع الطرق.. ويلملم الأفاعي في قفته. جماعة من عرب الرمل يعتبرون أنفسهم رجال المنطقة وأبطال الساحة، والمنافس ينغّص عليهم فرادة الزعامة وادعاء الشهامة، ويفسد احتكارهم بالتحكم في حياة القرى، فلم يعد مسموحاً لقطعان ماشيتهم أن تعبث في أرض الفلاحين فساداً. وغانم لهم بالمرصاد، لذلك أحضروا تنكة مليئة بالذهب لمن يخلصهم من هذه «الآفة»، وهي ثمن لرأس غانم؛ فمن أكلت الغيرة قلبه مدعو للاستجابة إلى نداء الذهب. كان يجول في البراري وحيداً إلا من حصانه الأسود، يسير في الحقول ويقفز من فوق السواقي. الممر بين قرية «ديرالأسد» حتى «الغابسية» طويل متعرّج والليل يسدل ستاره على جوانب الطريق؛ بدأ انهمار الرصاص، قفز عن فرسه وبقي رباطه معلقاً في رجله حتى وصل القرية، ونجا من الموت.

بقي غانم شارد الذهن يجوب في القرية يبحث عن سبب أو من يجرؤ على فعلته. تسلل بين الوشاة، فعرف ثلاثة من القتلة.. طاردهم في الجبال أياماً ولياليَ حتى ألقى القبض عليهم وأحضرهم مكبلين إلى ساحة البلد.. واعترفوا بالبقية والدافع والمحرض في موسم الحصاد، قرر أن يتناول زاده هذه المرة ليس تحت شجر الجوز.. بل في فيىء تلة بجوار الحقل. أكمل طعامه ومسح فاه بطرف حطته السوداء وبدأ يلملم بقايا الخبز المتناثرة من الزاد ليلقيها للعصافير.. وإذ بشخص محرض أيضاً، يدحرج صخرة كبيرة من على قمة التلة.. التفت غانم نحوها.. فعرف أنه المستهدف بالقتل؛ سمّر قدميه بالأرض وتصدى للصخرة المتدحرجة وتأبطها بهدوء حتى توقفت. استهجن الحصادون المشهد، وسقط الفاعل أرضاً وهو يرتعد.. فغانم ما زال حياً.. فقبض عليه وسلمه إلى المخفر.

كان أبو ديب ضعيف الجسم والقلب معاً، يعمل راعياً لأغنام الفلاحين.. ويذوب غيرة من جبروت غانم، لكثرة ذيوع صيته وتندر النساء به واتساع دائرة المعجبين والمعجبات بطلعته وهيبته قرر المساهمة في قتل غانم؛ إنها مغامرة لا شك، لكن وجود غانم حياً كان يشعره كل يوم بعقدة النقص لديه.. لا بد من الإقدام على كسر المرآة حتى لا يرى صورته داخلها.

ذهب لمدينة عكا، لشراء المسدس، ودفع ثمنه تحويشة شهر وانتهز الفرصة المناسبة فكانت ليلة ظلماء على طريق قرية الكابري عند عودته مساءً من عين العسل، حيث كان يغازل فتيات البلدة.. قرفص بين أشواك العليق جهّز المسدس جيداً، كي لا يغدره في فعلته، صوبه باتجاه الطريق، بعد ساعات من الانتظار، جاء الصغير من بعيد، الرجل يسير وكأنه يرقص.. وينشد على أنغام وإيقاع سيره وحيداً طرباً كأنه في عرس.. عرف أن القادم هو غانم

وصل صوب المرمى.. صار على بعد ثلاثة أمتار فقط، أراد أبو ديب أن يطلق الرصاصة، حاول أن يضغط على الزناد.. لم تطاوعه أصابعه المرتجفة.. تحرك قليلاً بين أشواك العليق اليابس، فخرج صوت هسهسة من جانبه.. توقف عن الصفير ونظر باتجاه الصوت وصرخ: من يختبئ هنا؟

أبو ديب قد فقد أعصابه إلى درجة أنه بال في سرواله.. تقدم نحوه، عرفه، وألقى عليه التحية وواصل المسير كأنه أن يكتب يريد للتاريخ أن يكتب بكبريائه.. لا بهزيمته.

***قصة من رواية الكاتب الأولى «سفر أيوب».**

شجون فلسطيني

اياد غازي الناصر– لندن

شعر

مسائي تنهيده

وبوحي ثلج ونار

خبأت أنين فكرتي في جوف غيمه لم تحفظ الأسرار

أنا توبة الريح فلا تدخلي من غير زهر إلى ظلالي يا سفينة الأقدار

أنا تعويذه للقاء نجم أنا الشرقي ألملم بالدمع ما تبقى من نشيد

وأموت مذبوحا بسيفك يا وطنًا آخر النهار

على هذا الجسد تستيقظ من أنينها الأغنيات

وينتحب في ركن ضيق من أشجانه الزمن ..

أنا عاشق هرم ذابت في مقلتي الدروب واستراح في أعصابي الشجن

لا تكوني ورده حمراء فيقطفك العابثون كوني أغنية لا تموت وصوتا يرددني .. فكيف يغتالك الزمن؟

أنا أحمل في صوتي تعاسة الأوطان فكوني قديسه للحب تمنح الصبح الرجاء وتزرع في كل سنبله وطن.

أنا لا أشبه ظلي أنا غريب الفكرة وسيد الارتجال ..

أنا ارتعاش ليل وجنون القصيدة..

فكيف يكون صوتي امتدادا لارتعاشك كي أنفذ إلى تفاصيل المساء وأحنو على نواميس الذكريات

أنا لحن من زمن الخصب أتيت فكيف يكون لوني رماديا؟

وكيف تأتي الأماني عابسات؟

أنا زمن من زحمه المواكب يدمع أنا الفكرة وإن حاصرتني الوجوه وضاقت المساحات

في شوارع المخيم كانت صرختي..

كنت أفتش في ثناياه الجريحة عن مقل وضحكات بريئة..

على شوارعه البائسة يجيء الحب ملونا بالموت فترثيه الدماء في أنين المخيم

صمت العالم فجأة وتلعثمت السياسة في عويل المخيم كان الكون مخمورا والعيون يكسوها الغبار..

يحاورني صمتي يسامرني الوقت ضجيجا وارتعاش أمنيات

انا من يحمل بين عينيه النار وجنون قلب

فكيف ستبحرين يا سفينة اللقاء بعد غيابي بين جناحيك؟

يا ليل رواية يموت فيها الحالمون ارتجالا على ضوء خافت وانهمار مطر

في الصبح يحدثني وطن عن منفاه وأشلاء وطن

أنا لن اخبر الريح عن وجعي إن كنت با عروبة قدري في هذا الزمن

أنا عاشق للحياة وقلبي منفاي إن حاصرتني البنادق وسلبوا مني العنفوان باسم الوطن!

العودة إلى الفهرس

من أعمال الفنان الأسير المحرر زهدي العدوي

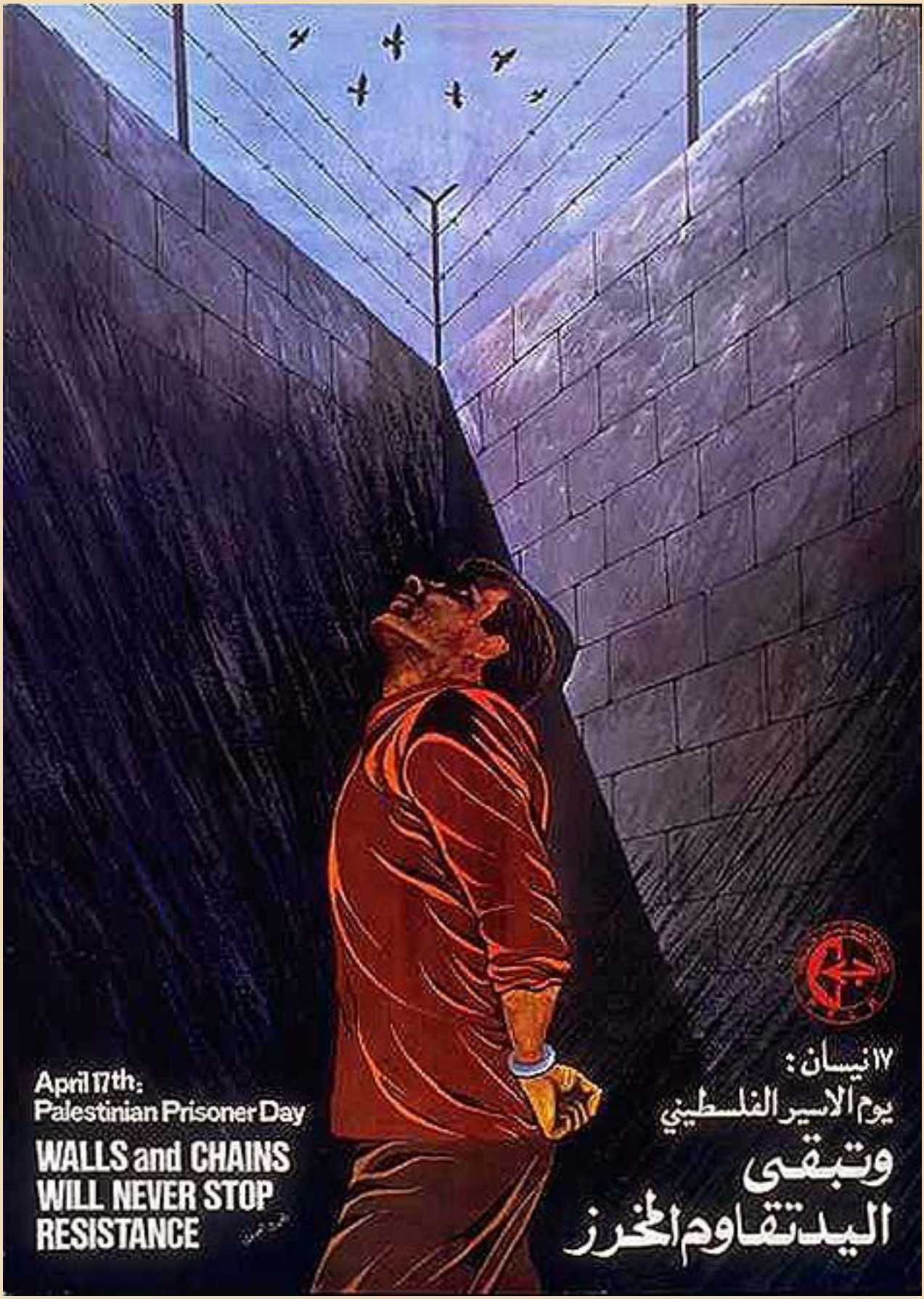

عن المطلوبين الـ18.. عن الانتفاضة..

أحمد م. جابر

على هامش كورونا، عرض على الإنترنت فيلم «المطلوبون الـ18» لصانعيه الفلسطيني عامر الشوملي والكندي بول كاون ، الذي يتحول تدريجيا إلى فيلم أسطوري بسبب موضوعه بالذات، وبسبب كونه ليس فقط مجرد فيلم وثائقي مركب، في سياق دراما ساخنة، وفانتازيا تراجيدي- كوميدية تبعث على البكاء والضحك ولكنه ضحك كالبكاء دائما، ولكن بسبب أنه يشكل وثيقة تاريخية ربما غير مسبوقة عن زمن الانتفاضة وبالتحديد عن العصيان المدني الشامل الذي خاضته مدينة بيت ساحور في تلك الأيام حين «كنا ملوكا.. نعيش حياة كاملة.. نتحكم بمصيرنا ونرسم مسارنا» على لسان أحد أبطال الحدث، والفيلم، ثم ماذا؟ باعونا في أوسلو.. وأجهض مشروع بيت ساحور، بالفعل لم تكن تلك الجنازة الرمزية لأنطوان في باب توما في دمشق كما يقول المخرج مجرد جنازة لشاب لايعرفه أحد هناك يدعى أنطون الشوملي.. كانت كأنها جنازة الانتفاضة..

فيلم المطلوبون الـ18.. ليس فيلما عن 18 بقرة اشتراها أهالي بيت ساحور من كيبوتز صهيوني لتصبح «بقرات الانتفاضة»، بل هو فيلم عن فجيعتنا.. عن نهوض شعب من أجل حريته ثم خيانته وبيعه بعشرة من الفضة وصلبه..

قصة شبان تسلقوا أعمدة الكهرباء ليرفعوا علما.. قصة التضامن الشعبي في وجه الاحتلال وقدرة الشعب المستعبد على الثورة..

إنها قصة حياتنا وعلينا أن نتساءل مع مستشار الشؤون العربية الصهيوني في الحكم العسكري خلال الفيلم «أين ذهبت البقرات؟» انه سؤال سخيف طبعا.. ولكني لا أظن إنه كان يسأل عنها.. كان يريد أن يطمئن أنه بغياب تلك الرمزية الحارقة لبقرات بيت ساحور أن الانتفاضة قد انتهت وغابت..

يحكي الفيلم عن هروب بقرة صغيرة بيضاء في النهاية قبل تسليمها للذبح لدى الجزارين وقد عجز الناس عن الاستمرار في إعالة لأبقار التي كان من المفترض أنها تعيلهم، تلك البقرة غابت ورويت عنها الأساطير وقيل إنها فرت إلى البرية وتعيش في كهف هناك.. البقرة التي يسميها الفيلم «يارا» واصلت الركض وبظني أنها مازالت تركض حتى اليوم، ويوما ما ستعود إلى بيت ساحور وسينهض معها أنطون ليستمر في القتال وستعود الانتفاضة من جديد.. ومادام أنطون هو آخر دم سكب في بيت ساحور زمن الانتفاضة.. فإنه كان كان نقطة بداية ونهاية في آن معا.. ومادام دم أنطون يستمر في الجريان .. مادام يصرخ في البرية.. فإن كل شيء ممكن.. كل شيء ممكن..

AL-HADAF
الهدف